دولة الكويت

سلسلة مطبوعات

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

السلسلة التراثية (الندوة الأولى)

ابن رشد

الطبيب

ثبت كامل لأعمال الندوة التراثية الأولى عن

ابن رشد الطبيب والفقيه والفيلسوف

المنعقدة في الكويت

بتاريخ ٢٢ شعبان ١٤١٥ هـ الموافق ٢٣ يناير ١٩٩٥م

إشراف وتقديم

الدكتور

عبد الرحمن عبد الله العوضي

رئيس

المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

تحرير

الأستاذ

عبد الحميد البسيوني

الدكتور

أحمد رجائي الجندي

١٩٩٥

دولة الكويت

سلسلة مطبوعات

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

السلسلة التراثية (الندوة الأولى)

ابن رشد الطبيب

ثبت كامل لأعمال الندوة التراثية الأولى عن
ابن رشد الطبيب والفقيه والفيلسوف
المنعقدة في الكويت
بتاريخ ٢٢ شعبان ١٤١٥ هـ الموافق ٢٣ يناير ١٩٩٥م

إشراف وتقديم
الدكتور
عبدالرحمن عبدالله الغوضي
رئيس
المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

تحرير
الأستاذ
عبدالحميد البسيوني
الدكتور
أحمد رجائي الجندي

١٩٩٥

حقوق النشر محفوظة للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، لا يسمح بنشر هذا الكتاب أو أي قسم من أقسامه بالطبع أو التصوير أو بأي شكل آخر إلا بإذن خطي من إدارة المنظمة

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

مقدمة :

لسعادة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي ٩

تقديم :

الأستاذ عبدالحميد البسيوني والدكتور أحمد رجائي الجندي ١٣

الجزء الأول

ابن رشد الطبيب

١- ابن رشد طبيبا

الدكتور أبو شادي الروبي ٩٥

- المناقشات ١٢٥

٢- ابن رشد وشرحه لأرجوزة ابن سينا

الدكتور عمار الطالبي ١٣٣

- المناقشات ١٩٧

٣- كتاب الترياق لابن رشد - قراءة ودراسة

الاستاذ عبدالحميد البسيوني والدكتور أحمد رجائي الجندي ... ٢١١

- المناقشات ٣٠٧

٤- النبات الطبي بين ابن سينا وابن رشد أو علم الأدوية المفردة في كتابي القانون والكليات

دكتور ابراهيم بن مراد ٣١٧

- المناقشات ٣٤٣

الجلسة الختامية: ٦١٩

١- كلمة الدكتور إبراهيم بن مراد ٦٢١

٢- كلمة الدكتور حسن الشافعي ٦٢٢

٣- كلمة الدكتور عبدالله الغنيم ٦٢٤

٤- كلمة الدكتور أحمد رجائي الجندي ٦٢٥

٥- كلمة ختامية لسعادة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي ٦٢٩

* أسماء المشاركين في الندوة ٦٣٣

مقدمة

للدكتور عبدالرحمن العوضي

إذا كان «الفكر» هو صانع الحضارات، و«العلم» هو أسس المدنيات، فالقسم المزدهر من تاريخ البشرية هو المنبعث من الفكر، المبني على العلم، وبتواصل حلقات هذين التوأمين: الفكر والعلم، تتجدد المسيرة، مستلهمة ما تكاتف من معطيات القرون الخالية، فيما تسميه كل أمة «التراث» الذي تعتز به أيما اعتزاز، لأنه يمثل أصولها وجذورها، ويمثل في الوقت نفسه دافعيتها نحو الإبداع، وقدرتها على التفاعل مع الحياة والكون والالتحام بالعصر.

من هنا كان حرص المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية على عقد ندوات جامعة، يشترك فيها المختصون بحسب موضوع الندوة، لمناقشة مسائل حيوية برزت على الساحة، وتمثل - في بعض جوانبها، لا من حيث الظاهر - تصادما تحتد درجته أو تخف مع مواريث الأخلاق والشرائع التي اصطلح عليه مجموع المؤمنين بالديانات الإلهية، ولا سيما المسلمون، الذين لديهم ثروة هائلة جدا من النصوص والاجتهادات الفقهية.

لقد عالجت ندواتنا السابقة موضوعات فقهية طبية، مثل الإنجاب في ضوء الإسلام، والحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها، ورؤية إسلامية لبعض الممارسات الطبية، والمشكلات الاجتماعية لمرض الإيدز،

وزراعة الأعضاء من منظور إسلامي، والمواد المحرمة والنجسة وحكم استخدامها في الغذاء والدواء.

ولكن ندوتنا هذه اتجهت اتجاها تراثيا، فلم تختر المنظمة موضوعا، بل اختارت «علما» من أعلام الفكر، هو ابن رشد الحفيد. ولم يكن هذا الاختيار فكرة طارئة، وإلا فإن هناك في المجال الطبي من هم أشهر من ابن رشد كابن سينا والرازي وابن النفيس.

لقد جاء اختيار ابن رشد لاعتبارات كثيرة:

منها أنه فقيه فيلسوف طبيب.. فهو صاحب «بداية المجتهد» الكتاب المشهور في الفقه.. وهو الذي قدم أرسطو من خلال ترجمات وشروح وإضافات كثيرة، فضلا عن مؤلفاته في نفي التعارض بين صحيح الفلسفة والشريعة.. وأخيرا فابن رشد هو صاحب «الكليات» الكتاب الطبي المشهور، إضافة إلى مجموعة من الرسائل الطبية المهمة.

والاعتبار الثاني أن ابن رشد «أعيد تصديره إلينا» إذا صح هذا التعبير التجاري، فقد احتفلت به كثيرا أوروبا في عصر النهضة، ولكن لأغراض ومفاهيم تخص تطور الحياة الأوروبية، وكان لهذا أثره في تشكيل صورة ابن رشد لدى كثير من المثقفين المسلمين والعرب، مما يدعو إلى ضرورة إعادة الصورة الرشدية الإسلامية العربية من خلال قراءات وتنقيبات جديدة وجادة في المكتبة العربية قديمها وحديثها.

والاعتبار الثالث أن هذه الندوة تتوافق مع مرور ثمانية قرون على وفاة ابن رشد.

والآن، ندع الباحث والقارئ مع البحوث التي قدمت في هذه الندوة، والتي أثريت بحوارات كثيرة ومهمة، ويكفي أن أشير إلى أن كثيرا من المختصين ممن شهدوا هذه الندوة، وهم الذين يعلمون

مواطن المشكلات في الموضوع. نوهوا بأن الندوة ذللت كثيرا من الجوانب الرشدية، وصححت بعض الأفكار، وكشفت عن مناطق جديرة بإعادة البحث.

وفي ختام كلمتي هذه، أشكر لكل من أسهم في نجاح هذه الندوة، إعدادا ومتابعة وإشرافا وتنفيذا، ولكل الذين شاركوا فيها من الباحثين، ولكل رؤساء الجلسات، والمحاورين، والحاضرين.

كما لا يفوتني أن أنوه بالتعاون المتميز القائم بين المنظمة ووزارة الصحة ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

وأسأل الله سبحانه أن يتقبل هذا الجهد، وأن يوفقنا لخدمة أمتنا المسلمة، إنه سميع قريب.

تقديم

الأستاذ عبد الحميد البسيوني و الدكتور أحمد رجائي الجندي

بين يدي الباحثين والقارئين والمهتمين بالدراسات التراثية عامة، والرشدية خاصة، السفر الجامع لبحوث وحوارات، قام عليها نفر من أهل الاختصاص، مدارها كلها:

ابن رشد: فقيها، وطبيبا، وفيلسوفا.

كانت نقطة الارتكاز في الجانب الفقهي لدى ابن رشد هي كتابه «**بداية المجتهد ونهاية المقتصد**»، وقد حظيت دراسة هذا الجانب بثلاثة من أعلام الباحثين:

الواعظ الخراساني، الفقيه الشيعي الكبير، والعالم المعروف بالحرص على التقريب بين المذاهب الإسلامية. وقد اتسعت بدراسته النظرة الفقهية للبداية، من حيث أصولها وتأثرها وتأثيرها.

والدكتور محمود علي مكي، العالم الموسوعي، والمختص بالدراسات الأندلسية: تاريخا وأدبا وثقافة وشعرا، مما ظهر أثره واضحا في هذه الدراسة التي جمعت الجهود السابقة التي تناولت «**البداية**» فضلا عن التحليل الموضوعي للكتاب وأهميته.

والدكتور محمد حجي، وهو - وإن كان معروفا لدى القراء فقيها ورجل شريعة بسبب ما حققه من أمهات الفقه المالكي - مؤرخ في الأساس، ولذلك تجلى هذا الجانب بارزا في بحثه كما يرى القارىء.

وفي الجانب الطبي كان هناك ضربان من الدراسات:

ضرب طبي، يقوم على توضيح مكانة ابن رشد بين أطباء عصره، وسابقيه ولاحقيه، مع إيضاح إنجازاته الطبية. وتكفل بهذا الضرب بحثان:

- بحث الدكتور أبو شادي الروبي «**ابن رشد طبيبا**».
- وبحث الدكتور إبراهيم بن مراد الذي عالج النبات الطبي بين ابن رشد وابن سينا، وبتعبير آخر علم الأدوية المفردة في قانون ابن سينا وكليات ابن رشد.

أما الضرب الثاني، فهو الطبي التراثي، وقد تكفل به بحثان:

- **ترياق ابن رشد**، تحقيق ودراسة، اشترك في إعدادها الدكتور أحمد رجائي الجندي وعبدالحميد البسيوني.
- **شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا في الطب**، وهو مخطوط قام بدراسته والتعليق عليه الدكتور عمار الطالبي.

وفي الجانب الفكري كان هناك:

- الموقع الفكري لابن رشد للدكتور محمد عمارة.
- ابن رشد المتكلم للدكتور حسن الشافعي.

مع إضافة تنشر لأول مرة، وهي «**نصوص جديدة حول ابن رشد**» قام بتحقيقها والتعليق عليها الدكتور محمد بن شريفة.

ولقد حرصنا على رصد جميع الحوارات حول كل بحث، بما يعطي الموضوع إضافات مهمة، ويثير مشكلات جديرة بالدراسة.

أما نتائج الندوة، فقد كانت جديرة ببيان مفرد، ولكن أهمها مما لا خلاف عليه:

١ - أن دراسة الأعلام الكبار، وإن كانت تراثية المنشأ والهدف، لها

أهمية كبرى، لأنه ما من علم يمكن أن يقال إنه قد فرغ منه، كما تبين من خلال هذه الندوة عن ابن رشد.

٢ - لقد صححت هذه الندوة أفكارا كانت كالمسلَّمات عن ابن رشد وعصره: كمحنة ابن رشد، ومسألة إحراق الكتب في تاريخنا.

٣ - كانت الصورة الأوروبية عن ابن رشد هي النافذة الأوسع التي نظرنا من خلالها لمفكرنا المسلم العربي، وقد آن الأوان أن نعرف ابن رشد كما هو، في إطار ثقافتنا وحضارتنا الإسلامية العربية.

٤ - الدعوة لتوظيف التراث وبعض نتائجه لخدمة المعاصرة، شريطة أن يكون هذا الأمر بحقه، بعيدا عن الخطابية والمنقبية.

٥ - ما زال التراث الرشدي في حاجة إلى تحقيق جديد، يقوم نصوصه، ويكشف عن مضامينها بالوسائل المنهجية المقررة في التحقيق.

إن هذا السفر الجديد، مضموما إلى إخوة له أصدرتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية من قبل، هو في تقديرنا قيام بحق أمتنا علينا في جانب من الجوانب، وإذ إن القارئ شريكنا في هذه الأمانة فسوف نسعد باستدراكاته واقتراحاته.

والله ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الجزء الأول

ابن رشد الطبيب

الجلسة الأولى

ابن رشد الطبيب

الرئيس: الدكتور عبدالرزاق العدواني

نائب الرئيس: الدكتور يعقوب الشراح

المقرر: الدكتور أحمد الشطي

رئيس الجلسة: الدكتور عبدالرزاق العدواني:

بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أيها السادة، محدثنا اليوم هو أ.د.أبو شادي الروبي، وهو أستاذ الطب الباطني بطب القاهرة القصر العيني، وقد اشتغل بالأمراض الباطنية باحثا وعالما وممارسا زهاء نصف قرن، أدخل به كثيرا من الوسائل والمفاهيم الحديثة ونشر أكثر من ١٠٠ بحث علمي عالمي، وتخرج على يديه كثير من الأساتذة والاختصاصيين، شغل منصب رئيس قسم الأمراض الباطنية الخاصة بالقصر العيني، وهو عضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي والتكنولوجيا والمجالس القومية المتخصصة والمجلس الأعلى للثقافة، ومستشار لوزارة الصحة، وهو حاصل على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الطبية وعلى وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، هذا هو الأستاذ الدكتور أبو شادي الروبي.. فليتفضل.

الدكتور أبو شادي الروبي:

السيد الرئيس، السادة الزملاء، حديثي اليوم سيكون مختصرا وأنا مقيد، على أن نسخة من هذه المحاضرة قد وزعت عليكم فسأضطر للاختصار.. ثم ألقى سيادته المحاضرة.

ابن رشد طبيبا

الدكتور/ أبو شادي الروبي

ابن رشد طبيباً

دكتور: أبو شادي الروبي

أستاذ الأمراض الباطنية – مصر

لم يحظ ابن رشد الطبيب بمثل ما حظي به الفيلسوف أو الفقيه من شهرة ودراسة.

ولاشك أن أثر ابن رشد في الفلسفة والفقه أعمق وأبقى بكثير من أثره في الطب، ولكني أرى سببا آخر لهذا التفاوت، هو أن مؤلفات ابن رشد الطبية لم تلق من عناية المحققين والناشرين ما لقيته مؤلفاته الفلسفية مثل «تهافت التهافت» أو «فصل المقال» أو «مناهج الأدلة». لذلك سعدنا كثيرا، نحن الأطباء، عندما نشرت في السنوات الأخيرة «رسائل ابن رشد الطبية» بتحقيق الدكتور جورج قنواتي والأستاذ سعيد زايد، وترجمت أيضا إلى الإنجليزية مع تعليقات ضافية للدكتور قنواتي والدكتور بول غليونجي. ثم سعدنا مرة أخرى عندما قام أستاذان فاضلان من الجزائر، هما الدكتور سعيد شيبان أستاذ طب العيون، والدكتور عمار الطالبي أستاذ الفلسفة، بتحقيق كتاب ابن رشد «الكليات في الطب» والتعليق عليه. وقد أتاحا لي مشكورين فرصة الاطلاع عليه، وهو في طريقه إلى المطبعة. وهناك مصنّف طبي ثالث لابن رشد لم يجد بعدُ طريقه إلى النشر، وهو «شرح أرجوزة ابن سينا في الطب» ومنه مخطوطان في دار الكتب المصرية.

لدينا الآن إذاً ثروة لا بأس بها من تصانيف ابن رشد في الطب؛

سأحاول اليوم أن أعرضها عليكم متكاملة، وأن أعلق عليها مستشهدا ببعض نصوصها.

كتاب «الكليات» هو أهم أعمال ابن رشد الطبية، ألّفه في الفترة من 1169 - 1153م، وهو كتاب كبير يشغل أكثر من ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير، وقد ترجم إلى العبرية ومنها إلى اللاتينية باسم Colliget عام 1255م في بادوا، ثم طبع لأول مرة في البندقية عام 1482، وتوالت طبعاته بعد ذلك. وقد اقتصر ابن رشد في كتابه هذا على المبادىء العامة في الطب، تاركا التفاصيل والجزئيات لزميله وصديقه أبي مروان بن زهر في كتابه «التيسير في المداواة والتدبير»، وفي ذلك يقول ابن رشد: «. . . وهذا الكتاب (أي التيسير) سألته أنا إياه وانتسخته، فكان ذلك سبيلا إلى خروجه . . حتى نجمع في أقاويلنا هذه إلى الأشياء الكلية الأمورَ الجزئية، فإن هذه الصناعة أحق صناعة ينزل فيها إلى الأمور الجزئية ما أمكن». وكانت الطبعات اللاتينية كثيرا ما تجمع بين «كليات» ابن رشد و«تيسير» ابن زهر في طبعة واحدة، ربما كبديل لـ «قانون» ابن سينا الذي لم يلق رواجا في الأندلس.

وكتاب الكليات يعتمد أساسا على طب جالينوس بكل ما فيه من اسطقسات وأخلاط وأمزجة، ولكن فيه إشارات كثيرة إلى أبقراط وغيره من السابقين (الرازي وابن سينا والكندي مثلا) والمعاصرين (بني زهر، ابن طفيل، ابن وافد) ولا يعني هذا أن ابن رشد كان يسلم تسليما أعمى بكل ما يقوله جالينوس، وإن كان يعتبره المرجع الأول في الصناعة، بل هو يعترض عليه في أكثر من موضع، وقد جمعت «شكوكه» هذه مع مثيلاتها في «الرسائل»: الملخصة لكتب جالينوس في قائمة واحدة سأعرضها عليكم في نهاية حديثي منعا للتشتت والاستطراد.

يبدأ ابن رشد كتابه ببيان الغرض من مهنة الطب: «إن صناعة

الطب هي صناعة فاعلة عن مبادىء صادقة، يُلتمس بها حفظ صحة الإنسان، وإبطال المرض، وذلك بأقصى ما يمكن، في واحدٍ واحدٍ من الأبدان. فإن هذه الصناعة ليس غايتها أن تُبْرِئَ ولا بد، بل أن تفعل ما يجب، بالمقدار الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب، ثم ينتظر حصول غايتها، كالحال في صناعة الملاحة، وقود الجيوش».

ويتطلب هذا، كما هو الحال في أي صناعة أخرى، معرفة أمور ثلاثة هي: الموضوعات، والغايات، والآلات. أما الموضوعات فهي أعضاء البدن وأخلاطه وأمزجته، بسيطة كانت أو مركبة. وأما الغايات فهي حفظ الصحة، وإزالة المرض. وأما الآلات فهي الأغذية والأدوية. وهكذا يقسم ابن رشد كتابه سبعة أقسام كبرى هي: تشريح الأعضاء، الصحة، المرض، العلامات، الأدوية والأغذية، حفظ الصحة، شفاء الأمراض.

ولن أخوض هنا في تفاصيل هذه الأقسام السبعة وتفاصيل تفاصيلها، فهي - كما قلت من قبل - حصيلة طب العصور الوسطى الذي كان يرتكز أساسا على نظرية الأخلاط الأربعة وتطبيقاتها كما صاغها جالينوس، وإن كان تناول ابن رشد لها، وهو الفيلسوف المتمكن والفقيه المتمرس، يضفي عليها وضوحا في العرض وتماسكا منطقيا في الشرح، كما أنه لا يخلو من الانتقادات والإضافات، ولكني سأكتفي بعرض سريع أبرز فيه بعض ما يلفت نظر القارىء العصري لهذا الكتاب.

النظري والعملي في الطب:

يرى ابن رشد أن صناعة الطب «تتسلم كثيرا من مبادئها عن صنائع أخرى، بعضها نظرية: وهي العلم الطبيعي، والقياس، وبعضها عملية: ومنها صناعة الطب التجريبية، وصناعة التشريح». وهذا التأكيد

على أهمية العلم الطبيعي لصناعة الطب يتكرر كثيرا في كتابات ابن رشد، وهو أمر يرحب به كل طبيب عصري يعرف مدى ما تَدين به العلوم الطبية لما نسميه الآن بالعلوم الأساسية Basic Sciences. انظر إلى قوله «ينبغي أن تعلم أن صاحب العلم الطبيعي يشارك الطبيب، إذْ كان بدن الإنسان أحد أجزاء موضوعات صاحب علم الطباع، لكن يفترقان بأن هذا ينظر في الصحة والمرض من حيث هما أحد الموجودات الطبيعية، وينظر الطبيب فيهما من حيث يروم حفظ هذه، وإزالة هذا». والعلم الطبيعي عند ابن رشد هو ما قاله أرسطو، ولا ننسى هنا أنه فيلسوفه المفضل، الذي ملأ الدنيا بشرح أعماله والتعقيب عليها، وعنه أخذ حبه المبكر للعلوم الطبيعية والفيزيقا والفلك، حتى راح يرصد النجوم وهو بمراكش، وحتى قال بعض مؤرخيه: إن سبب نكبته عند أمير المؤمنين المنصور أنه لما شرح كتاب «الحيوان» لأرسطو زاد عليه عند ذكر الزرافة أنه رآها «عند ملك البربر» يعني يعقوب المنصور، ولم يرُق هذا الوصف للأمير فنقم على ابن رشد وأبعده، ولم يقبل منه عذره بأنه أملاها «ملك البرين» فصحفها الناسخون حين نقلوها إلى «ملك البربر».

أقول: إن العلم الطبيعي عند ابن رشد هو ما قاله أرسطو، ويلخص ابن رشد كما يلي: إنه قد تبين هنالك أن كل جسم مركب من مادة وصورة، وأن المادة إنما وجدت من أجل الصورة، ومجموع الصورة والمادة الذي هو بهما الموجود الطبيعي ما هو، إنما هو من أجل فعله الذي يخصه. ولذلك ما يقول أرسطو: إن الطبيعة لا تفعل باطلا. يقال ذلك في الأمور الصناعية أن خشب السفينة إنما وجد من أجل صورة السفينة وشكلها، ووجد مجموع هذين من أجل فعل السفينة، وهو سيرها في الماء. وإذا كان ذلك كذلك، فهذه الأعضاء الإنسانية فيها ضرورةً شيء يجري مجرى الهيولى، وشيء مجرى الصورة، وشيء ثالث وهو الفعل والانفعال، ويكون هذا هو الغاية

لمجموع تلك. وأسباب وجود الأعضاء على حالتها الطبيعية، أو خروجها عنها، هي إذن ثلاثة أنواع. أسباب مادية، وأسباب صورية، وأسباب غائية، فالدم مثلا نوعان: دم نيء في الكبد والعروق غير الضوارب (الأوردة) يحمل القوة الغاذية، ودم نضج في القلب والعروق الضوارب (الشرايين) يحمل أيضا الروح الغريزي.

والأول للثاني هو كالمادة للصورة، أي أنه المتمم له بالنضج، والمصيّر له غذاء قريبا بالفعل. وهذان النوعان من الدم يجريان إلى كل عضو ويغتذي منهما كل عضو.

وأما القياس فدوره في الطب محدود، وهو «أن يعطي أسباب ما أوجدته الصناعة الطبية التجريبية» ويكرر ابن رشد نفس المعنى في «الرسائل» . . . لابد من التجربة في هذه الصناعة، فان أكثر المقاييس التي فيها هي براهين أسباب لا براهين وجود، وإن أعطت الوجود فظناً وتخميناً. . ويذكرني هذا القول من ابن رشد بما اصطلح عليه فلاسفة المنهج العلمي المحدثون من تمييز بين «سياق الكشف Context of discovery» و«سياق التبرير أو التسويغ Context of justification» فالاكتشاف قد يحدث «صُدفةً»، أو عن حدس وإلهام، أو عن إعمال فكر – لكن لابد له مهما كان مصدره أن يجد له في النهاية مكانا متسقا داخل بناء النظرية العلمية الحاكمة، وإلا أصبح تحديا سافرا لها يدعونا إلى إعادة النظر والبحث عن نظرية بديلة.

وأما التشريح فيجمل ابن رشد القول فيه إجمالا، ويقول ان الوصف التفصيلي فيه مما يطول، «وليس له كبير جدوى في هذه الصناعة التي تفعل بالغذاء والدواء (يقصد الطب الباطني)، وأما التي تفعل بالحديد (أي الجراحة) فله كبير منفعة».

ثم يعود مرة أخرى إلى تأكيد أن الكليات في الصناعة الطبية لا

تغني عن الجزئيات: «... يحتاج الطبيب بعد معرفة الكليات التي تحتوي عليها هذه الصناعة إلى طول مزاولة، وحينئذ يمكن أن يوجدها في المواد، فإن الكليات المكتوبة في هذه الصناعة يلحقها عند إيجادها في المواد أعراضٌ ليس يمكن أن تكتب. فإذا زاول الإنسان أعمال هذه الصناعة حصلت له مقدمات تجريبية يقدر بها أن يوجد تلك الكليات في المواد»، وفي هذا الصدد، أي في بيان أهمية الممارسة والتجربة العملية للطبيب، يعترف ابن رشد بقصوره اعترافا شجاعا إذ يقول: «... وهذا الجزء من الطب هو الذي أرى أنه يعوقني عن الكمال في هذه الصناعة، وذلك أني لم أزاولها كبير مزاولة اللهم إلا في نفسي، أو أقرباء لنا أو أصدقاء، ولم أكن أيضا أتولى علاجهم، بل كنت أتصفح ما يعرض لهم من التغاير عند معالجة الأطباء لهم في وقتنا، الذين هم أبعد خلق الله عن هذه الصناعة*، ما خلا هؤلاء القوم بني زهر، وبخاصة أبا العلاء وابنه أبا مروان هذا المعاصر لنا، فإن هؤلاء القوم كما قلنا هم على الطريقة الطبية».

الأمراض والأعراض:

بعد ذلك ينتقل ابن رشد إلى الكلام على الأمراض وعلاماتها، وهو كلام جيد في أكثره إذا قيس بالمعرفة الطبية السائدة في زمنه، فالأمراض نوعان: أمراض الأعضاء المتشابهة الأجزاء، وأمراض الأعضاء الآلية.

الأولى سببها سوء المزاج، ماديا كان أو غير مادي، وهي تقابل ما نسميه الآن بالباثولوجيا العامة أو ال. System Diseases، ومن أمثلتها

(*) الشكوى من جهل الأطباء قديمة، قديمة!

الحميات والأورام، أما الثانية فتشمل أمراض عضوٍ عضوٍ من أعضاء الجسم، أو ما نسميه الآن بالباثولوجيا الخاصة أو ال. Organ Diseases.

وفي الاستدلال على الأمراض الباطنة يقول إن «الأمراض منها ما هي في ظاهر الجسم، وهذه بيّنة الوجود بنفسها.. أما الأمراض التي في باطن الجسم فإنها تحتاج إلى ثلاثة أحوال من الاستدلال: أحدها الاستدلال على العضو الآلم، والثاني الاستدلال على المرض نفسه، والثالث الاستدلال على سببه». وهذه طريقة منهجية سليمة ما زلنا نعمل بها في تشخيص الأمراض، كمرض القلب مثلا، ونسمي الاستدلال الأول بالتشخيص التشريحي anatomical diagnosis، والثاني التشخيص الباثولوجي .pathological d، أما الثالث فهو التشخيص الايتيولوجي .etiological d.

وعن الاستعداد للمرض (intrinsic predisposition,diathesis) يقول «رب استعداد في الطباع ليس عليه علامة ولا دليل، إذ كانت الاستعدادات غير متناهية . . . ومن نسب الأمراض إلى الأشياء التي من خارج (extrinsic causes)، فقد نسبها إلى نصف أسبابها، إذ كانت هذه الأشياء منزلتهامنها فقط منزلة الأسباب الفاعلة، لكن لموضع شهرة هذا السبب تكاد الأطباء أن تنسب جميع ما يطرأ من الأمراض والآفات العارضة إليه، وإن طرأ أمر لم يتقدمه تدبير ردىء تحيروا وقالوا: «إن ذلك بأمر إلٰهيّ، وذلك جهل منهم ضرورة».

ثم هناك فقرة حكيمة بعنوان «السِّبار الذي يكون بالعلاج» ونسميه نحن الاختبار العلاجي therapeutic test ونستعمله أحيانا في تشخيص الأمراض المبهمة:

«إذا تركبت الأمراض صعب الوقوف عليها، فجلّ العلامات إنما هي حدسية تخمينية من جنس الأقاويل الظنية، ولذلك ما ينبغي

(للطبيب) أن يتحرى الاجتهاد فيها، فإذا غلب على ظنه شيء ما من ذلك استعمل أولا في ذلك لطيف العلاج، وذلك بحسب ما ظن في المرض، فإن أنجح تمادى، وعلم أن الذي ظن صادق، وإلا أعرض عن ذلك. مثال ذلك أنه متى ظن أن السبب في الإسهال هذه السُّدد (في الجداول الواصلة من المعى إلى الكبد)، استعمل في أدويته يسير تفتح. فإن رأى النُّجْح يتبع ذلك وَثِق بظنه، وإلّا تدارك بعد ذلك خلل ما صنع. ولذلك تعُد الأطباء السبارَ الذي يكون بالعلاج أحدَ الأجناس التي يوقف منها على الأمراض وأسبابها».

يصف ابن رشد الكثير من الأمراض وعلاماتها ومضاعفاتها وصفا دقيقا يدل على معرفة واسعة بالطب، وفي كتابه فصل صغير بعنوان «أعراض صغار تنذر بأمراض كبار» وهو ملىء بالخبرة المركزة، رأيت أن أقرأه عليكم كاملا:

أعراض صغار تنذر بأمراض كبار:

- الصداع الدائم، والشقيقة، يخشى منها نزول الماء في العين.
- اختلاج الوجه إذا كثر ودام ينذر بلقوة.
- اختلاج جميع الجسد ينذر بتشنج رَطْب.
- الخَدَر ينذر بالفالج.
- حمرة الوجه والعين، وظهور العروق فيها، والدموع السائلة منها، والنفور عن الضوء مع شدة الصداع، ينذر بالورم الحار في الدماغ.
- الكابوس والدوار إذا أزْمنا وقويا أنذرا بالصرع.
- الغم الدائم الذي لا يعرف له سبب ينذر بالمالخونيا.
- البق الذي يظهر للإنسان أمام عينيه كأنه يطير، أو الشعر الذي يظهر

أمام العين، هي علامة منذرة بنزول الماء، إن لم يكن هذا العارض من قِبَلِ المعدة.

- تواتر النزلات يخاف منه السُّل.
- العرق الكثير يدل على امتلاء.
- الخفقان الدائم الشديد ينذر بالموت فجأة.
- الامتلاء المفرط يخاف منه نفث الدم، والسكتة، والموت فجأة.
- كدر الحواس وضعف الحركات مع الامتلاء يخاف منه السكتة.
- الثقل في الناحية اليمنى عند ضلوع الخلف، والتوتر والتمدد، ينذران بعلة في الكبد.
- البراز الكثير الصبغ ينذر باليرقان.
- تهيج الوجه والورم في الأجفان، والأطراف، ينذر بالاستسقاء.
- نتن البراز يدل على تخم.
- نتن البول ينذر بعفونة وحمى.
- الإعياء والتكسر من غير سبب بادٍ مع سقوط الشهوة ينذر بالحمى.
- ذهاب الشهوة مع الغشي والنفخ ينذر بالقولنج.
- الثقل والتمدد في أسفل البطن والخواصر مع تغير حال البدن عن العادة ينذر بعلة في الكلى.
- البول الذي يحرق إذا دام أورث قروحا في المثانة والقضيب.
- الحُكاك في المقعدة ينذر ببواسير، إلا أن تكون من داخل ديدان صغار.
- كثرة الدماميل يخشى منها خراج عظيم - كثرة السلع يخشى منها دبيلة.
- البهق يخشى منه البرص.
- شدة حمرة الوجه، وضيق النفس، وبحة الصوت، تنذر بجذام.

ومن طريف ما قاله في هذا الباب، وصفه لما أصابه هو من أمراض، وقد جاء ذلك في فقرتين منفصلتين من كتاب «الكليات» أحسب أن ذكرهما يهم مؤرخي سيرته. قال في الأولى «. . . . إن مزاج الدماغ إذا ساء كان سببا لآفات كثيرة تحدث بالأبدان، منها أنه يعتري عن ذلك أورام الحلق، والرئة، واللهاة، وقروح الرئة، وقروح الفم، وانقطاع الصوت، والبهر. وربما مال الفضل إلى معدهم فأفسدها إن كان باردا فإلى البرد حتى يفسد مزاجها، ويفسد مزاج سائر البدن. وأصحاب هذه العلة يتجشئون جشأ حامضا، كماعرض لي ذلك وأنا فتى، فأكْسَب معدتي سوء مزاج لست بعد أقْدِر على دفعه، وذلك أيضا مع سوء المعالجة لي في ذلك الوقت، فإني ما كنت حينئذ حذقت شيئا من أعمال الطب».

وقال في الثانية «. . . وينبغي أن تعلم أن الأورام التي تكون في الأعضاء الرئيسية، والحميات، منها ما يقبل البرء من غير علاج أصلا، بل الطبيعة كافية فيه. وبهذا أمكن أن يخلص كثير من جفاة الأمم من الأمراض الصعبة، مثل البربر والعرب والأكراد وغير ذلك من سكان البراري، لكن إذا استُعملتْ العلاجات الطبية في مثل هذه المواضيع كانت مسهّلة على الطبيعة وسائقةً إلى البرء في زمن يسير، مع أمن في العاقبة، فإن كثيرا ممن تخلصهم الطباع من الأمراض الصعبة يصيرون «يسيرون» من ذلك إلى زمانات في أعضائهم، كما اتفق لي إذ مرضت من حمى قوية كان بحرانها بوَرم في فخذي، فَزَمِنَتْ* بذلك قدمي (أغلب الظن أنها كانت حمى تيفودية أدت إلى التهاب وريد الساق وتورم القدم).

(*) زَمِنَ زَمَناً وزُمنة وزَمَانةً: مرض مرضا يدوم زمنا طويلاً. من ضعف بكبر سن أو مطاولة علة.

الأغذية والأدوية:

يشغل العلاج جانبا كبيرا من كتاب الكليات، خصص معظمه لأنواع الأغذية والأدوية، ولم تحظ الجراحة إلا بالنزر اليسير، وفي ذلك يقول ابن رشد «... إن أعمال اليد جُلَّها في زماننا هذا قد دثرت»، وإن كان يصف بشيء من التفصيل جراحة دقيقة لعلاج مراق البطن إذا وقعت به ضربة فخرج الثرب: «... ينبغي أن يرد الثرب إن كان لم يفسد. وإن كان قد فسد فليقطع، لأنه ليس بعضو ضروري.. لكن لعظم الشرايين والعروق التي فيه فينبغي أن تُربط عند أصولها، وحينئذ تُبتر. وربما انتفخ الثرب حتى لا يمكنه أن يدخل، وذلك من قبل الهواء البارد، وحنيئذ ينبغي أن يكمد باسفنجة مبلولة بماء في غاية الاعتدال... وبعض الجراحات ليس يكتفي فيها بضم شفتيها ولا بخياطتها دون أن يوضع دواء مدمل ينشف الصديد الذي يكون بين أجزاء الجرح الذي لم يمكن فيه أن تلزقه، كالحال في جراحة البطن».

والأدوية لها أفعال (أو قوى) ثلاث: أُوَلٌ هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وثوانٍ مثل الإنضاج والتليين والتحليل والتفتيح، وثوالث مختصة بأعضاء معينة كالمدرة للبول والمنقية للرئة. والأدوية أيضا توصف إما مفردة وإما مركبة، وللتركيب قوانينه، وسأقتبس لكم بعض ما يقوله ابن رشد في ذلك لأهميته:

القول في قوانين تركيب الأدوية:

«إن الضرورةالداعيةإلى تركيب الأدوية المفردة ثلاثة أشياء:

١ - أحدها أنا لسنانجد في كثير من المواضع في الدواء المفرد مايحتاج إليه من القوى التي بها يلتئم العلاج أو الحفظ.

٢ - الثاني أن تكون موجودة في الدواء المفرد، ولكن يحتاج منها إلى مقدار أقلَّ أو أكثر.

٣ - والثالث أن يكون في الدواء المفرد قوى لسنانحتاج إلى استعمالها في ذلك العلاج المقصود ولا في ذلك الحفظ «[«حجب» الآثار غير المرغوبة لدواء ما بدواء آخر يضاف إليه].

«... على أنه غير ممتنع أن يجتمع من تعاضد القوتين عند المزاج فعل أقوى من فعل كل واحد منهما على الانفراد (Synergism) ... فإن أفعال الأدوية في الأبدان إنما هو أمر إضافي [أي نسبي]، وليس ذلك في الحقيقة شيئا تابعا لأجزاء الدواء نفسه».

- «... ولجهل الحُدُث من الأطباء بهذه الأشياء تراهم يقولون إن الدواء الحار في الأولى إذا خلط مع حار في الثالثة صيّره في الثانية. ليت شعري، فاذا خلطنا به [أي بالحار في الثالثة] البارد في الأولى إلى أي درجة يصيّره البارد؟ فإن قالوا إلى المرتبة الثانية، فقد صار الحار في الأولى، والباردُ في الأولى، يصيِّران الحارَّ في الثالثة إلى مرتبة واحدة ... وهذا كله تخبط ... والذي أوقعهم أولا في هذا التخبط إنما هو الرجل المعروف بالكندى، وذلك أن هذا الرجل كتب مقالة أراد فيها أن يتكلم في القوانين التي بهاتعرف طبيعة الدواء المركب، فخرج إلى التكلم في صناعة العدد، وصناعة الموسيقى، على جهة مايعرض لمن ينظر في الشئ النظر الذي بالعرض (أي نظرة عارضة). وأتى هذا الرجل في ذلك الكتاب بهذيانات وشناعات. وجعل يقول إن نسبة الدرجات الأربع من درجات الأدوية هي نسبة الأضعاف، حتى تكون الدرجةُ الرابعةُ ستةَ عشرَ ضعفا، وذلك أنه جعل الأولى ضعف المعتدل، والثانية ضعف الأولى، والثالثة ضعف الثانية، والرابعة ضعف الثالثة، فهل لاكَفاه في ذلك أن يقول: إن الثانية ضعف الأولى والثالثة

ثلاثة أضعافها، والرابعة أربعة أضعافها؟ فإن هذا هو الذي قصد في ترتيبها لتكون مراتبها متساوية. . . . فأي اختلال في هذه الصناعة أعظم من هذا الاختلال؟ هذا كله هذيان وخرافات، وتكلم في أشياء ليس لها وجود. . ولكن عادة الناس إذا غلط رجل معروف أن يتبعوه، لما غلب على طبائعهم من قوة التقليد».

أثر العادة:

«إن العادة من شأنها أن تصّير الضد شبيها وملائما، وذلك أن الضد متى ورد عليه ضده شيئا فشيئا، وطال وروده عليه، استعد بذلك لمقاومته، ومتى ورد عليه دفعة من غير ورود متقدّم أفسده، ولذلك متى هجم على الأبدان الحر أو البرد مرضت، وهذه أحد الأمور المقصودة في تدرج الفصول، لأن الأبدان لو خرجت من فصل الشتاء إلى فصل القيظ دفعة لهلكت. وقد بلغ من تأثير العادة أنّ قوما فيما زعموا تعودوا السموم على تدرج بأن تناولوا منها أولا مقدارا يسيرا، وما يزالون يزيدون شيئا فشيئا يتناولون منها حتى صارت لهم أغذية أوعادات لاتضرهم أصلا (Desensitization). ولهذا السبب بعينه ينبغي للطبيب أن يبدل الأدوية في العلاج، وذلك أنه إذا دام على الدواء الواحد ألفته الطبائع فلم تتأثر به» (Tolerance & Tachyphylaxis)

الاستفراغ:

«. . . وأما شكل العضو وخلقته فمنها أيضا يوقف على جهة استفراغة، مثال ذلك أنّا قد علمنا من خلقة المعدة أنها تستفرغ من جهتين بالقئ والإسهال. وكذلك علمنا من خلقة الكبد أنها تستفرغ من محدبها بإدرار البول، ومن مقعرها بالإسهال».

هذا عرض موجز لكتاب الكليات، أغفلت فيه ذكر أوجه

الاختلاف، ومواضع النقد التي يأخذها ابن رشد على جالينوس، لأني آثرت أن أضمها إلى مثيلاتها من الرسائل في قائمة واحدة تحت عنوان «شكوك ابن رشد على جالينوس» لما لها من دلالة على استقلال فكره وحِدّة ملكته النقدية. بقيت لي ملاحظة أخيرة على أسلوب ابن رشد في هذا الكتاب، وهي غلبة الاستطراد، إذْ كثيرا ما يتطرق في كلامه إلى قضايا جانبية، ثم يعود إلى ما كان فيه قائلا «.. وقد خرجنا عما كنا بسبيله، فلنرجع إلى حيث كنا فنقول ..».

ولكن لعل هذا هو شأن الفلاسفة عندما يكتبون، وتتداعي الأفكار إلى أذهانهم فلا يستطيعون لها دفعا. وما زال كثيرون منهم يتبعون هذا الأسلوب حتى الآن، وإن كانوا عادة يدفعون بهذه القضايا الجانبية إلى هوامش الكتاب وملحقاته حتى لا يتقطع المتن.

أما رسائل ابن رشد الطبية المنشورة فعددها تسع، عثر عليها بمكتبة الاسكوريال، وكلها تلخيصات وتعليقات على بعض مؤلفات جالينوس، فيما عدا رسالتين . إحداهما عن أصناف المزاج، والأخرى عن الترياق، فهما من وضع ابن رشد نفسه.

رسائل ابن رشد الطبية

١ - تلخيص اسطقسات جالينوس.

٢ - تلخيص كتاب المزاج لجالينوس.

٣ - تلخيص كتاب القوى الطبيعية لجالينوس.

٤ - كلام في اختصار العلل والأعراض لجالينوس.

٥ - مقالة في حميات العفن لجالينوس.

٦ - مقالة في أصناف المزاج لابن رشد.

٧ - مقالة في الترياق لابن رشد.

٨ - في حفظ الصحة لجالينوس.

٩ - في حيلة البرء لجالينوس.

يقول ابن رشد «إن الغرض في تلخيص كتب جالينوس أن يكون في ذلك تقريب على من أحب أن ينظر في هذه الصناعة، فإن تعلمها على المجرى الصناعي هو في كتب هذا الرجل. لكن في كلامه طول، ربما كلّ عنها كثيرا من الطلب. وأكثر ما حركني إليه ابْنايَ أبو القاسم وأبو محمد، إذْ كان لهما مشاركة في هذه الصناعة وفي العلوم الحكمية التي لا يتم النظر في هذه الصناعة إلا بها». وابن رشد في رسائله هذه لا يكتفي بتلخيص كلام جالينوس دون أن يعلق عليه، بل هو يعرض آراءه عرضا نقديا ويختلف معه في كثير من الأمور، وقد يقسو عليه في عبارته أحيانا، وبخاصة إذا رأى منه ما يمس فيلسوفه المفضل أرسطو. وبرغم أن «شكوك» ابن رشد على جالينوس - إن جاز لنا التعبير - هى خلافات نظرية وفلسفية في المقام الأول، إلا أن البعض منها يحتكم إلى الواقع والتجربة، وإليكم حصرا شاملا لها:

قال . . . وقلت

(شكوك ابن رشد على جالينوس)

(كما وردت في «الرسائل» و «الكليات»)

الاسطقسات

«قال : ولست أعرف سبيلا إلى ذلك (أي إلى طلب الاسطقسات) إلا السبيل التي يسلكها أبقراط».

«قلت : إلا سبيل أرسطو، فإنها أخص بهذا الفحص . . . . لأن الطب هو جزء من العلم الطبيعي، وهو إنما يخدم أفعال الطبيعة في الكون والفساد».

(أبقراط (٤٦٠ - ٣٥٧ ق.م.) يناقض القائلين في صناعة الطب بأن اسطقس الإنسان واحد من الأربعة البسيطة (الماء والهواء والنار والأرض)، وأنه لا يحس ولا يتأثر. لأن ذلك يبطل أصول الطب».

وأرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م.) يناقض القائلين في العلم الطبيعي بأن الموجود واحد بالعدد، وأنه غير متحرك وغير متناهٍ، ولا يستحيل إلى غيره،» لأن ذلك يبطل أصول العلم بالطبائع).

(جالينوس يتحدث عن «أبقراط الإلهي»، وابن رشد يصف أرسطو بأنه «صاحب المنطق» و «أول الفلاسفة»).

الأمزجة:

«قال : إلا أن أكثر الأطباء والفلاسفة قد عرفوا الأمزجة التي تتركب من غلبة كيفيتين فقط أعنى غيْرَ المضادة، وتركوا الأربعة التي نتخيل من غلبة كيفية واحدة من الكيفيات الأربع، فذكروا المزاج الحار الرطب، والحار اليابس، والبارد الرطب، والبارد اليابس.

وتركوا الحار فقط، والبارد فقط، واليابس فقط، والرطب فقط - وهي التي تكون الاثنتان الباقيتان في كل واحد منها متساوية، مثل الرطوبة واليبوسة في الجسم الحار، والحرارة والبرودة في الجسم الرطب. وذلك أن هذا التركيب ممكن، وذلك أن غلبة الحرارة ليست توجب غلبة رطوبة ولا يبوسة .. وأن البرودة ليست توجب مزيد رطوبة أو يبوسة ... وإذا كان الأمر هكذا فواجب علينا أن نتقدم فنحكم على أن أصناف الأمزجة تسعة: واحد منها معتدل، وثمانية غير معتدلة: أربعة منها خارجة عن الاعتدال في كيفية واحدة من الكيفيات الأربع، وأربعة خارجة عن الاعتدال في كيفيتين.

«قلت : هذه الاربعة التي ذكرها لم يكنْ ليغيب على القدماء

إمكان وجودها من جهة التركيب المتوهم، وإنما لم يذكروها لأنها ممتنعة عندهم . . . وما يقوله جالينوس من أن الحرارة لا يلزم عنها لا رطوبة ولا يبوسة، ولا البرودة يلزم عنها رطوبة ولا يبوسة، قول غير صحيح. وذلك أن كل حرارة تلزمها إما رطوبة وإما يبوسة . . . وذلك أن منزلة الرطوبة واليبوسة من الحرارة والبرودة منزلة الهيولى من الصورة. وكما أن لكل صورة مادة محدودة، كذلك لكل حرارة أو برودة رطوبة محدودة أو يبوسة محدودة وذلك كله خلاف ما ظن جالينوس».

المزاج المعتدل:

«قال: إن المزاج المعتدل هو الذي لا تغلب عليه كيفية من الكيفيات غلبة إفراط. . وصناعة الطب إنما تطلب رد المزاج الخارج عن المعتدل إلى المعتدل».

«قلت: المزاج المعتدل هو الذي تغلب عليه الحرارة والرطوبة دون إفراط. . وذلك أنه قد تبين في العلم الطبيعي أنه لا يكون كَوْن للمركبات إلا بغلبة الكيفيات الفاعلة: وهي الحرارة والبرودة، للمنفعلة: وهي الرطوبة واليبوسة، وأن تكون المتضادة من كل واحد من هذه هي الغالبة لضدها، حتى تكون الحرارة هي الغالبة للبرودة، والرطوبة لليبوسة، في الحيوان. وإنما يسمى هذا المزاج معتدلاً بالإضافة إلى جودة أفعال الحيوان. . أما المعتدل الذي يُتصور فيه تساوى الكيفيات على الحقيقة فليس يمكن أن يوجد».

الفصل المعتدل:

«قال: إذا اعتبرت الربيع وجدته لا يغلب عليه الحر ولا البرد ولا الرطوبة ولا اليبوسة، فيتبين لك أنه متوسط بين أطراف الكيفيات، إذ

ليس تغلب فيه الحرارة واليبس كما يغلبان في الصيف، ولا البرودة والرطوبة كما يغلبان في الشتاء. ولأجل هذا قال أبقراط: إن الربيع أصح الأوقات وأقلها موتا».

«قلت: إن في كل من فصول السنة يغلب فيه اسطقس من الاسطقسات الأربعة المناسبة لذلك الفصل، وبهذا التعادل الذي في غلبة بعضها على بعض في أوقات محدودة من السنة على السواء أمكن ألا يُفسد واحد منها الآخر بكليته، وأمكن أيضاً في كل جسم مركب من الاسطقسات الأربعة أن يتحفظ الجسم الذي تركب منها زمانا، حتى يكون الشتاء هو الحافظ للجزء البارد الذي في المركبات، والصيف للجزء الحار، وكذلك في سائرها. وبذلك كانت الفصول الأربعة موافقة لبقاء الحيوان والنبات والاسطقسات الأربعة أنفسها وجميع ما تركب منها. وهذا هو الاعتدال الطبيعي الموجود في كل وقت، ليس كما يقول جالينوس من أن الربيع وحده هو المعتدل، لأنه لو كان مزاج الزمان كله ربيعا «لهلكت الموجودات» ذلك أن «الاعتدال» أو الخروج عن الاعتدال، ليس هو بالإضافة إلى أطراف الكيفيات التي في الغاية، بل بالإضافة إلى أطراف الكيفيات التي في ذلك النوع.. أعني أن المعتدل هو الذي وسط بين طرفي الحرارة والبرودة وبين طرفي اليبوسة والرطوبة الموجودة في مزاج الإنسان بما هو إنسان ذو مزاج طبيعي، وهو الحار الرطب».

البلاد المعتدلة:

«قال: . . وينبغي أن نتفقد حالات الأعضاء من الجلد الذي يحيط بها، وذلك في البُلدان التي تصدق دلالة الجلد فيها على الأعضاء الباطنة، وهي البلاد المعتدلة كبُلداننا - يعني التي هي بلاد الروم اليوم. .».

«قلت... ومن هذه بلادنا هذه، وهي التي تسمى في دهرنا بجزيرة الأندلس».

السبار:

«قال: ولما كانت جلدة كف الإنسان (وبخاصة طرف السبابة) متوسطة بالحقيقة فيما بين جميع أطراف الكيفيات المتضادة، أدركَت جميع الكيفيات الخارجة عن الاعتدال. ولذلك هذه الجلدة هي السبار التي بها يعرف خروج جميع الأمزجة الخارجة عن الاعتدال بمقايستها إليها، لأن الكف جعلت للحس ليدرِك بها الملائم والمنافر».

«قلت: الجلد إنما هو لمكان الوقاية، والعضو المخصوص بحاسة اللمس الموصوفة بالاعتدال عند أرسطو هو اللحم».

القوى الطبيعية والكيفيات الأربع:

«قال: وجميع الأعضاء إنما تفعل الفعل الذي يخصها بالمزاج الذي حصل لها من اختلاط الكيفيات الأربع. إلا أن قوما قليل عددهم، لكن من المشهورين بالعلم، يقولون إن الحار والبارد كيفيتان فاعلتان، والرطوبة واليبوسة كيفيتان منفعلتان. وأول من قال هذا أرسطوطاليس، وتبعه أصحاب المظلة* لكن أصحاب المظلة ساغ لهم هذا القول لأنهم يرون أن الكون يكون بالتكاثف والتخلخل، والذي يوجب التكاثف عندهم هو البارد، والذي يوجب التخلخل هو الحار، فكان قولهم منتظما.

وأما أرسطو فإذ كان لم يذهب في الكون مذهب هؤلاء، وكان

(*) أصحاب المظلة، الرواقيون Stoics.

يرى أن كون الاسطقسات بعضَها من بعض هو بفعل الكيفيات الأربع بعضها في بعض، وانفعال بعضها عن بعض، فقد كان الأولى به أن ينسِب المركبات إلى فعل الكيفيات الأربع، لكنه استعمل الكيفيات الأربع في كون الاسطقسات وفسادها في كتاب «الكون والفساد» على أنها قوى فاعلة ومنفعلة، واستعمل الكيفيتين الفاعلتين فقط: الحرارة والبرودة في كون جميع ما يتكون من الاسطقسات، والمنفعلتين فقط: الرطوبة واليبوسة، وذلك في كتابه «الآثار العلوية» وفي غير ذلك من كتبه. ولو كان قال: إن فعل البارد والحار في الحيوان أكثر، وفعل اليابس والرطب فيه أقل، لقد كان قولا يوافقه عليه أبقراط، لكن تخصيصه الحرارة والبرودة بالفعل، والرطوبة واليبوسة بالانفعال، هو قول لا يوافقه عليه أبقراط، ولا هو أيضاً يوافق نفسه في ذلك بحسب ما قاله في كتاب «الكون والفساد».

«قلت: لو تثبت جالينوس فيما قيل في حد الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وتثبت في طبيعة المتكونات من الاسطقسات الأربع، لما قال هذا القول. وذلك أن كون المركبات من الاسطقسات الأربعة إنما يتم بجمع بعضها إلى بعض، وخلط بعضها ببعض، وتفريق ما لا يصح من الاختلاط الأول أن يكون جزءا من المختلط الأخير، أعني المتكون. وقبول المختلط منها للتجسد والانحصار بالسطوح المحيطة به، وهو أول الأشكال. فأما الفعلان الأولان فهما ضرورة يكونان عن قوى فاعلة غالبة من قوى الاسطقسات لا عن قوى منفعلة. وأما قبول المركب السطوح المحددة له والجسد القائم بذاته فإنما يكون ضرورة عن قوى منفعلة من قوى الاسطقسات..

فما كان أليق بمقام جالينوس أن يتثبت، ولا يعجل بالرد على أرسطوطاليس في هذه الأشياء، إذ ليس يخفى على أحد أنه الرجل

الذي مرتبته من الحكمة المرتبة التي كان يراها جالينوس لأبقراط في علم الطب».

«قال جالينوس: إن من نظر في آراء اسقليبادس* من أنه رام في جميع أقاويله أن يتحفك بالأصول التي وضعها، مع علمه بمناقضتها لما يظهر حساً.

وأما أفيقورش** فيريد ألا يناقض الأمور التي تظهر عيانا، وألا يناقض أصوله، فيأتي بأقاويل مضحكة.. إلا أن أهل دهرنا لما كانوا ينسبون أنفسهم بعضهم إلى الطب وبعضهم إلى الفلسفة من غير أن يكونوا يتقدمون فيعلمون أمر هاتين الفرقتين المبطلتين، ولا أمر الفرقة الفاضلة (أي اتباع أبقراط)، ويمتحنوا ذلك في مدة طويلة، فليس بعجب أن يكون أهل الباطل في دهرنا هذا يساوون أهل الحق في الكرامة والاشتهار».

«قلت: هذا الذي ذكره جالينوس هو موجود في أكثر الأمم الذين وصلتنا أخبارهم، وبخاصة في أهل دهرنا هذا».

«قال: فأما أرسسطراطيس*** فلست أدري لِمَ يُخطّىء هذا الرأي الذي هو رأي أبقراط، وصار في هذه الأشياء إلى آراء أخرى، يريد إثباتها بخصومة طويلة، كما فعل ذلك في الازدراد لِما يُزدرد، لأنه بلغ عند ذكره من ترك رأي أبقراط إلى أن نفى الجذب..»

(*) اسقليبادس Asclepiades كان يقول بالمادية الآلية Mechanical Materialism وهي نقيض الغائية Teleology.

(**) أفيقورش Epicurus كان يقول بالذرية Atomism وهي نقيض الكلية Holism.

(***) أرسطراطيس Erasistratus.

«قال: فكما لم يجب أرسسطراطيس أن يصرح بالجذب، ولا أمكنه أن يقول بغير ذلك، سكت عن الوجه الذي به يكون تميز البول من الدم. قال: ولما سكت ارسسطراطيس، وكذب اسقليبادس على ما نحس، كانا بمنزلة عبدين كانا في دهرهما يجنيان جنايات كثيرة ويقعان في بلايا عظيمة، فلما أخذا في جناية عظيمة وقدرا على ما استقر عندهما، سكت الواحد، وحجر الآخر، وجعل ما حجره تحت إبطه، وجعل يحلف أنه لم يره».

«قلت: هذا القول يا جالينوس منك ليس يقتضيه مكانك في العلم وحبك في الحق. وقد كان الأليق بمكانك ألا تحمل على هذين الرجلين هذا الحمل. فإنه كما يقول ارسطوطاليس: لو لم يكن المتقدم لم يكن المتأخر، ولو لم يكن من تقدمك من الأطباء لم تكن أنت، فكل من قال شيئاً على طريق البحث والنظر أخطأ فيه أو أصاب، يجب أن يشكر، كما يقول أرسطوطاليس: فإنهم لو لم يكن لهم من الفضل إلا أنهم خرجوا أذهاننا».

وظائف الأعضاء:

- الشعر:

«قال: إنه إنما يتولد في البدن من البخار الدخاني المحترق، وإن الطباع تصرف هذا البخار مادة للشعر، حتى يكون الشعر شأنه أن يجتذب تلك المادة الرديّة من الجسم لينقي بذلك الجسم، على ما نرى كثيرا من الفلاحين يعمدون إلى الأرض التي يريدون أن يصلحوها فيزرعون فيها من النبات ما شأنه أن يجتذب الجزء الأرضي المحترق الذي فيها، وعلى هذا الوجه فقد يكون له منفعة ما».

«قلت: في قوله نظر.. وذلك أن الشعر يظهر أنه جسم متمدد يابس، وليس هو بخارا متراكما، بل هو جسم متصل شديد الاتحاد، نامٍ في الطول».

العلل والأعراض:

«قال: إن تفرق الاتصال جنس من أجناس الأمراض، عام لجميع الأعضاء».

«قلت: إن كان تفرق الاتصال جنسا من أجناس الأمراض، عاما لجميع الأعضاء، فقد يجب أن يكون الجنس الذي يقابله، وهو اتصال الأعضاء واتحادها، معدودا في أنواع الصحة الموجودة في الحيوان، وجالينوس لم يثبت هذا الجنس في أنواع الصحة، وأثبت مقابله في أجناس الأمراض. ولذلك ينبغي أن يعد هذا أيضاً في أصناف الأمراض صنفا مقابلا لهذا، وهو اتحاد المفترق.. مثل التحام عظم الأصابع وغيرها».

الحميات:

بعد أن لخص ابن رشد كتاب «الحميات» لجالينوس، عقب عليه قائلا: «...وفي كل ما قاله في ذلك نظر..».

«قال: إن الحرارة الحموية هي عفونة، وانها تُفني الأخلاط وتحيلها إلى طبيعة البخار».

«قلت: ليس حرارة الحمى حرارة عفونية، ولا يجب أيضا أن تكون الحميات الدائرة من أخلاط تجتمع في عضو مخصوص ولا بد، إما على جهة التولد في ذلك العضو، وإما من جهة الانصباب إليه من عضو. بل الأشبه أن يكون الخلط في هذه الحميات مبثوثا في جميع

الأعضاء* أو في أكثرها، إذ نرى الآلام مستوية في جميع الأعضاء في وقت نوبة الحمى، وإنما تختلف في ذلك بالأقوى والأضعف. ولو كانت الحمى الباقية في انحصار الخلط في عضو مخصوص، لأشبهت جميع الحميات التي تكون عن الأورام في أعراضها من الوجع والثقل في موضع واحد، من غير استواء ظهور النضج في جميع الأعضاء.

وبالجملة، فالأشبه والأولى أن تنسب الحمى إلى جميع البدن* من قَبْل أن تنسب إلى عضو، وأن ينسب مبدأ حركتها إلى القوة الطبيعية الشافية من أن ينسب إلى الحرارة العفونية الحادثة من خارج، والتي لا تعرض إلا في أبدان الموتى.

وهذا كله على الأصول التي يقررها جالينوس. لكن ليس بمنكر على الناظر أن يؤصل أصولاً في علم، ثم يسهو عن تلك الأصول في موضع من المواضع. ولذلك لا ينبغي أن يُتطرق إلى العلماء في أمثال هذه المواضع، وبخاصة إذا كانوا هم الذين أفادونا الأصول التي بها وقفنا على سهوهم في هذه المواضع».

العلاج بالفصد في الحمى المطبقة:

«جالينوس يرى في هذا الموضع، إذا كانت القوة قوية، أن يخرج لهم من الدم إلى أن يغشى عليهم، ولا بد. قال: فإن بذلك تبرَد أبدانهم على المكان بردا سريعا، وربما انطلقت طباعهم بمرار أو قيء - وبالجملة فيرى أن هذا العلاج ضروري في هذه الحمى..

«...وأنا أرى أن هذا المقدار من الاستفراغ غير صناعي (أي غير

(*) هذا يقابل ما نسميه الآن «تعفن الدم Septicemia» أو «تسمم الدم Toxemia».

طبي)، وأن صاحبه مخطىء قطعا. وذلك يظهر من أن الصناعة إنما تتقيل (تقلد أو تحاكى) أبدا الطبيعة، ولم يقع قط بحران محمود بدم يبلغ به صاحبه إلى الغشي، بل إنما يقع ذلك في البحارين الرديئة.. وأيضاً إذا كان المقصود في الاستفراغ بما هو استفراغ، إنما هو إزالة الكمية الزائدة على الكمية الطبيعية للدم، أفترى إنساناً يخرج من دمه حتى يبلغ الغشي، ولم تنقص كمية الدم الطبيعية في بدنه؟ هذا شيء لا أراه ممكنا. وإنما قصد جالينوس بهذا تبريد البدن دفعةً، فكأنها معالجة بالعرض (Symptomatic treatment) مع ما فيها من الخطر».

الأدوية:

«قال: إن المعرفة بتركيب الأدوية إنما تكون بعد المعرفة بحيلة البرء».

«قلت: لعل الأمر في ذلك بالعكس، فإنه كما ينبغي أن تكون عند المعالجة قوى الأدوية عتيدة عندنا متى احتجنا إليها، كذلك الأمر في وجه التركيب، وإلّا لم يمكنا أن نعالج».

«وجالينوس وغيره من الأطباء يصف الراوند.. ونحن نجده اليوم مسهلا، بأنه حابس للبطن...

«...والإعياء القروحي قد يكون فاعله أخلاط بلغمية (فلغمانية) خامية، وهؤلاء لا تنتفخ بطونهم وتعتريهم رياح غليظة، ولذلك قد يطعمهم جالينوس الدواء المعمول بالثلاثة الفلافل (فلفل أسود.. فلفل أبيض - دار فلفل «الثمرة أول ما تطلع»)، ولكن قد ينبغي في إقليمنا هذا إذا استعملت هذا العلاج أن تستعمله بحذر وتوق، وإلا جلبت الحمى من ساعتك على المريض، فإن إقليم جالينوس أبرد من إقليمنا،

وإنما كان جالينوس يستعمل هذه المعالجة في زمان الشتوة، وفي غير سن الشباب».

«مقادير الأدوية إنما استنبطت أولًا بالقياس، ثم صححت أخيراً بالتجربة.. ولذلك كل دواء مركب بالقياس يستعمل قبل التجربة، ففيه نقص.. فوجب تقدير الأدوية في مرض مرض بحسب قوة المرض والمريض، وبحسب المزاج والسن والبلد والعضو الذي فيه المرض، إن كان المرض مخصوصا بعضو ما. وكلما كان الدواء أقوى، كانت المضادة فيه لبدن الإنسان أكثر، إذ كل دواء فهو مضاد لبدن الإنسان، وإنما هو نافع لبدن الإنسان بما هو دواء إذا كان في بدن الإنسان مرض مضاد له. ولذلك لا ينبغي أن تتجاوز قوةُ الدواء قوةَ المرض، ولا أن تفضل عليه، لأن الفاضل منه يكون ممرضا للبدن. ولكون الدواء لا يكون نافعا بالذات إلا في وقت المرض، وجب ألا تحفظ الصحة التامة بالأدوية، وإنما تحفظ بها الصحة المستعدة للأمراض».

الترياق:

«... هل ينفع استعمال الترياق في حفظ الصحة من حدوث الأمراض باطلاق؟»

«جميع الأطباء: جالينوس فمن دونه، يرى أنه ينفع، وأن قوما من ملوك زمانهم كانوا يأخذونه كل يوم، وربما أخذه بعضهم مرتين في اليوم.. فلا يضره».

«وابن سينا يقول إن الترياق مقوٍّ بجملة جوهره للحرارة الغريزية، ومفيد لها جميع القوى التي بها تفعل الإبراء في جميع الأمراض، وتفعل الصحة في جميع الأعضاء».

«وأما أصول جالينوس فتقتضي نقيض هذا، وذلك أن الأدوية

النافعة من السموم هي وسط بين الأدوية والسموم، كما قاله الرجل في كتابه «في الأدوية المفردة».

«وأما ما يقال: إن من داوم على أخذ هذا الترياق فإنه لا يعمل فيه سم.. ويبقى مع ذلك مزاج ذلك الإنسان على أصله الطبيعي، فهو باطل.. لأن بدن هذا الإنسان يصير باستعمال الترياق مضادا لبدن الإنسان.. ومن صار مزاجه مضادا لمزاج الإنسان فليس يمكن أن يبقى إنسانا..».

«فالأبدان الطبيعية، وهي الموجودة في الأكثر، ليس ينفعها الترياق في حفظ صحتها، بل يمرضها. ولا ينفعها في أمراضها إذا كانت أمراضا معتادة تتولد عن أخلاط غير سمية. هذا هو الذي أعتقده في هذه المسألة.. وقد غلط ابن سينا حين قال إن الترياق يعين الحرارة الغريزية في جميع القوى التي بها تحفظ صحة الأبدان».

..وشكوك على أبقراط:

«الفصل الذي يقول فيه أبقراط حدوث اليرقان قبل السابع دليل رديء، قد أكدته التجربة في بلادنا هذه، وبخاصة في الأمزجة الحارة، والفصل الحار، فيما حكاه أطباء العراق، وبعض أطباء الأندلس. وعسى ذلك كان بالإضافة إلى بلاد اليونانيين، فإن تلك البلاد أبرد».

«...وأما الحامل فإن أبقراط رأي ألا تفصد إذا تحفّظ بجنينها إلا من الشهر الرابع إلى الشهر السابع إذا كانت الأخلاط في بدنها هائجة، وأباح استعمال المسهل.. وأنا أقول: أما استعمال الفصد إذا كان هنالك امتلاء زائد على ما يحتاج إليه الجنين فلا بأس به. وأما استعمال الأدوية المسهلة فإني لا آمن من غائلتها على الجنين من جهة أن فيها جوهرا سميا، وأيضا فإن الجذب ربما تعدى إلى أخلاط الجنين فقتله،

وأيضاً فإن الأدوية المسهلة مدرة للبول، والمدر للبول من جنس المدر للحيض، والمدر للحيض مسقط».

* * *

هذه صورة من قريب لابن رشد الطبيب، كما نستشفها من أعماله المنشورة. لا نزعم فيها أنه كان عملاقا إكلينيكيا كما كان الرازي مثلا، ولكنه لا شك كان مفكراً عظيما. ولعل أكثر ما يحببه إلى قلوب الأطباء المعاصرين هو إيمانه بالعلوم الطبيعية أساسا للصناعة الطبية، وبالممارسة والتجربة مصدرا للمعرفة، وبالنقد والاختلاف طريقا إلى الحقيقة. وهو في سبيل ذلك لا يتردد في نقد أبقراط وجالينوس والكندي وابن سينا، كما نقد الغزالي من قبل. وحسبه أنه ما زال مثلاً يحتذى في حرية الرأي ورفض الجمود الفكري.

رئيس الجلسة:

شكراً للأستاذ الدكتور أبو شادي الروبي، والآن المجال مفتوح للمناقشة، فمن عنده سؤال فليتفضل.

المناقشات

دكتور لطفي الشربيني

لماذا لا تدرس مثل هذه المعلومات لطلبة الطب؟ في الواقع يتخرج الطبيب في الدول العربية كلها وهو يدرس الطب الحديث أو الطب الأوروبي أو الطب كما هو موجود في المراجع في وقتنا الحالي، ولا توجد في كل مناهج كليات الطب أي إشارة إلى هذه المعلومات عن عمالقة الطب ورواده في التراث العربي مثل ابن سينا والرازي وابن رشد وابن النفيس، هذا ممكن أن يضيف إلى أي طبيب ماذا فعل هؤلاء، ويضيف أيضا نوعا من القدوة ونوعا من الإلهام في طريقة التفكير لأن هؤلاء كانوا روادا بحق.

وسؤالي هو:

لماذا لا يتم التوصية أو التفكير في إضافة مثل هذه المعلومات إلى مناهج كليات الطب؟ وشكرا.

دكتور أبو شادي الروبي:

في الحقيقة أنا مارست تدريس تاريخ الطب العربي في كليات الطب في القاهرة وفي كلية طب أسيوط وفي كلية طب جامعة قناة السويس فترة أكثر من عشر سنوات، كان هذا الكلام منذ عشرين سنة، وكنا نمتحن هؤلاء الطلبة في السنة النهائية، فراعني جهل الطلبة عموما بتاريخ الطب العربي وتاريخ العرب حتى كانت الإجابات عن الأسئلة مثيرة للضحك؛ أرجوزة بدلا منها الأراجوزة، الكناشة في الطب تبقى

النكاشة، الزهراوي بقي الظواهري وهكذا، يعني عموما تعليم تاريخ الطب منعدم حتى في كليات الطب، وهذه ظاهرة غريبة جدا فأي ممارس لأي مهنة: هندسة، طب، زراعة أو أي شيء يجب عليه أن يلم بشيء من تاريخ تخصصه مهما يكن، للأسف هذا البعد التاريخي منعدم في الكليات وفي التدريس، وأخشى أن أقول إن هذا المفهوم منعدم عند المعلمين فهذه المسألة محتاجة إلى إعادة نظر ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، يعني أن المشرفين على هذه المقررات أنفسهم كثير منهم يفتقدون هذا البعد التاريخي لأي تخصص. وشكرا.

مداخلة الدكتور محمد بن شريفة

أحب أولًا أن أنوه بالأسلوب الواضح والسلس للأستاذ الدكتور أبو شادي الروبي، وبالمناسبة أذكر أن أطباءنا القدامى ومنهم ابن رشد المتحدث عنه وابن زهر كانت عبارتهم في كتابة الطب عبارة ترتفع إلى الأسلوب الأدبي، والسبب أن ابن رشد كان كما يذكر في ترجمته يحفظ شعر أبي تمام وشعر المتنبي، وابن زهر كان يحفظ ديوان ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب كما يقولون، وكان يحفظ صحيح البخاري. أقصد من هذا كله بعد أن نوهت بكتابة أستاذنا أبو شادي الروبي الذي يسير على طريقة هؤلاء الأطباء، الدعوة إلى أن يكون أطباؤنا المحدثون متمكنين من اللغة العربية تمكنا متينا وجيدا وقويا حيث إنهم يستطيعون أن يعبروا عن الطب الحديث كذلك بأسلوب بيّن دقيق بلسان عربي مبين. ولي بعد هذا ملحوظة صغيرة على ما ورد في البحث من كون سبب محنة ابن رشد تتعلق بالعبارة التي يذكرها المؤرخون وهي: أنه كتب كما ورد في تلخيصه لكتاب الحيوان أنه قد رأى زرافة عند ملك البربر، وأظن أن الناس يومئذ في المغرب في ذلك الوقت لم يكونوا يرون في التسمية بالبربر خدشا أو عيبا كما يدل على ذلك الإنتاج الأدبي والشعري في تلك الأزمنة. ولذلك فإن الأسباب المتعلقة بمحنة

ابن رشد - وهذا شيء وقفت عنده كثيرا في الموضوع الذي سأقدمه في هذه الندوة - هي أسباب كثيرة.

وجزئية أيضا صغيرة وردت في عرض الرسائل المذكورة والتي كانت توجد مخطوطاتها التي نشرت في أسبانيا كما نشرت عندكم في مصر، أريد أن أقول أن الرسالة المسماة «حيلة البرق» ليست لأبي الوليد ابن رشد وإنما هي لولده أبي القاسم محمد، هذه مجرد إشارة، وشكرا.

رئيس الجلسة: شكرا لكم.

الدكتور أبو شادي الروبي لي إضافة: إنني أقول إن محاضراتي في تاريخ الطب جمعتها في كتاب محاضرات في تاريخ الطب العربي، محاضرات باللغة العربية وألقيت باللغة الإنجليزية في محافل إنجليزية، حرصت فيها على أن أبرز تاريخ الطب العربي أمام الأجانب، وليس هذا إعلانا عن كتابي لأنه نفد، ولكني أطبعه للطلبة بالزيروكس وأوزعه عليهم مجانا، وأنا مستعد لأنْ أعطيكم نسخة من هذا الكتاب هدية للمنظمة وشكرا.

رئيس الجلسة: شكرا، أي سؤال آخر.

مداخلة الدكتور حسن الشافعي.

مع التحية والتقدير لأستاذنا الكبير، ألا تجدون نوعا من التعارض بين إلحاح ابن رشد على التجربة وأيضا على إقامة الطب على العلوم الطبيعية الأساسية وإهماله أو إغفاله أو اختزاله للجانب التشريحي؟ هل من تفسير؟ وشكرا.

دكتور أبو شادي: هذه قضية تاريخية إنهم يقولون إن تشريح الجسم البشري كان محرما أو مكروها، على أنه يقال إن ابن النفيس

شرح الجسم البشري ولكنه لا يعلن ذلك صراحة. فيما أعلم أن هذا كان سبب اعتمادهم الكلي على تشريح جالينوس. وأما تشريح الحيوانات فكان معروفا، وقد عثرت في مصدر على أمر غريب جدا، هو أن الرازي كان أسبق من الغرب على الأقل بثلاثة قرون من ناحية اكتشافه لحصيات المرارة، اكتشفها في الثيران، وشخصت وعرفت بعده بثلاثة قرون، والطريف في الأمر أن الذي ذكر هذا هو كتاب صدر بالإنجليزية سنة ٩٢ اسمه (أكسفورد كلينكال بوك أف هيباتولوجي بالإنجليزية Oxford Clinical Book of Hepatology) صدر عن جامعة أكسفورد عن الأمراض الإكلينيكية عن الكبد، في ١٩٩٢ في تاريخ الكبد، ذكر فيه أن الرازي كان أول من نبه إلى وجود حصيات في المرارة والقنوات المرارية من تشريحه للثيران. وشكرا.

رئيس الجلسة: شكرا للأستاذ الدكتور أبو شادي الروبي.. تفضل.

نائب الرئيس: د.يعقوب الشراح:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبدالله. أيها الأخوة والأخوات ننتقل الآن إلى الجزء الثاني من هذه الجلسة وموضوعها «ابن رشد وشرحه لأرجوزة ابن سينا» وقد أعد هذا البحث والدراسة الدكتور عمار الطالبي أستاذ ورئيس قسم الفلسفة في جامعة قطر.

والأستاذ الدكتور عمار الطالبي هو أستاذ الفلسفة في جامعة الجزائر، ورئيس قسم الفلسفة، وعميد كلية العلوم الإسلامية، ورئيس جامعة الأمير عبدالقادر، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضو المجمع الملكي في بحوث الحضارة الإسلامية في عمان، والآن أستاذ ورئيس قسم الفلسفة في جامعة قطر، وله عدة مؤلفات منها:

١ - آراء الخوارجي الكلامية.

٢ - آراء أبي بكر بن عربي ونقده للفلسفة اليونانية مع تعريف العواصم من القواصم.

٣ - تحقيق كتاب الكليات لابن رشد بالاشتراك مع أ.د.سعيد شيبان أستاذ طب العيون بجامعة الجزائر.

٤ - ابن باديس حياته وآثاره.. وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة.

نعطي الآن الكلمة للأستاذ الدكتور عمار الطالبي فليتفضل:

دكتور عمار الطالبي: بسم الله الرحمن الرحيم. السيد الرئيس الأخوة الزملاء، أشكر الأخوة القائمين على هذه الندوة لتكريم عالم مغربي في بلاد المشرق، وهذا لا يستغرب، فإن المشرق والمغرب ينتميان لحضارة واحدة، وموضوع بحثي هو «شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا»، ثم ألقى بحثه.

ابن رشد وشرحه لأرجوزة ابن سينا

الدكتور/ عمار الطالبي

ابن رشد وشرحه لأرجوزة ابن سينا

الأستاذ الدكتور عمار الطالبي

رئيس قسم الفلسفة – جامعة قطر

يمكن القول بأنه لاشك في نسبة «شرح أرجوزة ابن سينا» لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد (٥٢٠هـ / ٥٩٥هـ) إذ تجمع المصادر على أنه من تأليفه وخاصة «البرنامج»[١]، و«الذيل»[٢] وهما المصدران الرئيسان في إحصاء مؤلفات ابن رشد.

وقد طلب إليه تصنيف هذا الكتاب في أحد المجالس العلمية السلطانية التي كان يحضرها، وهو مجلس أبي الربيع بن أبي محمد عبد الله[٣] أحد أحفاد عبد المؤمن بن علي (ت ٥٥٨هـ).

وقد بين ابن رشد ذلك في ديباجة الشرح:

«فإنه ذكرت بالمجلس العالي مجلس السيد الأجل المعظم الموقر أبي الربيع بن السيد الأجل الأعلى الأسمى أبي محمد بن سيدنا الإمام الخليفة الأعظم أمير المؤمنين أيدهم اللّه، ونصرهم الأرجوزة المنسوبة إلى ابن سينا في الطب، وأنها محيطة بجميع كلياته، وأنها أفضل من كثير من المداخل التي وضعت في الطب، مع مااختصت به من النظم الميسر للحفظ، والمنشط للنفس، فأمروا أدام الله تأييدهم، لما جبلوا عليه من الرغبة في العلم، وخصوا به من إيثار الناس بالخير، أن نشرح

ألفاظها شرحاً يبلغ به الغرض المقصود منها، مع ترك التطويل والإكثار، إذْ كان التعبير عن المعاني العلمية بالأقاويل الموزونة، ربما أوجب حذفا للمعنى، وعواصة لفهمه، فبودر إلى امتثال رأيهم العالي، وشرع فيه»[٤].

فهذا سبب تأليفه وهذا منهجه في الشرح، كما بين ابن رشد أن هذه الأرجوزة لاتعدو أن تكون مدخلاً للطب اقتصر فيها مؤلفها على الأصول الكلية:

«وإنما ذكر منها ها هنا الأصول فقط، إذْ كانت هذه الأرجوزة كالمدخل»[٥].

وقد امتدح هذه الأرجوزة أيضا عبد الملك بن زهر (٥٥٧هـ) ألمع أطباء الأندلس وصديق ابن رشد، وفضلها على القانون نفسه مع طوله[٦].

وقد ألفت شروح متعددة لهذه الأرجوزة منها:

١ - شرح ابن رشد وهو أولها وسأعود إليه.

٢ - شرح أبي الحجاج يوسف بن محمد بن طلموس (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) وهو الذي خلف ابن رشد في منصب طبيب الخليفة الموحدي، فأصبح طبيبا لمحمد الناصر من سنة ٥٩٥هـ إلى سنة ٦١٠هـ. توجد منه نسخة بدار الكتب بتونس رقم ١٦٣ ورقمه القديم ٥٣٥٥، حبسها محمد الصادق باشا باي تونس في صفر سنة ١٢٩١هـ كان قد ألفه ابن طلموس لأبي يحيى بن أبي يعقوب يوسف بن سليمان عظيم الموحدين على حد تعبيره.

وذكر في أوله أن ابن رشد: «رأس الحكماء وفاضل العلماء» كان يثني على أبي يحيى هذا ويعظم شأنه، وناسخ هذه المخطوطة هو

محمد بن عبدالله بن الطاهر بن الطبيب بن السعيد المغربي شهر بالواهراني، وتاريخ نسخها أوائل صفر سنة ١٢٠٥هـ. وبين منهجه في التفسير وأنه قائم على مذهب الأطباء وإن كانت له آراء يخالفهم فيها، فإنه لم يرد ذكرها في هذا الشرح(٧).

كما توجد منه نسخة أخرى في مكتبة الفقيه ابن علي الدكالي في سلا بالرباط يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م(٨).

٣ - شرح الشريف الصقلي (ت ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م) توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة الجامع الأعظم بتونس(٩).

٤ - شرح أبي النجا شرف الدين موسى بن إبراهيم بن موسى (ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م)، وعنوانه: الجوهر النفيس في شرح أرجوزة الشيخ الرئيس، أتم تأليفه سنة ٨٧٠هـ توجد منه ثلاث نسخ في تركيا: الأولى في مكتبة لاله لي رقم ١/١٦٣٠ نسخها أحمد بن علاء الدين الترجمان سنة ١٠٤٢هـ. والثانية بمكتبة فيض الله أفندي رقم ١٣١٥ يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ١٠٨٧هـ والثانية بمكتبة بايزيد عمومي رقم ٤١٠٧(١٠).

٥ - شرح محمد بن إسماعيل بن محمد (توفي بعد ٩٨٨هـ) وتوجد منه ثلاث نسخ أولها بالجزائر (المكتبة الوطنية)(١٢). وثانيها بدار الكتب الوطنية بتونس رقم ٣٩ (٢٢) عنوانها «التوفيق للطبيب الشفيق» وهي بخط المؤلف، تاريخ نسخها ٩٨٨ هـ وثالثة بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٩٤٣.

٦ - شرح مدين بن عبد الرحمان القوصوني المصري (المتوفي بعد سنة ١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م)، عنوانها: «القول الأنيس والدر النفيس على منظومة الشيخ الرئيس»، توجد منه نسخة بمكتبة خسرو باشا رقم ١/٤٧١ ١٠١٠هـ، وأخرى بمكتبة ولي الدين افندي رقم ٢٥٤٢

نسخت سنة ١٠٢٢ هـ كماتوجد نسخة ثالثة بمكتبة راغب باشا رقم ١/١٤٨٢ نسخها مصطفى بن محمد الطيب سنة ١١٣٧هـ[١٣].

٧ - شرح محمد الجبلي الطبيب (ت ١١٣٧هـ). لانعلم بوجود أي نسخة منه.

٨ - شرح شبلي بن ابراهيم شميل (١٢٧٦ - ١٣٣٥هـ / ١٨٦٠ - ١٩١٧م) نشره مع الأرجوزة في المجلة التي أنشأها وهي «الشفاء» في ثلاثة أجزاء منها متوالية ابتداء من سنة ١٨٨٧م.

٩ - شرح أبي زيد عبد الرحمن بن أبي جمعة، ولا نعرف عنه شيئاً لحد الآن.

١٠ - شرح أحمد بن محمد بن محمد بن المهنا، عنوانه: الإيضاح والتتميم، كانت منه نسخة بتطوان بالمغرب الأقصى[١٤].

الترجمة:

ترجم شرح الأرجوزة لابن رشد إلى اللغة اللاتينية قام بها المستشرق الفرنسي Armengaud de Blaise أستاذ الطب في جامعة مونبليه Montpellier. في سنة ١٢٨٤م وكان طبيبا لفيليب لوبال: Philippe le Bel (ت ١٣١٤م)، أما المترجم فقد عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادي[١٥]، وتقع هذه الترجمة اللاتينية في المجلد العاشر من أعمال ابن رشد المطبوعة في البندقية سنة ١٥٥٥م[١٦]، وطبعت أول مرة في البندقية، سنة ١٤٨٤م ونشرت أيضاً في السنوات: ١٥٢٢، ١٥٥٦، ١٥٦٢، ١٦٥٨، ١٩٣٠، ١٩٤٩. كما أصلح هذه الترجمة Andrea Alpagus الذي ترجم مقالة الترياق لابن رشد أيضا: (Tractatus de Theriaca) وقد عاش في أوائل القرن السادس عشر، تعلم العربية في المشرق، وكان أستاذ كرسي الطب بجامعة البندقية[١٧].

أما شرح ابن رشد الذي نحن بصدده فتوجد منه عدة مخطوطات يتجاوز عددها العشرين[١٨]، منها خمسة بدار الكتب المصرية إحداها رقم: طب ١٢٣٩، وواحدة بالأزهر[١٩].

ونسخة بالجزائر بالمكتبة الوطنية رقم ١٧٥٣ وقد صورت ووزعت على المؤتمرين بمهرجان ابن رشد بالجزائر سنة ١٩٧٩ ونسخة بدار الكتب التونسية رقم ١٦١٥٥ وكان رقمها بالأحمدية ٥٣٥٢ حبسها المشير أحمد باشا باي تونس أواخر رمضان ١٢٥٦هـ على الجامع الأعظم، تاريخ نسخها ١٠٦٦هـ من يوم الخميس تاسع رجب بها ١٢٥ورقة. ونسخة بالقرويين بفاس رقم :٢٦٨٦.

ويوجد بالخزانة الملكية بالرباط ثلاث نسخ منها نسخة رقم ٣٨٢٥ وتمتاز هذه النسخة بأنها ختمت بتاريخ انتهاء ابن رشد من تأليفها وذلك في ١٦/ رمضان سنة ٥٧٥هـ، ومنها نسخة بمكتبة كلية الآداب بالرباط ونسخة بمكتبة المتحف العراقي رقم ٥٢٧٤[٢٠].

وتوجد نسخة بمكتبة أحمد الثالث رقم ١/١٩٥٣ وأخرى بجامعة استانبول القسم العربي رقم ٤٧٥٦ تاريخ نسخها ٩٤٦هـ ونسخة بمكتبة مغنيسا رقم ١٨١٧ نسخت في القرن الحادي عشر الهجري ونسخة بمكتبة ولي الدين أفندي رقم ٢٥٠٤ تاريخ نسخها ١١٤٠ هـ وأخرى رقم ٤٢٠٥[٢١].

ونسخة بالأسكوريال رقم ٨٣١، وأخرى بمكتبة جستربيتي رقم ٣٩٩٣. ونسخة بجامعة يال: Yale University Library Landerbery Collection Ms. 157 1531[٢٢].

فمجموع ما أشرنا إليه اثنتان وعشرون نسخة مخطوطة. وهناك ما لا نعرفه من النسخ بلا شك، لأن هذا الشرح كان مشهوراً جداً مشرقاً ومغرباً.

أما النسخة التي اعتمدت عليها لتوفرها لدي بالإضافة إلى النسخة الجزائرية والتونسية فهي نسخة مكتبة أحمد الثالث رقم ١/١٩٥٣ لأنها كتبت بخط جميل واضح ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ٢٦ ذي العقدة سنة ٦٩٣هـ بالاسكندرية وبها ٢٨٤ صفحة عنوانها:

«أرجوزة الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا في الطب رحمه الله بشرح الفقيه القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد تغمده الله برحمته ورضوانه».

وعليها تملك: انتقل هذا (كذا) النسخة لملك العبد الفقير إلى الله تعالى محيي الدين ابن زين العابد في أوائل شهر رجب سنة إحدى وخمسين[٢٣].. والمشتري من الشيخ شمس الدين، وكتب على الغلاف:

«كان الطب معدوماً فأوجده بقراط ثم مات فأحياه جالينوس ثم عمى بصره حنين ثم تفرق وتشتت في البلاد فجمع شمله محمد ابن زكريا الرازي، قال القطب العلامة الشيرازي[٢٤]: ولابد أن يقال: كان الطب ناقصاً فكمله الرئيس ابن سينا».

أما النسخة التونسية التي سبقت الإشارة إليها (رقم ١٦١٥٥) فخطها مغربي بها ١٢٥ ورقة ولها مقدمة طويلة مع مقدمة ابن سينا للأرجوزة أضيفت إليها إضافات ليس لها قيمة، وفيها جزء في مدح القاضي ابن رشد، ليس ذا أهمية، وهذا لايوجد في النسخة الأخرى، وهي أقل جودة إذ بها أخطاء كثيرة،وبها محو في بعض المواضع،[٢٦] وضع الناسخ أو المؤلف حرف (ص) للدلالة على المتن وحرف (ش) للدلالة على الشرح، وبها تصحيحات قليلة[٢٧]. ولكن يلاحظ أن بها زيادة لاتوجد في الأخرى وهي أن الناسخ فيما يبدو أو غيره قد أضاف إلى النص تنبيها نقل فيه نصا لمسلمة المجريطي[٢٨].

١ - المضمون العام للشرح:

تابع ابن رشد في شرحه طريقه الأرجوزة في عرض الأصول النظرية والعملية التي ذهب إليها ابن سينا في علم الطب من المبادىء والمشاهدات والنصائح الغذائية والعلاجية وختمها بالجزء العملي الخاص بالجراحة وتقنياتها وهي في الواقع خلاصة واضحة لكتابه «القانون»، ولذلك وصفها أبو مروان عبد الملك بن زهر فيما يروي شارحها محمد بن إسماعيل بن محمد بأنها: «تشتمل على كل مبادىء هذا العلم، وأنها تغني عن جملة من المصنفات في هذه الصناعة».

لخص فيها ما يتعلق بالعناصر الأربعة (الاسطقسات أو الأركان) والمزاج، والأخلاط والأعضاء، والقوى والأرواح والأفعال وما يتعلق بالأهوية والمأكل والمشرب والرياضة والنوم واليقظة والاستفراغات والأحداث النفسانية والمرض وأسبابه والعلامات أو الأعراض، والعلاج وحفظ الصحة والأغذية والأدوية والجراحة.

قسم ابن رشد شرحه الذي وصفه بأنه شرح مختصر[٢٩] إلى جزئين أيضاً الجزء النظري (من ص ١ - ١٩١). والعملي (من ص ١٩٢ - ٢٨٤).

ويمكن تلخيص الموضوعات الرئيسية التي شرحها والتي هي موضوعات الأرجوزة أيضاً على النحو التالي:

الجزء الأول في الطب النظري وبه ثلاثة فصول: الفصل الأول يتضمن الفسيولوجيا: Physiologie والثاني المرض: Pathologie والثالث الدلائل: Semeiotique.

أما الجزء الثاني في الطب العملي ففيه فصلان:

الأول: العلاج بالأدوية والتدبير Therapeutiqne et Regimes.

والثاني: في الجراحة de la Chiriugie.

وتدخل تحت كل فصل مسائل فرعية متعددة.

٢ - منهج ابن رشد من خلال الشرح:

امتدح ابن رشد أرجوزة ابن سينا كما أشرنا إلى ذلك من قبل ووصفها بأنها: «محيطة بكليات الطب وأفضل من كثير من المداخل التي وضعت في الطب مع ما اختصت به من النظم الميسر للحفظ، المنشط للنفس»[٣٠]، وبما أنها مدخل فمن المناسب أن يقتصر فيها وفي شرحها على الأصول الكلية، قال ابن رشد: «وإنما ذكر منها (أي من صناعة الطب) هاهنا الأصول فقط إذ كانت هذه الأرجوزة كالمدخل[٣١]».

ويعطي ابن رشد إذن للأصول والكليات وزناً كبيراً وهذا يتفق مع اتجاهه في الطب عموماً ومع كتابه الكليات، بل مع كتابه الفقهي أيضاً، كما أنه يهتم بما للتجربة من وزن في صناعة الطب في هذا الشرح ويرى أن «المعول في هذا المعنى على التجربة»[٣٢] لا القياس، ويذهب إلى أن «العقل لا يحيط بغير متناه»[٣٣] باعتبار أن خواص الأدوية لايكتفى بالعقل في الإحاطة بمعرفتها لأن هذه الخصائص لانهاية لها، ولذلك هاجم المتكلمين الذين ظنوا أن هذا جهل بالخصائص، وحذر الطبيب من خطر التجربة في خواص الأدوية أيضاً حتى يثبت لديه أثرها بالتجربة المبرهن عليها، ونصح باستعمال الأدوية التي شهد لها الجميع.

وهنا يؤكد ابن رشد الإجماع لدى الأطباء أو ما يسميه «شهادة الجميع»[٣٤]، وهو يرى أنه إذا تعارضت الأدلة التي تدل على مرض ما فعلى الطبيب أن يسلك طريقة الفقيه القاضي الذي يجعل الحكم للعدد

أي الغالبية من الأدلة إذا تعارضت لديه الشهادات أو البينات أو اختلف الشهود وكما يفعل الفلكي أو المنجم في قوى الكواكب المختلفة من قبل اختلاف مواضعها[٣٥].

أما إذا تساوت في الدلالة في بدن واحد «ولم يمكنك الترجيح لا من قبل الكثرة ولا من قبل القوة، لأنه رب علامة أقوى من علامة فالذي يكون عند الطبيب من سلامة العليل وهلاكه هو شك لاغير، ولذلك ينبغي للطبيب في هذه الحال أو يتوقف ويعمل في العلاج على الرجاء»[٣٦].

ولا أريد هنا أن أسهب في منهج ابن رشد بالتفصيل في مجال التجربة فقد أفردت له بحثا[٣٧].

وإنما الذي أريد أن أؤكده هو أن عمل ابن رشد في الطب يمكن تلخيصه تاريخيا بأنه معرفة للطب القديم والحذق فيه وكذلك الطب المعاصر له وشرحه له، ومن جهة أخرى فإن عمله نظر مستقل أو إن شئت قلت إنه تتميم لما قال القدماء[٣٨] سواء في مجال النظر أو في مجال العمل. وإن كان قد صرح بأنه عاقه عن الكمال في الطب قلة ممارسته أو مزاولته إياه.

ومن مقاصده الرئيسية في أعماله التنبيه على قصور أقاويل الأطباء في بعض المسائل، وخاصة تلاخيصه لبعض مؤلفات جالينوس، ولذلك نجده يقول في آخر تلخيصه لكتاب العلل والأعراض لجالينوس: «وهذا القدر كاف فيما قصدنا إليه من التنبيه على قصور أقاويل الأطباء في هذا الأشياء»[٣٩].

هو وإن كان يعتد بنفسه أحيانا، ويرى أنه تكلم فيما لم يتكلم فيه أحد من قبله، إلا أنه يتواضع، ويعترف بأنه في كلامه الجديد وفي استنباطه أو في تجربته قد بني على أصول من تقدمه، وأن لهم الفضل

بهذا السبق الأصولي يقول ابن رشد: «وإذ قد سرنا إلى هذا الموضع فلم يبق علينا مما قصدنا للتكلم فيما لم يتكلم أحد ممن قبلنا ممن علمناه، وإن كان كلامنا فيه مبنيا على أصول من تقدمنا، ولذلك كان الفصل لهم على كل من أتى بعدهم[٤٠]، كما أنه ينص على أنه متمم لأغراض الأطباء ومضيف لما وصلوا إليه وإن كان ذلك: «بحسب ما تعطيه أصولهم»[٤١].

ومن سماته المنهجية حذره وحيطته ودقة أمانته في نسبة الآراء الطبية والفلسفية إلى أصحابها، فقد توقف مثلاً في نسبة رأي إلى جالينوس وصرح بأنه لم يتحقق منه «وأحسب جالينوس تأول داء الثعلب على أنه الجذام ولست أحقق هذا في هذا الوقت[٤٢]، كما بين أيضا أن «النفث المستدير» يستدل به الأطباء على السل، «وأما دلالته على البرسام[٤٣] فلا أذكر في هذا الوقت عن القدماء»[٤٤]، ونجده أحيانا أخرى يصرح بأنه لا معرفة له برأي من الآراء في كتب الطب: «لا أعرف هذا من كلام جالينوس»[٤٥] وذلك بصدد بيان سبب شهولة العين، ويقول أحيانا أخرى: «لا أعرف هذا الصنف[٤٦] في كتب الطب[٤٧]»، ويذكر بعض المسائل التي يشير إليها ابن سينا أنه لا يعرفها فيما لديه من كتب أبقراط وجالينوس: «وهذا شيء لا أعرفه من قول جالينوس ولا أبقراط، وله وجه من القياس إن شهدت له التجربة[٤٨] وهذا إذا كان بصدد ذكر مصادر المسائل الطبية التي ينص عليها ابن سينا فهو لايتذكر أن أبقراط بين ما تدل عليه رؤية الثلج في النوم[٤٩].

ويشك أحياناً في النص الذي يتوقع أنه وقع فيه تحريف «وأما البخر فلست أعلم للفصد فيه وجها، إلا أن يكون معنى آخر، ووقع هاهنا مصحفا[٥٠]» وإذا كانت مصادره غائبة عنه فإنه يعلق على مسألة ما بأنه «هو شيء لا أذكره»[٥١].

ومن سمات منهجه عدم التفاته للخرافات التي يعني بها الطب القديم فهو مثلاً في مسألة رأي المنجمين في السعود والنحوس وعلاقة ذلك بالمرض إذا وقعت النجوم في مواقع معينة يرى أن ذلك زعم من مزاعم المنجمين لا أصل له في العلم معلقاً على البيتين لابن سينا وهما:

وإن تـــك الـــنـــحـــوس فـــي الإشـــراف
تـــقـــض عـــلـــى الـــنـــفـــوس بـــالـــتـــلاف
وإن تـــك الـــســـعـــود مـــثـــل ذلـــك
تـــقـــض بـــكـــل صـــحـــة هـــنـــالـــك

فيقول: «هذا من تجارب أهل النجوم فيما يزعمون، وذلك أنهم يرون أن من الكواكب ما الغالب على فعلها الإفساد وهو الذي يسمونه بالنحوس، ومنها الغالب على فعلها الإصلاح وهي التي يسمونها بالسعود، ويرون أن لكل كوكب من هذه الكواكب مواضيع مخصومة من الفلك، يقوى فيها فعلهاويضعف، وأن هذه التي يقوي بها فعلها على مراتب، ولها عندهم أسماء مثل الشرف، والبيت، والمثلثة، وغير ذلك، فهو يقول (أي ابن سينا): إن الكواكب التي هي النحوس إذا حلت في المواضع التي تسمي الأشراف يقوي فيها فعلها، وإذا كان كذلك دلت على هلاك النفوس، وإذا حصلت السعود فيها دلت على سلامتها وهذا كله خلاف ما تبين في العلم الطبيعي من أن أفعال الكواكب خير كلها، وأن ما هاهنا من الموجودات مرتبط وجوده بحركاتها ونزولها أجزاء من الفلك مختلفة أيضاً بعضها على بعض في القرب والبعد[٥٢]».

كما أنكر أيضاً ما يزعمه المنجمون من تأثير القمر[٥٣]، ومن تأثير المواضع المنحوسة والمواضع السعيدة، ويعلق على ذلك بأن «هذا ليس

من صناعة الطب وإنما هي من صناعة متقدمة المعرفة بالنجوم وهي صناعة ضعيفة، وأكثرها باطل[٥٤]».

وليس هذا الحكم ناشئاً عن جهل ابن رشد بصناعة الفلك، إذ يحدثنا أنه كان في شبابه يرصد الأفلاك في مراكش وغيرها في تفسيره «لما بعد الطبيعة» و«في السماء والعالم» وفي كتاب «الآثار العلوية»[٥٥]، وذكر حين كلامه عن المجرة ورصدها كيف أنه كان يقوم بالرصد: «أما أنا فكثيراً ما رصدت في بلاد أقل طولاً من بلدنا[٥٦]» ورصده للحر: «وأما أنا فقد شاهدت بلاداً عرضها نحو الثلاثين وكان بقاء الحر بها بعد انصراف الشمس نحوا من أربعة أشهر وليس هذا مما يدلك بالحس فقط بل يمكن أن يوقف عليه بالقول»[٥٧]، وهو كان على صلبة بابن طفيل (ت ٥٨١هـ) الذي نقد نظام بطليموس الفلكي كما أشار إلى ذلك البتروجي، وكذلك أنكر النظام القائم على الأفلاك الخارجية: Eccentries وأفلاك التدوير Epicyles، وأشار ابن رشد في غير ما موضع من شرحه للأرجوزة إلى معلومات فلكية علمية في مسائل الشمس، والمنازل وقربها وبعدها[٥٨] إلى غير ذلك، كما أشار في كتابه الفقهي «البداية» إلى اختبار ابن حزم لطول القامة ودلالتهاعلى الوقت صلاة الظهر[٥٩]، وكذلك بين رأيه الفلكي في رؤية الهلال قال القاضي: «الذي يقتضي القياس والتجربة أن القمر لايرى والشمس بعد لم تغب إلا وهو بعيد منها، لأنه حينئذ يكون أكبر من قوس الرؤية، وإن كان يختلف في الكبر والصغر فبعيد - والله أعلم - أن يبلغ من الكبر أن يرى والشمس بعد لم تغب، ولكن المعتمد في ذلك التجربة ولا فرق في ذلك قبل الزوال ولا بعده وإنما المعتبر في ذلك مغيب الشمس أولا مغيبها»[٦٠] وفي كلامه على أن المطلوب في صفوف الصلاة ليس هو عين الكعبة إذا كانت غائبة عن الأبصار وإنما هو الجهة إذ لو كان الواجب قصد العين لكان هناك حرج «فإن إصابة العين شيء لايدرك إلا بتقريب وتسامح بطريق الهندسة واستعمال الأرصاد في ذلك فكيف بغير

ذلك من طرق الاجتهاد ونحن لم نكلف الاجتهاد فيه بطريق الهندسة المبني على الأرصاد المستنبط منها طول البلاد وعرضها[٦١]».

وسجل لنا ابن رشد أيضاً الزلزال الذي حدث في قرطبة سنة ٥٦٦ هـ وقال: «ولم أكن حاضراً حينئذ بقرطبة ولكني وصلت إليها بعد، فسمعت أصواتا تتقدم حدوث الزلزلة، وشعر الناس أن ذلك الصوت يأتي من جهة المغرب... وتمادت هذه الزلازل بقرطبة نحو العام شداداً ولم تنقطع إلا بعد ثلاثة أعوام أو نحوها، وقتلت الزلزلة الأولى ناساً كثيراً بالهدم، وزعموا أن الأرض انشقت بقرب قرطبة بموضع يعرف بابدجر فخرج منها شبه رماد أو رمل»[٦٢].

ويبدو أن ابن رشد يصنف الطب جزءاً من العلم الطبيعي [٦٣] وإن كان بين بوضوح العلاقة بين الطب والعلم الطبيعي في كتابه: الكليات[٦٤].

أما علاقة الطب بالحكمة منهجيا فإنه كان يرى أنه لاتنال صناعة الطب دون أن يكون صاحبها عارفا بصناعة المنطق[٦٥] وهو الذي يذهب إلى أن: «الطبيب الفاضل هو فيلسوف ضرورة، ومعنى الفيلسوف المحب في علوم الحق»[٦٦]. وقد لجأ ابن رشد إلى تفسير معنى الفيلسوف لإزالة ماعلق به من الشناعة في عصره:

«وشرح هذا الاسم يرفع عن السامع له، المنصف، الشناعة التي لحقت هذه التسمية في زماننا هذامن قبل قوم انتسبوا إلى علم الشرع وهم معرون عما تعرفه العامة، والله الموفق للحق بفضله ورحمته»[٦٧].

وذكر أنه كتب هذا التلخيص للمزاج بدعوة من ابنيه: «أبي القاسم وأبي محمد» اللذين أشار إلى أنهما لهما مشاركة في صناعة الطب وفي العلوم الحكمية أو الفلسفية، وهذه الشناعة التي لحقت الحكمة عند أهل زمانه، جعلت الناس يكرهون الكلام في الحكمة الطبيعية، وذلك

يمكن أن يزهد ابن رشد في الكتابة فيها أكثر، وهو ما يبدو من آخر المقالة التي كتبها إلى أحد أصحابه في أصناف المزاج يقول له فيها: «ولولا سفري لبسطت لك القول في هذه الأشياء على ما تعلم من كراهة التكلم فيها، ولكن ذلك يخف عليّ لمكان إيثارك ونباهة فهمك وقدرك، والسلام الأتم الأكمل عليكم ورحمة الله وبركاته»[٦٨].

ومن سماته المنهجية الواضحة دقة التعريفات للاصطلاحات الطبية والفلسفية التي يوردها في شرحه، ويمكن أن نشير إلى بعض هذه التعريفات مثل تعريفه للطب مثلا فإنه بعد أن استعرض تعريف ابن سينا للطب استكمله بأن: «تمامه أن يقال: الطب هو صناعة فعلها عن العلم والتجربة: حفظ الصحة، وإبراء المرض(....) وإنما قلنا في الحد: عن العلم والتجربة، لأنه ليس يكتفي في هذه الصناعة بالعلم دون التجربة، ولابالتجربة دون العلم، بل بهما معا»[٦٩]، ثم تعرض لتعريف جالينوس[٧٠] وحلله وبين أنه حد ناقص لأنه لم يميز فيه بين الطب والجزء من العلم الطبيعي المتعلق بالصحة والمرض: «وقد يظهر أنه نقص من هذا الحد الفصل الذي تفرق به هذه الصناعة من جزء الصناعة الطبيعية الناظرة في الصحة والمرض، فإن صناعة الطب إنما تعلم الصحة والمرض وأسبابها وعلاماتها لتحفظ الصحة، وتزيل المرض، ولذلك يبلغ من معرفة الصحة والمرض إلى القدر النافع في العمل، وأما صاحب العلم الطبيعي فإنما قصده من معرفة الصحة والمرض المعرفة فقط»[٧١]، ونقد تعريف جالينوس لما ورد فيه من القول بالحال المتوسطة بين الصحة والمرض، وبين أنه ليس لها وجود حقيقي: «وكذلك الحال المتوسطة التي جعلها جالينوس بين الصحة والمرض ليست حالاً متوسطة بالحقيقة فإن الحال المتوسطة يطلقها جالينوس على ثلاثة معان: أحدهما على الناقهين وما أشبههم، والثاني على من به مرض في بعض أعضائه، والثالث على من يوجد مريضاً في بعض

الأزمنة، وصحيحاً في بعضها، وإذا كان حد المرض أنه الحالة التي يكون عنها ضرر الفعل، فليس بين الضرر ولا ضرر متوسط، والضرر الضعيف هو داخل في جنس المرض، كما أن الفعل الطبيعي الضعيف هو داخل في الصحة، إذْ كان حدالصحة: أنها الحالة التي يكون عنها استقامة الأفعال»[٧٢].

وأما قسمة الطب إلى علمي وعملي فلابن رشد فيه رأي خاص، فالجزء العلمي من الطب عنده هو الذي يشارك فيه العلم الطبيعي، ويقصد بالعلم هنا: «ما الغاية المقصودة منه العلم فقط لا العمل»[٧٣]، ولذلك فإنه يذهب إلى أن القسم العملي يحذقه المتعلم بالاحتذاء: «يجوز فعله بالاحتذاء أعني بالعمل، ولذلك كان من شرط الطبيب أن يكون مع قيامه على علم الطب مزاولاً لأعماله، وأما عمل اليد فهو كما قلنا عملي محض، وليس يتعلم بالقول منه إلا جزء يسير، وكذلك يشبه أن يكون التشريح، أعني لايتصور منه بالقول إلا يسير»[٧٤].

وهذه إشارة مهمة إلى طريقة التعلم بالاحتذاء أي بالتطبيق وإلى طريقة التعليم بالقول أي بالسماع والإلقاء، وهو رأي للفارابي أيضاً في نظره التربوي.

وفي تقسيم الطب إلى أجزائه فضل ابن رشد طريقة أخرى على طريقة ابن سينا فقسمه إلى ستة أقسام بدلاً من سبعة كما فعل في الكليات[٧٥]. يقول: «وأفضل من هذه القسمة أن نقول: الطب ينقسم إلى ستة أقسام: إلى معرفة طبيعة الصحة، وإلى معرفة علامات الصحة، وإلى معرفة طبيعة المرض وإلى معرفة علامات الأمراض وإلى معرفة إزالة الأمراض وإلى معرفة حفظ الصحة»[٧٦]، ولم يتعرض للقسم السابع، وهو الجزء الطبيعي «الفسيولوجيا» أو علم الأعضاء، وكأنه يرى أنه تابع للعلم الطبيعي وما على الطبيب إلا أن يتسلمه منه.

ومن تعاريفه تعريف الصحة بأنها: «حالة في العضو بها يفعل أو ينفعل على المجرى الطبيعي»[٧٧] كما أوضح المقصود من حفظ الصحة وأنه لا يعدو أن يكون وقاية، فبين أن «الحفظ(...) هو التوقي مما شأنه أن يحدث»[٧٨] وعرف الصحة في شرح الأرجوزة بأنها: «الحالة التي تكون عنها استقامة الأفعال»[٧٩].

أما تعريفه للمرض فهو عنده: «حالة في العضو بها يفعل على غير المجرى الطبيعي أو ينفعل»[٨٠] وعرّفه في شرح الأرجوزة: «المرض بالجملة هو هيئة في البلدن تضر بالأفعال أو الانفعالات»[٨١]، وجعل العرض مرادفاً للانفعال: «الانفعال وهو المسمى عند الأطباء عرضا»[٨٢]، وبين بدقة الارتباط بين الأعراض وبين الأمراض والأسباب ارتباطا منطقياً ووجودياً فالأعراض عنده: «هي أحوال تتبع الأمراض، ، كما أن الأمراض تتبع الأسباب فتلزم عنها»[٨٣] و«ينبغي أن تعلم أن أسباب هذه الأعراض هي الأمراض أنفسها»[٨٤] وذلك مثل حمرة البول وسواده مما يظهر في الحميات[٨٥] ويحدد دلالة الأعراض بأنها: «هي عند الطبيب أدلة على الأمراض، والسبب في ذلك أنه لما كانت الأمراض هي سبب الأعراض، وكانت المسببات تدل على الأسباب مثل دلالة الدخان على النار، دلت الأعراض على الأمراض»[٨٦] وعرف العلامات «بالجملة إنما هي الأعراض الظاهرة في الأفعال والانفعالات النفسانية أو الأعراض اللازمة عنها»[٨٧]، ونبه ابن رشد إلى ما يراه من أهم الأشياء في الطب، وهو وقت بداية المرض: «ولذلك كانت معرفة الأشياء التي يعرف بها زمن الابتداء من أتم شيء في هذه الصناعة»[٨٨] ولم يغفل عن الكلام عن الأعراض النفسانية فيرى أن من جملة الأعراض النفسانية التي تحر الجسم الغضب والفكر وغير ذلك[٨٩] كما قسم الأسباب إلى أسباب نفسانية كالرّوع والهم[٩٠] وإلى أسباب بدنية تطرأ من خارج كفساد الهواء[٩١].

ويمكن القول بأن أسلوب ابن رشد العلمي ولغته الطبية والفلسفية، كل ذلك ذو دقة ووضوح، وهذا ما جعلني أشير إلى هذا الجانب اللغوي الاصطلاحي الخاص بلغة الطب، ومن أجل ذلك أيضاً اخترت عدة نماذج من التعريفات الأخرى، وأسماء الأدوية التي تدل على هذا الضوح، وهذه الدقة في استعمال الألفاظ العلمية، وهو جانب منهجي لاتخفى فائدته لنا اليوم في نقل العلوم إلى لغتنا والوصل بها بعد الانقطاع(٩٢).

ومن سماته المنهجية اجتهاده والابتعاد عن التقليد الأعمى وهذا ماجعله يفحص أقوال القدماء بالنقد، وخاصة جالينوس.

والواقع أن جالينوس نقده القدماء أيضاً ابتداء من الاسكندر الأفروديسي الذي كتب رسالة «في الرد على جالينوس» وبعده الرازي والفارابي في رسالته أيضاً في الرد عليه، وابن سينا في أماكن متعددة من الشفاء، وابن رشد، وموسى بن ميمون (ت ١٢٠٤) من بعده متأثراً فيها بالفارابي حيث كتب رسالة في ذلك وهي: «رد موسى بن ميمون القرطبي على جالينوس في الفلسفة والعلم الإلهي» ونقل فيها نصين للفارابي من كتابه «شرح القياس الكبير». وقد ذكر ابن ميمون أنه التقى بأبناء ابن رشد وتلاميذه وبتلاميذ ابن باجة، وكتب نقداً شديداً لجالينوس في كتاب «فصول موسى في الطب» وأحصى له أربعين خطأً تناقض فيها في مختلف مؤلفاته، ووصف جالينوس بالجهل والانحراف وادعاء النبوة وذلك لأنه نقد بعض ما ورد عن موسى عليه السلام ونسبه إلى الجهل وأشار إلى رد الرازي وشكوكه عليه وإلى محاولة ابن زهر وأبي رضوان حل تلك الشكوك التي ذكرها الرازي، وركز على مشكلة الزمان ومشكلة قدم العالم والخلق»(٩٣).

بيد أن ابن رضوان دافع عن جالينوس، ووصف الرازي بأنه رجل

جاهل لجرأته على جالينوس، ولكن ابن رشد سلك في نقده منهجاً موضوعياً فمثلاً عندما استعرض في مقالة: «أصناف المزاج» رأى جالينوس ومذهب المشائين في المزاج، بين أن جالينوس لم يفهم مقصد المشائين في المزاج وتابعه على ذلك الفلاسفة والأطباء شارحا طريقة نقده: «ونحن ننظر في ذلك فإن كان ما استدركه جالينوس على القدماء حقاً شكرناه على ذلك، وإن لم يكن حقاً عرفنا موضع الغلط في قوله، وصواب قول القدماء في ذلك، ولنجعل مبدأ الفحص في ذلك من الأمور الكلية التي تبينت في الرابعة من الآثار، وفي الثانية من كتاب الكون والفساد[٩٤]».

نقد ابن رشد جالينوس في مختلف كتبه الطبية والفلسفية، ولا نريد هنا أن نطيل في عرض هذا النقد في شتى مؤلفاته وبتفاصيله، وإنما نشير إلى نقداته في شرح الأرجوزة، وفي بعض مؤلفاته الأخرى إن دعت إلى ذلك ضرورة.

ذكر جالينوس في شرح الأرجوزة ما يزيد على سبع وستين مرة[٩٥]، وليس نقد ابن رشد لجالينوس بمانع لهأن يعترف بقيمته العلمية إذ يرى أن الحذق في الطب بما هو صناعة إنما يكون بدراسة كتب جالينوس: « فإن تعلمها (أي الصناعة الطبية) على المجرى الصناعي إنما هو في كتب هذا الرجل، لكن في كلامه طول وربما كسل عنها كثير من الطلبة»[٩٦].

ولذلك لجأ إلى تلخيصها، وقد اعتمد عليه في باب الأدوية التي ساقها في كتابه الكليات قائلا: «ونحن إنما نذكر هاهنا من الأدوية أشهرها ومن الأشهر ما شهد به جالينوس، فإنه الرجل الموثوق والمجرب في هذه الصناعة، وغيره إنما مثله معهم كما يقول هو: كمن ينادي على الشيء بصفاته فإذا أبصره لم يعرفه[٩٧]، ويبدو أن كثيراً من

النقد الذي وجه إلى جالينوس كان أساسه الرد على كتابه: «في آراء بقراط وأفلاطون» وهو عشر مقالات بين فيه أن أفلاطون موافق لبقراط في أكثر أقاويله وأن أرسطو على خطأ في مخالفته لبقراط وقد ترجم حنين بن إسحاق هذا الكتاب إلى السريانية، ونقله إلى العربية حبيش الأعسم[٩٨].

ولذلك كان ابن رشد يدافع عن أرسطو أحيانا كثيرة طبياً وفلسفياً، ويصف جالينوس بأنه لم يتمكن من معرفة العلم الطبيعي، وينسب إليه الوهم في القول بأن أصناف المزاج تسعة (المعتدل والثمانية الخارجة عن الاعتدال): «وهذه كما قلنا غير موجودة وإنما هو شيء توهمه جالينوس لقلة مزاولته للعلم الطبيعي[٩٩]»، ومعنى هذا أنه لا يوافق ابن سينا أيضاً على أخذه بهذا المعنى، ولكنه يتفق مع ان سينا في مزاج الربيع وأنه حار، رطب، ورفض قول جالينوس في أن الربيع معتدل بالمعنى الذي توجد فيه الكيفيات الأربع على السواء ولذلك يقول ابن رشد: «وما قاله(ابن سينا) في الربيع من أنه حار رطب هو الحق وهو خلاف رأي جالينوس في كتاب المزاج لأنه صرح هنالك أن الربيع معتدل بالمعنى الذي يقال عليه معتدل في الذي توجد فيه الكيفيات الأربع على السواء[١٠٠]» والسبب في ذلك فيما يرى ابن رشد من الناحية المنطقية أنه: «لو وجدت له الكيفيات الأربع على السواء لم توجد للموجودات فيه أفعال الحياة التي سببها الحرارة والرطوبة بأولى من أفعال ضد الحياة التي سببها البرد واليبس، لأنه لو تساوت فيه القوى لم ينسب إليه توليد خلط من الأخلاط لادم، ولاغيره، ولا بالجملة نشوء ولا كون(...) ولو وجد مزاج معتدل بمعنى أن الاسطقسات فيه متساوية لما وجد لهذا المزاج فعل منسوب إلى الكيفيات الأول، ولا كانت له صورة واحدة»[١٠١].

ويرفض ابن رشد رأي جالينوس في مسألة الروح الطبيعي[١٠٢]

وهو البخار النقي الذي يكون محله الكبد ومنها ينفذ إلى سائر البدن، وأيد رأي أرسطو الذي يرى أن محل الروح الطبيعي إنما هو القلب ويستدل ابن رشد على ذلك بالمشاهدة الحسية: «والحس يدفع قول جالينوس، فإنه ليس يظهر في الكبد، ولا في العروق الناشئة عنه روح، كما يظهر ذلك في القلب[١٠٣]، وأما الحياة عند ابن رشد فهي تبقي بالقوة الغذائية وهي التي يسميها جالينوس بالطبيعية، ويصف بعض آراء جالينوس بأنها من قبيل القول الشعري: «وجالينوس يقول إن النفس تستوحش بالخلط السوداوي كما يستوحش الإنسان في الظلام، وهذ القول شعري»[١٠٤]، وعارض أيضاً رأي جالينوس في القول بأن حفظ المزاج الخارج عن الاعتدال يكون بالشبيه، وأيد الرازي في ذلك، واستدل على رأيه بشهادة التجربة، فلا تحفظ صحة صاحب المزاج الحار مثلاً بالأشياء الحارة وإنما تحفظ بما هو أقل حرارة من مزاجه[١٠٥].

نقد ابن سينا:

بالرغم من أن ابن رشد أقدم على شرح أرجوزة ابن سينا وامتدحها، بيد أنه يعارضه أحيانا، ويرى أنه قصّر في بعض الموضوعات فهو مثلاً: «قد نقصه أن يذكر أمزجة الأعضاء أنفسها والعلامات الدالة على أمزجتها»[١٠٦] أو أنه لم يذكر بعض الأخلاط المشهورة مثل الخلط الأصفر، وذكر صنفا غير مشهور، وهو الذي دعاه بالدخاني[١٠٧]، ويعترف ابن رشد أنه لايعرف هذا الصنف في كتب الطب[١٠٨]، وينكر على ابن سينا نسبة النحوس والسعود إلى الكواكب ودلالتها على سلامة النفوس أو هلاكها في أمراضها، وقال: «وهذا كله خلاف ما تبين في العلم الطبيعي من أن أفعال الكواكب خير كلها»[١٠٩]، ويتساءل أحيانا عن توصية ابن سينا ببعض الأنواع من

الأغذية كتوصية راكب البحر بالرطب من الأغذية، فيقول ابن رشد: «فلست أدري لم اختص راكب البحر بالرطب من الغذاء لأن راكب البحر هو في هواء في غاية الرطوبة إلا إن كان يريد أن يقل بذلك شربه للماء، فليس ذلك من صناعة الطب، ويحتمل أن يريد بذلك أن يلين طبيعته[١١٠]»، كما يخالف ابن رشد ابن سينا في فصد ابن الستين وابن السبعين، وأن ذلك إفراط وتجاوز في الأمر بالفصد، وخاصة إذا أريد بذلك حفظ الصحة[١١١]، ويتساءل ابن رشد أيضاً عن سبب علاج ابن سينا للبخر بالفصد: «وأما البخر فلست أعلم للفصد فيه وجهاً إلا أن يكون معنى آخر وقع هاهنا مصحفاً، إلا أن يقول قائل إن سبب اندفاع الأخلاط التي يكون منها البخر إلى باطن البدن، أو قد يكون سبب ذلك الكثرة[١١٢].

يعترض ابن رشد على ابن سينا في جعله البلغم سبباً من أسباب عسر الولادة، واحتباس المشيمة، بل إن ابن رشد يرى جعله ذلك سبباً للإسقاط أولى من العسر: «ولست أتصور كيف يكون البلغم سبباً لعسر الولادة ولاحتباس المشيمة، إلا أن يكون يعني بالبلغم إفراط السمن، فإن المرأة إذا أفرط سمنها ضاقت مجاريها فعسرت الولادة، وإذا كان لايبعد أن يقال إن القوة الدافعة تضعف لغلبة البلغم على الرحم، لكن بالجملة غلبة البلغم على الرحم سبب من أسباب الإسقاط لا من أسباب عسر الولادة»[١١٣].

ويعترض عليه في دهن الجسم بالزيت والشمع خوفاً من أثر الشمس لما تؤدي إليه حرارتها من ذوبان الشمع[١١٤].

ومما يجدر بالذكر أن ابن رشد لاحظ ملاحظة لعلها أن تكون وجيهة، وهي أنه قد قصر ابن سينا على حد تعبيره في ذكر الحميات والأورام في الأرجوزة، ووعد ابن رشد بالكتابة في ذلك: «هذه

الأرجوزة قصر فيها في ذكر الحميات والأورام، فإنه قد كان يجب عليه أن يجعل القول فيها على حدة، ولعلنا إن وقع لنا فراغ أن نثبت قولاً وجيزا في ذلك في آخر هذه الأرجوزة إن شاء الله تعالى»[١١٥].

ويبدو أن ابن رشد لم يتمكن من الوفاء بماوعد به، ولكن أدت ملاحظته هذه إلى تنبيه غيره لاستكمال هذا الجانب، ولذلك نجد أرجوزة مستدركة على ا بن سينا ألحقت بآخر شرحه[١١٦].

وقد نشر نص هذه الأرجوزة المستدركة في مجلة المورد (العدد ٤ سنة ١٩٨٥) بتحقيق داود الثامري، اعتماداً على مخطوطة واحدة وهي مخطوطة معهد ولكم للتاريخ الطبي - لندن تحت رقم ١٠٠ وتقع في حوالي ٢٤٠ بيتاً، كما نشرها بعد ذلك جمال الخياط: (المورد المجلد ١٩ العدد ٩ ص ١٥٨ - ١٧٥) وبها ٢٤٧ بيتاً، وقد نسبها كل منهما إلى ابن سينا وأنه هوالذي استدركها على نفسه، ولكن قد أشير في بداية الملحق الذي أشرت إليه، أن هذه الأرجوزة المستدركة ألفها شخص يهودي لم يذكر اسمه، وأنها لاتنسب إلى سواه: «هذه أرجوزة ألفها إنسان يهودي من بعض حكماء الأندلس، لما رأى أرجوزة الرئيس ابن سينا رحمه وبعد البحث تبين أنها من تأليف أبي موسى هارون بن اسحاق بن عزرون المتوفى بعد ٦٠٠هـ، وتوجد منها نسخة مخطوطة أخرى في جسر بيتي رقم ٥٢٢٤ ضمن مجموع (٣٧ - ٤٩) منسوبة إليه، كما توجد منها نسخة أخرى في كلية الآداب بالرباط عنوانها: «أرجوزة في الحميات والأورام» نظم أبي موسى هارون بن اسحاق بن عزرون الأندلسي بها ٢٥٤ بيتا ضمن مجموع (٣١٨ - ٣٢٥)، وتوجد نسخة أخرى بالكلية المذكورة رقم (مكل ١٥٨) مبتورة من آخرها.

ولهذه الأرجوزة المستدركة شرح عنوانه: «الروض الهتون في شرح رجز ابن عزرون» قام به أبو محمد قاسم بن محمد بن إبراهيم

الوزير الغساني الأندلسي الذي كان طبيباً لأحمد المنصور الذهبي السعدي ملك المغرب في عهد السعديين (٩٨٦ - ١٠١٢هـ / ١٥٧٦ - ١١٦٠٤م) وهي بخط المؤلف وتوجد من الشرح أيضاً نسختان بالخزانة العامة بالرباط رقم ٢٦٨١ (D ١٣٨٦) ورقم (D ١٦٨٠) ٢٧٠٥[١١].

ولكن عدد الأبيات في هذا الملحق أقل مما يوجد في النسخ الأخرى إذ اقتصر الناسخ على ٥١ بيتاً فقط.

ومما يدل على أنها ليست لابن سينا أن عنوان المخطوطتين المنشورتين منها لا يدل على أنها له، وهو: «هذه أرجوزة في الحميات المستدركة على الرئيس ابن سينا رحمه الله تعالى»، وجاء فيآخر نسخة معهد ولكم: «كملت الأرجوزة في الحميات والأورام المستدركة على الرئيس ابن سينا رحمه الله» وبهذا يتأكد أنها ليست لابن سينا، ومن الأبيات التي تدل على ذلك قوله:

عـيـنـهـا الـرئـيـس فـي الأرجـوزة

بـيـنـة الأوصـاف لا مـغـلـوزة

وابن سينا لا يعبر عن نفسه بالرئيس.

الجانب التاريخي في الأرجوزة لابن رشد:

يبدو في هذا الشرح بوضوح تام أن ابن رشد يفرق بين مذهب الفلاسفة في الطب، ومذهب الأطباء، وإذا أمكن القول بأن هناك فلاسفة أطباء، وأطباء فلاسفة، فإن ابن رشد من الفلاسفة الأطباء كما كان الرازي من قبله من الأطباء الفلاسفة، ولذلك نجد في شرح ابن رشد معلومات تاريخية طبية فلسفية، فهو يعرض لكثير من المذاهب المختلفة بين الأطباء أنفسهم، المتقدمين منهم والمتأخرين، أو من يسميهم بالحدث، فهو قد

فصل القول في بيان مذاهب الفلاسفة والأطباء في تكوين الجسم أو في مادة الجسم عموماً، فذكر مذهب أبقراط وجالينوس، وذكر اختلاف الفلاسفة والأطباء في العناصر التي تتكون منها الأجسام المادية، هل هي أربعة أو اثنان أو واحد، وهل هي ذرات غير منقسمة، وذات طبيعة واحدة، وهل هي أساس العناصر الأربعة ذاتها وسائر الموجودات[١١٩]، وأشار إلى أن ابن سينا اتبع ابقراط ووافقه في هذا المجال، بل أشار إلى أن القرآن ذكر إجمالاً تكوّن الانسان من العناصر الأربعة في قوله تعالى: (خلق الإنسان من صلصال كالفخار).

«وقد يظهر من أنه مركب من هذه الأربعة من أن له جسداً ذا قوام، وكل ما له جسد ذو قوام فهو مركب من تراب وماء، وإنما يتجسد التراب والماء إذا عجن التراب بالماء، ثم طبخ بالنار حتى يرجع ذا جسد، كالحال في الفخار الذي يعمل، وإذا كان ذلك فقد وجدت فيه الإسطقسات الأربعة، وهذا معنى قوله تعالى: (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) وأدلة هذا مستوفاة في العلم الطبيعي»[١٢٠]، كما أشار إلى أن سبب فساد الأبدان وانحلالها إنما هو تكونها من مضادات، وأنها تحيط بها من خارج أيضاً أشياء مضادة لها، فالأبدان ليست من طبيعة واحدة[١٢١]، ويعرض إلى اختلاف كثير من الأطباء مع بقراط وجالينوس في مسألة الأخلاط: وكثير من الأطباء يخالفونهم في هذا، ويقولون إن مادة الإنسان القريبة التي منها كون هي الدم، وأن هذه الأخلاط الأربعة هي فضول الدم تتميز عند انطباخ الدم منه»[١٢٢] وأن كلام جالينوس في كتابه القوى الطبيعية يلزم منه هذا القول لأنه يقول فيه: «إن الصفراء من الدم بمنزلة الرغوة التي تكون من الشراب إذا غلا، والسوداء بمنزلة الثقل منه»[١٢٣]. كما بين كيف اختلف مذهب حنين عن جالينوس، وابن رضوان في صنف من أصناف البلغم المعروف بالمحي[١٢٤].

وباعتباره فيلسوفاً أولا عارض الأطباء في مذهبهم في القوى الرئيسية الثلاثة: الطبيعية والحيوانية والقوة الحساسة والمحركة المدبرة، باعتبار أن القوة الطبيعية معدنها الكبد، والقوة الحيوانية معدنها القلب، والحساسة معدنها الرأس على مذهب أبقراط وأفلاطون وجالينوس(١٢٥)، وبين أن الخطأ في هذا المذهب في أمرين: «وإنما توهم الأطباء أن القوة الحيوانية غير الحساسة وغير الغاذية»(١٢٦) وينتهي إلى القول بأن القوة التي في القلب طبيعية أي غاذية، والخطأ الثاني جعلهم قوة الحس وقوة الغذاء في أعضاء مختلفة، : «وإنما هي في عضو واحد هو القلب على ما يعتقده في ذلك الفلاسفة المشاءون، وهو الذي تشهد له الأصول الطبيعية»(١٢٧)، حتى إنه شبه القلب بالفرن، والنفس بالفران(١٢٨)، ووضح أن مذهب ابن سينا في الدماغ هو مذهب أرسطو لا مذهب جالينوس في كونه معدلاً لحرارة القلب، وأن مبدأ الحس والحركة إنما هو في القلب لا في الدماغ على ما يذهب إليه جالينوس، ويعلق ابن رشد على ذلك بأن ما يراه جالينوس «ليس هو شيء يوجد بالحس، وإنما هو شيء يظن أن العقل أدى إليه»(١٢٩).

وفي مبدأ التناسل يذكر ابن رشد أن جالينوس يرى أن الأنثيين هما مبدأ التناسل، ولكن أرسطو يرى أنه هو القلب، وأن الأنثيين آلة فحسب، وقص قصة الثور الذي أخصي، ومع ذلك نزا فحملت الأنثى منه، هذا دليل أرسطو(١٣٠).

وكذلك الأمر في الأعراض فإن الأعراض التي توجد في البول: «تدل على أمراض القوة الغاذية التي في الكبد، وكالأعراض التي في النبض فإنها تدل على أمراض القوة الحيوانية على مذهب الأطباء أو الغاذية لى مذهب الفيلسوف(١٣١)».

وهناك نوع آخر من اختلاف الأطباء وهو اختلافهم بسبب اختلاف أقاليمهم، فقد قارن بين أطباء العراق وأطباء اليونان في مذهبهم في الماء، إذ يفضل أطباء العراق ماء الأنهار، بينما يفضل أطباء اليونان مياه العيون[١٣٢]، كما بين أن الإقليم المعتدل عند ابن سينا هو الرابع[١٣٣]، وعند جالينوس هوالخامس[١٣٤]، كما أشار إلى النبض الموزون ونسبة الحركة فيه إلى السكون وزعم الأطباء في ذلك، ومذهب جالينوس وإنكار الرازي له[١٣٥].

وقد أيد ابن رشد الرازي الذي يخالف جالينوس في حفظ صحة صاحب المزاج الخارج عن الاعتدال بالشبيه، وبما هو أقل من مزاجه، وماتدل عليه التجربة في ذلك[١٣٦]، وكثيراً ما ينبه إلى كون ابن سينا يتبع جالينوس في آرائه[١٣٧] وقد حث ابن سينا على اتباع جالينوس وتقليده في بعض وصاياه:

فـاقـصـد بـذا الـشـغـل إلـى مـا قـصـده

وافـصـد مـن الأمـراض(مـاقـد)فـصـده

أي جالينوس[١٣٨]. ويذكر أحيانا قوما من الأطباء دون أن يعينهم[١٣٩] وقد يقارن بين القدماء من الأطباء والمتأخرين، ففي مسألة دلالة اليرقان مثلاً يقول: «وقد أخبرت القدماء أنه إذا ظهر قبل السابع أنه يأتي على غير نضج، وزعم المتأخرون أنه يأتي في البلاد الحارة قبل السابع ويكون محموداً[١٤٠].

ومن أهم المسائل التاريخية التي تعرض لها ابن رشد مسألة تقسيم الطب إلى نظري وعملي فإنه يرى أن أول من قسم الطب هذا النحو من التقسيم إنما هو حنين بن اسحاق وذكر ان ابن رضوان المصري (٣٧٦ - ٤٦٠ هـ / ٩٨٦ / ١٠٦٧م) رد عليه، وزعم أن أصول جالينوس في الطب تقتضي بطلان هذه القسمة، وأن أبا العلاء بن زهر انتصر له،

وزعم أن هذه القسمة توجد في بعض مؤلفات جالينوس، ولكن الحقيقة التاريخية عند ابن رشد هي أن حنين بن اسحاق هو أول من أبدع هذا التقسيم[١٤١]، وإذا رجعنا إلى كتاب «المسائل الطبية لحنين بن اسحاق[١٤٢] فإننا نجد هذه القسمة بعينها إذ قسمه إلى النظري والعملي، والنظري إلى ثلاثة: النظر في الأمور الطبيعية، والنظر في الأسباب، والنظر في الدلائل[١٤٣]، وليس على بن المجوسي (ت ٣٨٣هـ/ ٩٩٤م) هو أول من قسم الطب هذه القسمة كما ذهب إلى ذلك بعض الدارسين.

ومن المسائل التاريخية الهامة التي ينبغي أن نشير إليها بهذه المناسبة أن مقالة «في حيلة البرء» التي نسبت إلى ابن رشد الحفيد[١٤٤] وهي في الواقع ليست لا لجالينوس ولا لابن رشد الحفيد وإنما هي لابنه أبي محمد عبد الله بن محمد بن رشد كما جاء في أولها: «قال الفقيه أبو محمد عبدالله ابن الشيخ الفقيه العالم الإمام الأوحد أبي الوليد بن رشد»[١٤٥]، وقد صرح ابن رشد الحفيد أن له ولدين هما أبو القاسم وأبو محمد وأنهما هما اللذان دفعاه إلى تلخيص كتاب المزاج لجالينوس، وأن لهما مشاركة في الفلسفة والطب: «وأكثر ما حركني إليه ابناي أبو القاسم وأبو محمد إذ كان لهما مشاركة في هذه الصناعة، وفي العلوم الحكمية، التي لايتم النظر في هذه الصناعة إلا بها[١٤٦]».

أما أبو القاسم أحمد فقد كان قاضياً وتوفي سنة ٦٢٢هـ[١٤٧]، وأما أبو محمد عبد الله مؤلف هذه المقالة فهو عالم بصناعة الطب ولايعرف تاريخ وفاته حسب علمنا، وفي مخطوط الاسكوريال رقم ٨٨٤ حسب فهرست Derenbourg مقالتان لأبي محمد عبدالله بالإضافة إلى تلاخيص والده لبعض مؤلفات جالينوس، ومن جملة ما يضم هذه المخطوط برنامج ابن رشد الحفيد الذي نشره رينان.

وليس المهم هنا أن نثبت أن هذه المقالة ليست لابن رشد الحفيد، وإنما الأمر الذي نراه بالغ الأهمية في تاريخ الطب هو أن صاحبها أراد أن يحدث انقلاباً في تاريخ الطب الذي تواصل مئات السنين مهيمنا على الأطباء ألا وهو مبدأ نظرية العلاج التي قال بها أبقراط وهو أن العلاج يكون «بمقابلة الضد بالضد» وقوله «الضد شفاء الضد[١٤٨]» وأن ماعدا ذلك إنما هي مداواة بالعرض[١٤٩].

وقد بين أبو محمد عبدالله بن رشد طريقة جالينوس التي سار عليها جمهور الأطباء القدماء منهم والحدث، وكان يريد أن يبين أيضاً أن هذه الطريقة ليست الطريقة الصناعية، ثم أعقبها بذكر الطريقة التي وقف عليها هو، واستنبطها، وإن كان سار على منهج والده ودأبه في التواضع الجم، ولايريد أن ينسب إليه الفضل كله، وقد عبر عن ذلك بقوله: «ولما كان جمهور الأطباء القدماء منهم والحدث قد سلكوا في ذلك طريقة أخرى مشهورة وهي طريقة جالينوس، وسائر الأطباء رأيت أن اذكرها أولاً، وأذكر أنها ليست الطريقة الصناعية، ثم أذكر الطريقة التي وقفنا عليها واستنبطناها، إن كان يستحق أن يسمى مثل هذا استنباطاً، لكن إذا نظرنا إلى ما ذهب منه على الناس منذ دهر طويل، مع كثرة من وجد منهم من الأطباء والمتفلسفين أنه يستحق أن يسمى استنباطاً، وإذا نظرنا إلى انطوائه في أقاويل بعض الحكماء، وتنبيهم إليه كان الأولى أن يسمى إيضاحاً وشرحاً[١٥٠]».

والطريقة العلمية عنده هي معرفة النظام الذي تسير عليه الطبيعة، ومعرفة الأشياء المتلازمة المترابطة في سلك واحد سواء كانت أضدادا أو ليست أضداداً، والأشياء المبرئة تبرىء لا من حيث كونها أضداداً ولا من حيث كونها ليست أضدادا، «بل إنما هي طريق للبرء من حيث هي متلازمة منتظمة، وإدراك هذه الأشياء المتلازمة، والنظام الذي بينها هوالذي يسمى صناعة[١٥١]» «فمعرفة النظام الذي ينتقل عليه هذا الكون»:[١٥٢] أمر لابد أن

يكون الطبيب على معرفة به، «فالطريق الصناعي إنما هو معرفة هذا النظام ومعرفة الأشياء المتلازمة فيه من حيث هي متلازمة سواء كانت أضداداً أو ليست أضداداً»[١٥٣] ومعنى هذا أن الطب ينبغي أن يقوم على علم بقوانين انتظام الأشياء من مبدأ محدود إلى مبدأ محدود إلى غاية، وما بين تلك الأشياء من النظام الذي يدركه العقل بين تلك الأشياء، فالأمور الصناعية تقوم على هذا النظام، وكذلك الأمورالطبيعية ومنها الصحة التي تقوم على أمور صناعية وأمور طبيعية معا. وإذا جهل الطبيب هذا النظام الذي تقوم عليه الطريقة الصناعية في الطب فربما يكون جهله هذا هو السبب أو أحد الأسباب التي جعلت أرسطو يقول: «إن أكثر من يموت إنما يموت بالطب[١٥٤].

وإني أدعو مؤرخي الطب من الأطباء أن يعنوا بهذه الرسالة وماتشير إليه من توجه إلى تطوير العلم الطبي، وفتح آفاق له غير التي انحبست في الأصول البقراطية والجالينوسية دهراً غير قليل من الزمن. ولم تخرج منه الا باكتشاف الجراثيم، وأن ذهنية ابن رشد العلمية هذه، ومنهجه العقلي العلمي الواضح لمما يستحق الاهتمام والدراسة لمعرفة أثر ذلك على الفكر العلمي في تطوره الحديث، وعلى استقلال الفكر، وهل توجد لها ترجمة إلى اللاتينية أو العبرية وقد صرح ابن ميمون أنه التقى بأبناء ابن رشد وتلاميذه.

الأحداث النفسانية:

من أهم الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة خاصة، الأسباب النفسية للأمراض، وهي ما يسميه القدماء بالأحداث النفسانية كالغضب والحزن والفرح والقطوب والفزع والروع، والغم والهم، والقلق والخيال، والاختلاط في العقل، وكذلك ظاهرة النوم والأحلام، والكابوس والصرع.

أشار ابن رشد إلى الأعراض النفسانية في كتاب الكليات[١٥٥]

وبين في شرح الأرجوزة سبب اختلال العقل تبعاً لابن سينا وأن معيار صحة العقل هو استقامة تصوراته وتخيلاته وسلامة أفكاره، وتذكره، بحيث إذا اختل واحد من هذه دل على اختلال الجزء من الدماغ المخصوص بذلك الفعل أو بتلك الوظيفة[١٥٦] ورسم خريطة للدماغ معروفة عندالأطباء القدماء وهي أن موضع التخيل هو مقدم الدماغ، وموضع الفكر وسطه، وموضع الذاكرة آخره، فمن اعتل منه التخيل علمنا أن مقدم دماغه هو الذي فيه الآفة، ومن اعتل منه الفكر علمنا أن وسط دماغه هو العليل، ومن اختل منه الذكر أو التذكر علمنا أن مؤخر دماغه هو العيل»[١٥٧].

كما يدل اختلال العقل عنده أو أخذه في النقص والتخليط على قرب الموت[١٥٨]، فهو إذن من الأعراض الرديئة، ويذكر أن الأعراض النفسانية مثل الفرح تؤثر في الدم، وتؤدي إلى كثرته مثله في ذلك مثل الأغذية الحلوة[١٥٩]، ويذهب إلى أن رؤية الدماء في المنام تدل على أن «النفس المتخيلة تابعة لمزاج البدن فما غلب على البدن من داخل حاكته النفس من خارج، وخيلته كما تتخيل ما أحسته من خارج[١٦٠]»، وهذا نوع من التفسير للأحداث النفسية بأسباب فسيولوجية أو عضوية، وقد تكون عنده الأسباب النفسانية هي العامل في الأمراض الجسمانية مثل الكرب والقلق والهم[١٦١]، وقد تكون الأفكار عنده تابعة للخلط السوداوي: «لأن من شأن ذلك أن تظلم به النفس، وأن تتخوف العواقب»[١٦٢] كما أنه يفسر تبعا لابن سينا ما يعتري صاحب السوداء من القطوب، وخبث النفس بالخلط السوداوي، وينقل رأي جالينوس وإن كان لايرضي عن تعبيره ويصفه بأنه قول شعري[١٦٣]، وإذا كان المريض يحلم في النوم بالبحار والمياه ويشتكي الكابوس ولايجيد الهضم فتلك أعراض تابعة لمزاج البلغم عنده[١٦٤] كما بين أن الهذيان

يمكن أن يكون علامة على تورم في الدماغ[١٦٥] إذا كان دائما، كما يكون عن أورام الحجاب وفي منتهى الحميات الحادة[١٦٦].

ولم ينس أن يشير إلى العلاج النفساني تبعاً لابن سينا مثل: «أن تفرح نفوسهم (المرضى) بكل ما يستطاع من المسموع والمشموم، وبكل ما هو مفرح من غناء، والجليس الطيب الأنيس.

ومل إلى العلاج في النفوس
بطيِّب النديم والجليس
أعطهم الطيب من روائح
وكل زهر بالعطور فائح
أعطهم الأفراح والغناء
وامنعهم الأفكار والعناء[١٦٧]

ويصف العشق بأنه مرض نفساني تابع لمزاج البدن[١٦٨].

ويعرض ابن رشد للأرواح الثلاثة التي يراها الأطباء في الجسم، وقواها الخاصة بها فللروح الطبيعي النفس الغاذية والمولدة والنامية، وللروح الحيواني النفس الحيوانية وقوة النبض والقوة النزوعية[١٦٩] وللروح النفساني النفس الحساسة والمتخيلة والمفكرة والذاكرة، ولكنه اهتم بالقوة النزوعية من القوى الحيوانية وسماها الشهوانية وعرفها بأنها: «هي التي تنفعل بالحب أو الكراهية لكل شيء يكون سبباً لأن يفعل الإنسان فعلا ما»[١٧٠] فهي إذن سبب الإقدام على الفعل أو الإحجام عنه: «وهذه القوة هي سبب الأفعال، لأن كل فعل فالسبب فيه المحبة، وكل ترك فالسبب البغضة»[١٧١] وهي غير القوة الغاذية وغير القوة المدركة ويذكر أن أفلاطون يسميها بالحيوانية[١٧٢].

أما عدد القوى النفسانية فتسع: الحواس الخمس، والقوة المحركة

في المكان، والقوة المتخيلة، والمفكرة، والذاكرة، وهذه القوى أشار أشار إليها في كتاب الكليات أيضاً، وإن كان زاد عليها قوة الحفظ واعتبرها هي والذاكرة شيئاً واحداً، وتسمى هذه القوى الثلاثة الأخيرة: قوة التخيل وقوة الفكر وقوة الذكر، بالقوى السياسية كأنها هي التي تسوس البدن وتدير شؤونه. ومن الواضح أن ابن رشد لا يأخذ بهذه القسمة ويعتبرها غير صحيحة وإنما: «جرت عادة الأطباء أن يقسموا إليها قوى النفس، وهي إن كانت قسمة غير صحيحة، فيشبه أن تكون قليلة الضرر في هذه الصناعة[١٧٣]»، وذلك أن القوة المحركة عنده ليست شيئاً أكثر من القوة النزوعية إذا اقترن إليها الرأي أو الخيال أو كان هناك إجماع[١٧٤] «وإذا كان الأطباء يعدون القوة النزوعية من القوى الحيوانية وأن القوة المحركة في المكان نوع آخر وهذا كله غير صحيح[١٧٥]»، والقوى عنده إذن هي: الغاذية والنامية والمولدة والحسية والمتخيلة والنزوعية والنطقية ومن رواضع المتخيلة في نظره: الذاكرة والحافظة، ومن رواضع النطقية وخدمها المفكرة والذاكرة، ولايوافق على أن هذه القوى مزاجية بل هي نفسية وهذاهو مذهب الفيلسوف لامذهب الطبيب.

وفي النهاية يرى أن الروح واحدة بالموضوع كثيرة بالوظائف: «وهي بالحقيقة روح واحدة بالموضوع كثيرة بالفعل مثل التفاحة التي هي واحدة بالموضوع كثيرة بالرائحة والطعم واللون[١٧٦]».

ظاهرة النوم:

عرف ابن رشد ظاهرة النوم بأنها: «انصراف الحرارة الحسية إلى معونة الحرارة الطبيعية في الهضم[١٧٧]» وعرفها تارة أخرى بأنها: «انصراف القوى النفسانية من ظاهر البدن إلى باطنه»[١٧٨]، ولما كان الإدراك والحس يقعان في اليقظة وفعلهما المتواصل يتعب النفس كان

النوم هو راحتها، لأنها تتخلى عن الفعل وترجع إلى مبدئها الذي هو القلب فتتوفر هنالك فيما يقول[١٧٩].

ويرى أن سبب النوم إما التعب وإما انهضام الطعام، ولذلك إذا أصيب الإنسان بالأرق انتابه قلق وكرب[١٨٠] وبما أن النوم هو وقت الراحة، راحة البدن بالطبع، فإنه إذا أحدث النوم وجعا دل على سوء الحال[١٨١] ولهذا قال ابن رشد: في بيان ضرر طول النوم على النفس الإنسانية: «وبين إنما كان طول النوم يؤذي النفس لأن النوم إنما هو لمكان استجمام النفس، ووجود النفس بالفعل إنما هو بالسهر، فإذا طول النوم عليها انغمرت حياتها وانطفأت حرارتها كما تنطفىء النار المغطاة بالرماد، كما أنه إذا أفرط المرء في السهر ضعفت الحواس وتبددت حرارتها كما تتبدد حرارة النار لكثرة الحركة»[١٨٢].

ملامح أخرى من الكتاب:

مصادر الشرح:

ذكر ابن رشد في شرحه عدة مصادر وهي:

كتاب ابقراط في الفصول (ص ١٠، ١٨٦).

وتقدمة المعرفة لأبقراط (ص ١٥٥).

وكتاب طبيعة الإنسان لأبقراط (ص ١١)

وكتاب الاسطقسات لجالينوس (ص ١١).

وكتاب المزاج لجالينوس (ص ٢٢).

وكتاب القوى الطبيعية لجالينوس (ص ٤٤).

والغريب أنه لم يشر إلى كتاب القانون لابن سينا للاستعانة به في الشرح إذ الأرجوزة خلاصة له.

استعمال الأعضاء وتربيتها:

يذهب ابن رشد إلى أن كل عضو من أعضاء الجسم يقوى باستعماله وأداء وظيفته فيوصي تبعاً لابن سينا بتربية أعضاء الأطفال ففي البصر مثلاً يوصي بالنظر إلى السماء والنجوم، وبعرض الألوان المختلفة، على العينين، ويرى أن أنسب الألوان وأنفعها للبصر هو اللون الأخضر لتوسطه بين البياض والسواد، ذلك أن البياض شديد التحريك للبصر أو مفرق له، والأسود على العكس مجمع للبصر وكلاهما مضر للبصر، والوسط هو الملائم في نظره[١٨٣]، وكذلك القول في إعداد آلات سمع الطفل لأن يسمع ويتكلم: «وذلك أن الأطفال من شأنهم أن يروموا محاكاة المتكلم كما يفعل الطير الذي يقبل تعليم الكلام[١٨٤]».

التبريد والتجفيف:

أشار ابن رشد إلى طريقة القدماء في حفظ الأغذية ومنعها من التعفن الذي تؤدي إليه الرطوبة والحرارة في الهواء الذي تأتي به الريح الجنوبية في نظره: «ولذلك تكثر العفونة بهبوبها لأن سبب العفونة هو غلبة الحرارة والرطوبة ولذلك نرى الذين يقصدون منع تعفن الأشياء يبردونها ويجففونها[١٨٥]».

الاستحمام:

الاستحمام عنده وعند ابن سينا: «ضروري في تنقية فضول الهضم، (...) وهو ضروري في حفظ الصحة وقد كان القدماء

يستعملونه إثر الرياضة كل يوم، وشرطه ألا يكون في المعدة طعام (. . .) وخواص الحمام أنه يرطب الجسم، ويخلخله، ويتم النضج[١٨٦]».

الرياضة:

اهتم بالرياضة البدنية ودعا إليها، وعرفها بأنها: «أن يعلو النفَس، ويندي البدن[١٨٧]، وأن فائدتها أنها: «تعدل الأبدان، وتخرج الأثقال والأخلاط[١٨٨]» بما فيها من حركة وحرارة، وأنها تعد الجسم للغذاء والنمو، وأن وقتها هو عند «تمام الهضم الأخير[١٨٩]»، ودعا إلى ترك السكون والدعة فإن من شأن ذلك: «أن يملأ الجسم بالأخلاط لقلة الاستفراغ الذي يكون معها (أي الدعة) ولذلك لايتهيأ الجسم للاعتدال، لأن الجسم إنما يتهيأ للاعتدال إذا خرجت عنه الفضول[١٩٠]»، ويوصي كما هو الأمر في الطب القديم أن يمشي الإنسان بعد الطعام قليلًا حتى ينزل الطعام عن فم المعدة (. . .) ولذلك أمر في الغذاء بالنوم، وأمر في العشاء بالسهر[١٩١]».

العادات:

كثيراً ما يشير ابن رشد إلى ما يمكن أن يسمي باجتماعيات الطب، فيذكر اختلاف العادات باختلاف الشعوب، الأمر الذي يؤدي إلى اختلاف الأمراض والأغذية والأدوية، فيذكر مثلًا أن ما حكاه ابن سينا عن الدهاليس التي كانت تصنع في المناطق الحارة تحت الأرض لا توجد في الأندلس، كما أن بعض الأنظمة التي ذكرها ابن سينا على أنها محمودة لاتعرف عنده في الجزيرة، : «هذه هي ألوان الأطعمة المحمودة عندهم بالعراق، وأكثر هذه التي ذكر ليست تصنع في هذه البلاد[١٩٢]»، وذلك مثل الكزبرة، والسكباج، والزيرباج، وكذلك القول

في بعض اللحوم مثل ما سماه ابن سينا بالطيهوج والدراج فانهما لايذكران بالأندلس، ومثل ذلك شرب الماء البارد والفاتر فهو يختلف عنده باختلاف البلدان الحارة والباردة، لأن قليل الماء البارد يروي، والفاتر في حقهم أفضل، وبخاصة في زمن الشتوة، وكان اليونانيون كثيراً ما يجزعون من شراب الماء البارد لمكان عادتهم وبلدهم[١٩٣]».

ويذهب في الغذاء إلى أن: «أفضل الأخباز ما خبز حتى يصير على هيئة الاسفنج، وخمّر تخميراً معتدلاً، وطبخ في التنور، ثم بعد التنور خبز الفرن، وأثنى الزهراوي على خبز الطابق وجعله مثل خبز التنور[١٩٤].

تلوث البيئة:

أدرك القدماء أثر تلوث البيئة على صحة الإنسان ولذا تجد ابن رشد يوصي بعدم أكل السمك الذي يعيش في الشطوط وخاصة قرب المدن: «والذي يكون في الشطوط أردأ أنواع السمك لمكان اغتذائه بالأزبال والأقذار، ولاسيما ما كان منه في شطوط المدن الكبار وكذلك الحال في الأنهار[١٩٥]»، ويرى أن أفضل أنواع السمك إنما هو البحري، وأحسنه السمك الصخري «لكثرة حركة الماء الذي يكون بين الصخور(...) وبعده اللجي[١٩٦]» ذلك أن السمك إما أن يعيش في البحر في الماء المالح، وإما أن يعيش في النهر في الماء العذب أو في الماءين معا، وأفضله في نظره كما قلنا البحري ثم الذي يعيش في الماءين ثم الذي يعيش في الماء العذب[١٩٧] ويخبرنا ببعض أنواع السمك المعروفة عنده في الأندلس فمن السمك الفاضل «السمك الفاضل الذي يعيش في الماءين الذي يعرف عندنا (في الأندلس) بالشايل[١٩٨] والبوري والسردين سمك لجي فاضل»[١٩٩].

ويذكر أن من عادات أهل الأندلس إطعام الطفل قبل نبات أسنانه، وهو أمر لايراه ابن رشد مموداً[٢٠٠].

كما يوصي بمراعاة الناس في علاجهم، ولذلك يشير إلى تطور الناس في الأندلس من الاختصاص على الضروري من العيش عند القدماء إلى الميل إلى الترف والجدة عند بعض الطبقات على الأقل: «وكانت العادة معينة للقدماء في هذا المعنى أعني أن الناس لم يكونوا في ذلك الوقت شديدي النهم، وذلك أن أغذيتهم كانت مقدرة بالشريعة أو قريبة من المقدرة، وأما اليوم فالعادة تضاد هذا التقدير، فينبغي أن يزاد قليلاً في تغذيتهم، ولاسيما أهل الترف والجدة[٢٠١].

العالم الصغير والعالم الكبير:

من الأدب الطبي عند ابن رشد كثرة ضرب الأمثلة التصويرية لتقريب المعاني الطبية إلى الأذهان من ذلك أنه يشبه ما يحدث للجسم من أمراض وأزمات بما يحدث في العالم الكبير من زلازل ورعود وبروق، فما يصيب الإنسان من الحمى من النوع النافض مثلا فهو مثل الزلزال: «إن الذي يحدث من ذلك في العالم الصغير هو شبيه بما يحدث في العالم الكبير»[٢٠٢]. وعندما يتكلم على تركيب الأدوية بعد إفرادها يصور هذا اللون من المرانة على التركيب بعد التحليل بالموسيقى: «وكما أن صاحب الموسيقى بعد أن يعطي اسطقسات الألحان، وأصناف تركيبها قد يتكلم في الآلات المشهورة ليقع بذلك الارتياض، كذلك الأمر هاهنا»[٢٠٣] وشبه تأليف الكتاب بعمل الرسام في رسمه وتلوينه في كتابه الكليات وهكذا لو جمعت هذه الأمثلة لكانت كافية في كتابة مقال شائق أدبيا وتربوياً.

صيانة النساء:

وردت إشارة لطيفة إلى صيانة وجوه النساء من حرارة الشمس وتأثيرها عليها، وذلك أن ابن رشد أوصى تبعاً لابن سينا أيضاً بأن يطلى الوجه بالدهن والشمع، ولكن ابن رشد بين أن الأولى أن لا يطلى الوجه بالأطلية التي فيها شمع، لأن حرارة الشمس تذيب الشمع، : «وذلك لأن تأثير الشمس في أوجههن هو أشر لموضع صيانتهن»[٢٠٤]، وبذلك لم ينس أطباؤنا العناية بجمال المرأة وصيانته، وقد شاع في زماننا هذا اصطناع الدهون والزيوت والمواد الكيميائية إلى درجة بالغة وموغلة في إفساد الوجوه أحياناً.

ملحق

نماذج من اصطلاحات ابن رشد الطبية وتعريفاتها،

ومن تعبيراته العلمية وبعض أسماء الأدوية

(ب)

- بادية (أسباب الأمراض).

«أسباب من خارج البدن وهي التي تسمى بادية»(ش.أ/ ٩٣)[٢٠٥].

- البثور: «يعني بالبثر الحبوب التي يكون معها وجع شديد، وانتفاخ العضو» (ش.أ/ ٢٦٣).
- مبقورة: (أورام): «المبقورة هي المتفجرة» (ش.أ/ ١٣٥).
- بحران: «وحدّ البحران هو تغير يصيب العليل بسرعة في الآن، وهذا التغير يحدث عن صعوبة الأعراض التي بالعليل، ومجاهدة النفس للمرض، وهذا يفضي بسرعة بالمريض إما إلى الموت، إن كان مذموماً، أو إلى الحياة إن كان محموداً» ش أ/ ١٦٢.

«والبحران في الحقيقة إنما هو عبارة عن مقاتلة القوى للمرض، ومحاربتها إياه، فإن غلبت القوة كان بحراناً محموداً وكانت السلامة والحياة، وإن غلب المرض كان الموت، وهذا الاسم كان يدل في لسان اليونانيين على الحكم والفصل في القضايا بحياة الجاني أو موته فنقل هذا الاسم إلى البحران على جهة التشبيه كأنه يوم الحكم فيه، والقضاء بتغليب المرض أو القوة» (ش. أ/ ١٦٢).

- البواسير، (ج. باسور).
«البواسير لحم زائد ينبت في فم المقعدة» (ش ج / ٢٧٩).

(ت)

- التوتة: «هي ورم متقرح في الوجه» (ش.أ / ٢٦٤).

(ج)

- الجبر: «الجبر هو رد الشظايا من طرفي العظم المكسور، وإدخال بعضها في بعض على الهيئة التي شظت، حتى يعود العظم كهيئته، ونشر ما لم يمكن منها أن يدخل بعضه في بعض، مما إن ترك نخس وآذى. ثم تلفّ على موضع الكسر عصايب، يبتدأ باللف من موضع الكسر إلى الجهتين جميعاً أعني إلى فوق موضع الكسر من الجهتين، لا أن يبدأ من فوق حتى يصار بها إلى الكسر، وذلك أن هذا النحو من الشد هو الذي يمنع المواد أن تنصب إلى موضع الكسر، وهذا الربط ينبغي أن لا يجعل مفرط الشدّ لئلا ينزل العظم، ولا رخوا لئلا تنصب إليه المواد، ثم توضع بعد هذا الربط رفائد من عود لتمسك استقامة العضوين. والمجبرون من أهل زماننا يجعلون هذه الرفائد من أول الأمر، والصواب أن تؤخر إلى أن يؤمن من التورم ثم تشد هذه الرفائد بلفائف أخرى». ش. أ/ ١٨٢.
- الجرح: «وما أصاب اللحم من تفرق الاتصال يسمى جرحاً، وإن تمادى الزمان به سمّي قرحا»ش أ/ ٩٢.
- الجمود: «المرض الذي يسمى الجمود الذي يعتري من سبب بارد من خارج مثل الجليد والثلج» ش. أ/ ٨٦.

(ح)

- حب القرع: «وهي دود يتولد في المعاء، ويصيب منها القولنج» ش. أ/ ١٠٢.

- حمى: «أما الحميات فيظهر أنها حرارة تعم البدن، مضرة بجميع أفعال الأعضاء وانفعالاتها» ك / ٩٧[٢٠٦].

«فحد الحمى إذن هو أنها حرارة ممتزجة من الحرارة الطبيعية، والحرارة العفونية تنبعث في جميع البدن من القلب، فتضر جميع الأفعال والانفعالات» ك / ٩٧.

- حمى الدق والذبول وحمى العفونة وحمى يوم:

«والحرارة إذا حدثت في عضو من البدن لم يكن لها اسم يخصها، وإذا حدثت في جميع البدن سميت حمى، وهذه إن كانت الحرارة منه في الأعضاء الأصلية سميت دقا، وذبولاً وإن كانت في الأرواح سميت حمى يوم» ش. أ/ ٨٦.

- الحيوان الكثير الأرجل: «وأما الورم الذي يحدث في الأنف وهو المسمى باسم الحيوان الكثير الأرجل فإنه يحدث عن السوداء» ش. أ/ ٢٧٣.

(د)

- الدوالي: «والدوالي هي عروق تظهر في الساق غليظة شديدة الغلظ، تمتلىء من أخلاط سوداوية، وأكثرها يعترى أهل التعب». ش أ/ ٢٧٩.
- دق (أنظر حمى)
- داء الفيل: «هو أن يغلظ الساق والقدم غلظا خارجاً عن المجرى الطبيعي، لأجل مادة غليظة تنصب هنالك، وأكثر ما يكون عن الخلط السوداوي» ش. أ / ٢٧٠.

(ر)

- الرشبذ: «وكذلك الرشبذ الذي تتصل به العظام المكسورة هو اتصال غير شبيه» ش. أ/ ٥٨.

«والذي ينبت في موضع الكسر هو شيء شبيه بالعظم، وليس عظما، وهو الذي يعرفه الأطباء بالرشبذ» ش. أ/ ٢٨٣.

- الرّض: «وما انشق بالطول أو بالعرض في عصب يسمى شقاً ورضا» ش. أ / ٩٣.

(ز)

- زلق: «وذلك أن هذه العلة هو أن يخرج الطعام من المعدة والمعا غير منهضم، إما لخلط هناك مزلق، إما لقروح فيها، فإذا وقف الطعام فيها حتى يحمض دل على خير» ش. أ/ ١٨٩.

(س)

- سابقة (أسباب الأمراض) «وأسباب من داخل، وهذه منها قريبة وهي التي تسمى واصلة، (. . .) ومنها بعيدة وهي التي تسمى سابقة» ش. أ / ٩٣.
- سبانجة: «سبانجة الأنف: اللحم النابت الشبيه بالحيوان الكثير الأرجل» ش. أ / ٢٧٨.
- السّبْل: «هي عروق غير طبيعية تنسج على الملتحم من العين».
- سكتة: «والسكتة هو أن يعدم الإنسان الحس والحركة في جميع بدنه بغتة، وهي إما أن يبرأ منها، وإما أن ينحل إلى فالج». ش. أ/ ٢٧٠.
- سلخ: «وما أبان الجلد عن اللحم يسمى سلخاف» ش. أ / ٩٣.

(ش)

- الشق (انظر الرّض) «الأورام التي تحدث الشتر في العين وانقلاب الأجفان» ش. أ/ ٢٧٨.
- النشاتر: «الأورام التي تحدث الشتر في العين وانقلاب الأجفان» ش. أ/ ٢٧٨.

(ص)

- الصرع: «هو تشنج، وفعل منكر يعتري في الدماغ والعصب، من البلغم، والريح البلغمية» ش. أ/ ١٥٤.
«وأما الصرع فيكون عن البلغم وعن السوداء» ش. أ/ ٢٧٣.

(ط)

- طب انخلاع المفاصل: «وطب انخلاع المفاصل هو أن يمد كل واحد من العضوين إلى الجهتين المتقابلتين، ثم يحل عنهما حتى يدخل أحدهما في الآخر أعني المفصل في ذي المفصل، والقدماء كان لهم في ذلك معرفة تفعل ذلك بسهولة وحسن اعتدال» ش. أ / ١٨٣.
«وبعد ما يرجع العضو المفصول تتركه زماناً محدوداً حتى يسلم من الورم ثلاثة أيام، بأن تجعل عليه الأدوية القابضة حتى يسلم بذلك من التورم، ثم تلزم صاحبه تسكين ذلك العضو لا أقل من شهر، وربما احتاج إلى أن يبقى عشرا بعد الشهر أعني أربعين يوما» ش. أ/ ٢٨٣ - ٢٨٤.

(ع)

- الأعفاج: «هي البطون التي ينطبخ فيها الغذاء وهي المعا والمعدة، والكبد» ش. أ/ ١٤١.
- عفونة (انظر) حمى.
- اغماء: «وأما الإغماء فلعله[٢٠٧] يعني به الصرع أو السدر الذي يسقط منه صاحبه على الأرض.» ش. أ/ ٢٧٠.

(ف)

- الفالج: «هو استرخاء الشق الواحد، وذهاب الحس منه والحركة» ش. أ/ ٢٧٠.
- الفتق: «فتق السرة يكون من المعا ومن الثرب» ش. أ/ ٢٨٠.

- الفزز: «الانفصال أو تفرق الاتصال في الأعضاء يسمى في الغشاء والعروق فزرا» ش. أ/ ٩٢.
- الفسخ: «وما اعترى العضل (أي من الانفصال) يسمى فسخاً» ش. أ/ ٩٣.
- الفواق: «الفواق الذي من قبل الرطوبة، وذلك أن العطاس يدفع تلك الرطوبة عن جرم المعدة التي هي بسبب الفواق، وتعين الطبيعة على دفعها، لأن الفواق هو حركة ضعيفة من الطبيعة لدفع الفضل المؤذي في المعدة، وأما الفواق الذي سببه التشنج من اليبس فلا تزيله» ش. أ/ ١٨٩.

«الفواق الذي يعرض عند دفع المعدة ما يصيبها من الخلط المؤذي لها» ش. أ /١٠٨.

- الفيل (انظر داء الفيل)

(ق)

- القرح: (انظر الجرح)
- القولنج: «يعني تورم المعا الذي يسمى القولنج الشديد» ش. أ / ٢٦٢.

(ك)

- الكابوس: «هو صرع ما يكون في النوم، ولذلك ينذر بالصرع» ش. أ/ ١٥٤.
- الكسر: «انحلال الفرد في الأعضاء، له أسماء فيسمى في العظام كسراً» ش. أ/ ٩٢.

(ل)

- لقوة: «وأما اللقوة فهي استرخاء أحد الجانبين من الوجه، وتشنج

الثاني، وتكون من سببين: من استرخاء من رطوبة ترخي، ومن تشنج، فإذا كانت من التشنج كان الخد العليل هو المتشنج، وإذا كانت من استرخاء كان العليل هو الجانب المسترخي» س. أ/ ٢٧٠.

(ن)

- نخاع: «ومن الدماغ والنخاع ينبت عصب الحس والحركة، والنخاع هو جسم يخرج من مؤخر الرأس، ويمر في الفقارات إلى آخر الظهر، ويخرج من ملتقى كل فقارتين عصبتان تأخذ إحداهما يمنة، والأخرى يسرة، إلا الفقارة الأخيرة فإنه تخرج منهما عصبة واحدة. وعدد الفقارات أربع وعشرون فقارة، ومن هذا العصب تأتي الحركة (كذا) اليدين والرجلين، ويخرج من مقدم الدماغ سبعة أزواج من العصب هي التي تعطي كل ما في الوجه من الحس والحركة، وكذلك الصدر، وآلات النفس والكلا» ش. أ/ ٥١.
- النزوعية: «والقوى الثانية من القوى الحيوانية هي القوة التي تسمى بالنزوعية، أعني الشهوانية، وهي التي تنفعل بالحب أو الكراهية لكل شيء يكون سبباً لأن يفعل الإنسان فعلا ما، أعني أن يقرأ، وأن يطلب، وهذه القوة هي سبب الأفعال، لأن كل فعل فالسبب فيه المحبة، وكل ترك فالسبب فيه البغضة فكأنه قال(يقصد ابن سينا): وهذه القوة هي التي تنفعل بالمحبة أو بالبغضة للأشياء المحبوبة أو المبغوضة التي هي سبب حدوث الأفعال للإنسان، وهذه القوة هي غير الغاذية، وغير المدركة، فإن أطلق اسم الحيوانية على هذه فقط كانت الحيوانية قوة ثالثة غير الحساسة والنباتية، وهذه هي التي يدل عليها أفلاطون بالحيوانية، وأما النبضية فليست من هذا الجنس، بل هي من جنس القوى الفاعلة للغذاء» ش. أ/ ٥٩.
- الانتشار: «والانتشار هو اتساع ثقب القرنية فيضعف النظر بذلك، وهذا الاتساع إذا كان سببه استرخاء كان عن البلغم، وقد يكون سببه

عن يبس» ش. أ/ ٢٧.

- النوم: «هو انصراف القوى النفسانية من ظاهر البدن إلى باطنه، ولما كان فعلها الذي هو الإدراك والحس المسمى يقظة إنما هو إذا كانت في ظاهر البدن، وكان الفعل يتعبها كان في النوم راحتها، لأنها تنحل عن الفعل وترجع إلى مبدئها الذي هو القلب فتتوفر هنالك، وسبب النوم هو إما انهضام الغذاء، وإما التعب. أما وقت انهضام الغذاء فلأن الغذاء ما دام ينهضم يتولد عنه في القلب والدماغ بخار رطب بارد، ومن شأن البارد أن ينقبض فيغور فترجع الحرارة الغريزية لمبدئها لمكان ما غذاها من البرودة فترجع الحواس برجوعها، إذْ كانت محمولة فيها، وإنما كان التعب سبباً للنوم فلأن التعب يبرد الحرارة الغريزية ويبددها فتنقبض إلى مبدئها لتستجم هنالك وتستريح من التعب حتى ترجع إلى قريب من المزاج الأول فينتبه الحيوان كما ينتبه إذا تم هضم الغذاء» ش. أ/ ٧٦ - ٧٧.

(هـ)

- هتك: «تفرق الاتصال إذا وقع في الرباط أو في الوتر مثل انصداع فيها أو بتر يسمى هتكاً» ش. أ / ٩٢.

(و)

- واصلة (أسباب الأمراض):

«الأسباب صنفان: أسباب من خارج البدن وهي التي تسمى البادية، وأسباب من داخل، وهذه منها قريبة وهي التي تسمي واصلة» ش. أ/ ٩٣.

- ورم الأربية: «وهو ورم اللحم الذي في أصل الفقر» ش. أ/ ١٨٨.
- ورم ذات الجنب:

«أورام ذات الجنب أعني أورام غشاء الصدر وأورام الرئة نفسها» ش. أ/ ١٢٤ - ١٢٥.

- ورم فلغموني

«الورم الفلغموني عند الأطباء هو الذي الغالب عليه الدم، ولذلك كان الذي يبول صاحب هذا الورم دما عفنا». ش. أ/ ١٣٥.

(ي)

- اليرقان:

«الأعراض (...) فمنها ما يدركة حس البصر وهي المبصرات الخارجة عن الطبع مثل صفرة صاحب اليرقان» ش. أ / ١٠٨

نماذج من أسماء الأدوية

كتب ابن رشد قائمة من أسماء الأدوية مصنفة حسب محل استعمالها من البدن وذلك بإحصاء جهات استعمال الأدوية وما وضع لها من أسماء في صناعة الطب.

فالأدوية «إما أن تستعمل من خارج وإما من داخل، وإن استعملت من داخل فإما أن تستعمل عن طريق الفم، وإما عن طريق المخرج» ش. أ/ ٢٥٠.

أولا - أسماء الأدوية المستعملة من الداخل:

أ - أسماء ما يرد من الفم.

١ - معجون.

٢ - شراب.

٣ - سفوف (الأدوية اليابسة المسحوقة).

٤ - حب.

٥ - نجاتج (أو الرب، مشروب مسهل).

٦ - غراغر

ب - أسماء ما يرد من المخرج.

١ - تقطير (من مخرج البول)

٢ - حقن (من مخرج الفضلة إذا كان سائلا).

٣ - فرازج أو فرازجه أو فرزجة (إن لم يكن سائلا).

٤ - فتائل (وقد تسمى الفتائل: الخرق المفتولة التي توضع في الجراحات الغائرة).

ج - ما يرد من الأنف:

السعوط.

د - ما يرد العين

١ - كحل

٢ - شياف

هـ - ما ينقى به الفم.

١ - سواك

٢ - سنون. ش.أ/ ١٥٠.

ثانيا – أسماء الأدوية المستعملة من الخارج:

١ – دهن

٢ – دلك

٣ – نطول

٤ – خضاب

٥ – غسول

٦ – ضماد (تضميد)

٧ – كماد (تكميد)

٨ – طلي

٩ – ذرور

١٠ – وشم

١١ – مرهم

١٢ – تغليف

المصادر والمراجع

١ - ابن رشد، كتاب الآثار العلوية تحقيق سهير فضل الله وسعاد علي عبدالرزاق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٤.

٢ - ابن رشد، بداية المجتهد وكفاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٣ - شرح أرجوزة ابن سينا، مخطوط أحمد الثالث.

٤ - رسائل ابن رشد الطبية تحقيق جورج شحاته قنواتي، وسعيد زايد، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٥ - الكليات في الطب، تحقيق سعيد شيبان وعمار الطالبي، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع الاتحاد الدولي للاكاديميات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.

٦ - ابن النفيس، كتاب «تشريح القانون»، تحقيق سلمان قطاية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨.

٧ - حنين بن اسحاق، المسائل، تحقيق محمد علي أبو ريان وجلال محمد مرسي، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، ١٩٨٧.

٨ - جالينوس، كتاب جالينوس في الاسطقسات على رأي أبقراط نقل حنين بن اسحاق وتحقيق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧:

٩ - كتاب الصناعة الصغيرة نقل حنين بن اسحاق تحقيق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨.

١٠ - كتاب جالينوس في فرق الطب للمتعلمين، نقل حنين بن اسحاق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.

١١ - كتاب جالينوس إلى أغلوقن في التأتي لشفاء الأمراض، شرح وتلخيص حنين بن إسحاق، تحقيق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢.

١٢ - مجلة المورد، مج ١٤، العدد ٤، المجد ١٩، العدد ٢.

الهوامش:

(١) برنامج الفقيه الإمام الأوحد أبي الوليد بن رشد نشره:
Renan, Oeuvres Completes d'Ernest Renan Calman- Levy, Paris, 1949, T.111.

(٢) ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، تحقيق إحساس عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣، المجلد السادس ص ٢١ - ٣١.

(٣) يبدو أنه هو الذي قتله عمه أبو يعقوب سنة ٥٨٤هـ وقد كان والياً لمنطقة بجاية بالجزائر وهو الذي جدد الرفيع والبديع من رياضها ومعالمها، على حد تعبير ابن خلدون.

(٤) ابن رشد، شرح أرجوزة ابن سينا، مخطوط أحمد الثالث رقم ١٩٥٣/١ ص ١ - ٢.

(٥) ابن رشد، المصدر نفسه ص ٤٦.

(٦) الشيخ عبد القادر نور الدين في مقدمة نشره للأرجوزة بالاشتراك مع هنري جاييه:
POEME de la Medicine, Etabli et Presente Par Henier et Abdelkader Noureddine, de L'Universtite d'alger, Les Belles Lettres, Paris, 1056, P.2.
وأبو شادي الروبي، محاضرات في تاريخ الطب العربي، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ ص ٧٩.

(٧) ابن طلموس، المخطوط المشار إليه، ورقة ١٧٤.

(٨) نور الدين عبد القادر وجاييه، المصدر المذكور ص ١٠.

(٩) انتقلت إلى دار الكتب الوطنية بتونس حالياً، أشار إلى هذه النسخة حسن حسني عبد الوهاب. انظر المصدر نفسه.

(١٠) فهرست مخطوطات الطب الإسلامي في تركيا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤، ص ٥٥ - ٥٦، بروكلمان ١: ٤٥٧ ذيل ٨٢٣، إيضاح المكنون١ : ٣٨٥، فهرست المخطوطات المصورة ٣/ ٢ ص ٦٦، ٦٧.

(١١) أبو شادي الروبي، المرجع السابق ص ٢٢.

(١٢) نور الدين وجاييه، المصدر السابق ص ١١.

(١٣) فهرست مخطوطات الطب الإسلامي بتركيا ص ٥٦٥٥.

(١٤) نور الدين وجاييه، المصدر السبق، ص ١٠.

(١٥) المصدر نفسه ص ١٠١.

(١٦) وعنوانه: Incipit Translatio Canticor Avic Cum Commento Avereohoes Facta ab Arabico, in Lalinum Amag Armegan Blassi de Montrepesulano, (Venice 1484).

(١٧) نور الدين وجاييه، المصدر السابق، ص ١٠٢.

(١٨) جورج قنواتي، مؤلفات ابن رشد بمناسبة انعقاد مهرجان ابن رشد بالجزائر ، القاهرة، ١٩٨٧.

(١٩) أبو شادي، المصدر السابق ص ٢١ - ٢٢.

(٢٠) أسامة ناصر النقشبندي، مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١، ص ١٨٤.

(٢١) فهرست مخطوطات الطب الإسلامي بتركيا ص ٥٣.

(٢٢) Albert Z. iskander, {ibn Rushd in Dictionary of Scientific Biography, Charles Scriner, Sons, New york, 1981, p.8.

(٢٣) غير مقروء.

(٢٤) هو قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي (ت ٧١٠هـ / ١٣١٢م) له شرح على القانون لابن سينا توجد منه نسخة بمكتبة كوبرلي رقم ٩٦٨.

(٢٥) انظر الصفحات التالية: ٦٨، ٨٢، ١٣٠، ١٦٨، ١٧١، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٠، ٢١٤، ٢١٥.

(٢٦) انظر الورقات، ١٧، ١٨، ١٢٥.

(٢٧) انظر الورقات: ١٠٨، ١١٣، ١٢٤.

(٢٨) ورقة ١٤ وهو نص يتصل بالكسمولوجيا القديمة. لايمكن أن يكون متفقاً مع علم ابن رشد بالفلك ولامع عقلانيته.

(٢٩) ابن رشد، الشرح، ص ٢٥٦.

(٣٠) المصدر نفسه ص ٤٦ ومن الواضح عنده أن ابن سينا إنما يبين الأصول في هذا الباب، ص ٣١.

(٣٢) المصدر نفسه ص ٢٩ ويقصد بالمعنى هنا: الوقوف على مزاج الدواء.

(٣٣) المصدر نفسه ص ٢٥.

(٣٤) المصدر نفسه ص ٣٠.

(٣٥) المصدر نفسه ص ١٩١.

(٣٦) المصدر نفسه ص ١٩١.

(٣٧) الكتاب التذكاري للمرحوم محمود قاسم، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٤٥٧ - ٥٠٧.

(٣٨) رسائل ابن رشد الطبية، تحقيق جورج قنواتي، وسعيد زايد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص ٤٢٢.

(٣٩) المصدر نفسه ص ٣٣٠.

(٤٠) المصدر نفسه ص ٤٠٣ (مقالة الترياق).

(٤١) المصدر نفسه ص ٤٢٢ (مقالة الترياق).

(٤٢) ابن رشد شرح الأرجوزة ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٤٣) البرسام هو ورم الحجاب (شرح الأرجوزة ص ١٢٧).

(٤٤) المصدر نفسه ص ١٢٧.
(٤٥) المصدر نفسه ص ٤٠.
(٤٦) يقصد صنفا من أصناف المرة السوداء الذي يعرف بالدخائي وهو الخلط الذي يولد الجشا في المعدة ص ٤٣ من الشرح.
(٤٧) المصدر نفسه ص ٤٣.
(٤٨) المصدر نفسه ص ١٣٢.
(٤٩) تدل عند ابن سنا على انطفاء الحرارة الغريزية واستيلاء البرد على البدن إن رأي المريض ذلك في منتهى المرض (الشرح ص ١٧٧).
(٥٠) المصدر نفسه ص ١٦٣ ص ١٦٣.
(٥١) المصدر نفسه ص ٢٦٤.
(٥٢) المصدر نفسه ص ٦٤ - ٦٥.
(٥٣) المصدر نفسه ص ١٦٨.
(٥٤) المصدر نفسه ص ١٧٠.
(٥٥) تحقيق فضل الله أبو رانية، وسعاد عبدالرزاق، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢٢.
(٥٦) المصدر نفسه ص ٢٢.
(٥٧) المصدر نفسه ص ٤١.
(٥٨) ابن رشد، شرح الأرجوزة ص ٦٢، ٦٣.
(٥٩) ابن رشد، البداية دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٦، ج ١، ص ٩٣.
(٦٠) المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٨٥، وانظر ص ٩٦ في ذكر الطوالع ورصد الخليل للشفق الأبيض، وزعمه أنه يبقى إلى ثلث الليل وأن ذلك تكذبه التجربة والقياس.
(٦١) المصدر نفسه خاصة ١١١.
(٦٢) ابن رشد، الآثار العلوية ص ٤٤ وانظر مشاهدته الصواعق ص ٤٥ وحكاية ابن حيان أن حجراً عظيماً وقع في الكنبائية بقرطبة ملتهباً ناراً في وقت صحو وأنه رأى ذلك الحجر وهو كبريتي الرائحة في طبيعة النشادر.
(٦٣) ابن رشد، تلخيص كتاب الاسطقسات لجالينوس ص ٤٦.
(٦٤) الكليات، ص ٢١.
(٦٥) ابن رشد، تلخيص كتاب الاسطقسات ص ٥٠ وتلخيص كتاب المزاج ص ٨٧ - ٨٨.
(٦٦) ابن رشد، تلخيص المزاج ص ١٦٢ من المصدر نفسه.
(٦٧) ابن رشد، المصدر نفسه ص٨١٦٢
(٦٨) ابن رشد، رسائل ابن رشد الطبية ص ٤٣٠.
(٦٩) ابن رشد، شرح الأرجوزة ص ٢ - ٣.

(٧٠) عرفه جالينوس بأنه: «معرفة الأشياء المنسوبة المتصلة بالصحة والمرض وبالحال التي لم يخلص للإنسان صحة ولا مرض» ص ٣.

(٧١) ابن رشد، المصدر نفسه ص ٣ - ٤ وانظر ص ٥ - ٦ في بيان الفرق بينهما.

(٧٢) ابن رشد، المصدر نفسه ص ٤ وأما تعريف الصحة في كتابه الكليات فهو: صناعة فاعلة عن مباديء صادقة يلتمس بها حفظ صحة بدن الإنسان وإبطال المرض بأقصى ما يمكن في واحد واحد من اوبدان»، ص ١٩ وبين أن حد جالينوس غير صحيح لأنه أسقط الفصل الذي يفصل بين الطب والعلم الطبيعي.

(٧٣) ابن رشد، شرح الأرجوزة ص ٦.

(٧٤) ابن رشد، المصدر نفسه ص ٦.

(٧٥) أشرنا الأستاذ سعيد شيبان وأنا إلى أن الفارابي هو أول من قسم العلم الطبي إلى أجزائه السبعة وقد أشار ابن ميمون إلى هذه أيضاً ونقله عنه ويرى بعض الباحثين M. Plessner أن هذه الأجزاء توجد في كتاب جالينوس De Partibus artis Meducativae ويوجد مخطوطات في استانبول واكتشفه ريتر (رقم As 3725 من ورقة 381 إلى 291) وأورد نصا يكاد يكون حرفيا موافقاً للنص الوارد في مقدمة رسالة الفارابي في الرد على جالينوس المنشورة في رسائل فلسفية للكندي، والفارابي وابن باجه وابن عربي تحقيق عبدالرحمان بدور، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠، ١٩٨٠، ص ٤٠ - ٤٢ وص ٥٣ - ٥٤.

أنظر M. Plessner "Al-Farabi'a intoduction to the Study of Medicine" in Islamic Philosophy and the Classical Trasition University of South Corolina Press Cplumbia Soulh Carolina 1972, pp. 3007-314.

ولكن ينبغي الرجوع إلى هذا المخطوط للتأكد من ذلك.

(٧٦) ابن رشد، شرح الأرجوزة ص ٨.

٧٧ ابن رشد الكليات ص ١٥١، وفي ص ٦٣ عرفها بأنها: هي حال في العضو بها يفعل الفعل الذي له بالطبع، أو ينفعل الانفعال الذي له.

(٧٨) ابن رشد، المصدر نفسه ص ٣١٦.

(٧٩) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص ٤.

(٨٠) ابن رشد، الكليات ص ٩٣.

(٨١) ابن رشد، شرح الأرجوزة ص ٨٦.

(٨٣) ابن رشد، شرح الأروزة ص ١٠٦.

(٨٤) ابن رشد، المصدر نفسه ص ١٠٧.

(٨٥) ابن رشد، المصدر نفسه ص ١٠٩.

(٨٦) ابن رشد، المصدر نفسه ص ١١٠.

(٨٧) ابن رشد، المصدر نفسه ص ١٦٨.

(٨٨) ابن رشد، شرح الأرجوزة ص ١٥٨.
(٨٩) ابن رشد، الكليات ص٩٩٥.
(٩٠) ابن رشد، شرح الأرجوزة ص ١٥٨.
(٩١) ابن رشد، المصدر نفسه ص ١٥٨.
(٩٢) وهذا أمر نبه إليه الأستاذ شبيان وأنا في مقدمة كتاب الكليات لابن رشد، وقد ألحقت بهذا البحث مجموعة من هذه التعريفات والتعابير العلمية الرشدية.
(٩٣) نشر هذا الرد:
(٩٤) ابن رشد، أصناف المزاج ص ٣٧٦ ضمن رسائل ابن رشد الطبية.
(٩٥) انظر الصفحات: ٤، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١٣، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣١، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٥١، ٥٥، ٥٨، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٦٩، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ١١٧، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٢، ١٥٠، ١٥٧، ١٥٨، ١٧٠، ١٧١، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٣، ٢١٢، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٨، ٣٢٩، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٨٠.
(٩٦) ابن رشد، تلخيص كتاب المزاج لجالينوس، ص ١٦٢، ضمن رسائل ابن رشد الطبية.
(٩٧) ابن رشد، الكليات، ص ٢٤٧.
(٩٨) ابن النديم، الفهرست، نشره فلوجل ، ص ٢٩٠، س ١٤ - ١٥.
(٩٩) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص ٢١.
(١٠٠) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ٢٢.
(١٠١) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ٢٢.
(١٠٢) الروح الطبيعي في الطب القديم هو عبارة عن بخار يكون انطباخ الدم في الكبد، أما الروح الحيواني فهو أيضاف بخار تبقي به الحياة، وبذهابه يموت الإنسان ويوجد في القلب، والروح النفساني محله الرأس وبه يكون الرأي والحس والحركة وسائر القوى مثل الحركة في المكان وهذا مذهب بقراط وأفلاطون وجالينوس. شرح الأرجوزة لابن طملوس، ص ١٠٠، وشرح ابن رشد ص١٢٨.
(١٠٣) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص ٥٥.
(١٠٤) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٥٠.
(١٠٥) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٩٠.
(١٠٦) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٤٠.
(١٠٧) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٤٤.
(١٠٨) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٤٣.

(١٠٩) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٦٥.
(١١٠) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ٢٠٩.
(١١١) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
(١١٢) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ٢٦٤.
(١١٣) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ٢٧١.
(١١٤) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٢٣.
(١١٥) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٢٦٧.
(١١٦) في نسخة أحمد الثالث.
(١١٧) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ٢٨٧.
(١١٨) بروكلمان، ج ١، ص ٨٢٣، ترجم له في ج ٢، ص ٧١٤.
(١١٩) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص٩.
(١٢٠) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٠.
(١٢١) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١١.
(١٢٢) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٤١ - ٤٢.
(١٢٣) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٤٢.
(١٢٤) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٤٤.
(١٢٥) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٢٨.
(١٢٦) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٠.
(١٢٧) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٤٩.
(١٢٨) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٥٠.
(١٢٩) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٢٨.
(١٣٠) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٥٢.
(١٣١) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١١١.
(١٣٢) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٧٥.
(١٣٣) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٢٢.
(١٣٤) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١١٧.
(١٣٥) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١١٧ - ١١٨.
(١٣٦) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٩٥.
(١٣٧) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٦٠.
(١٣٨) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٢٦٠ - ٢٦١.
(١٣٩) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٢٣٠.

(١٤٠) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٨٠.
(١٤١) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ٦.
(١٤٢) حققه محمد علي أبو ريان ووجلال محمد موسى، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، ١٩٨٧.
(١٤٣) حنين، المسائل ص ١ - وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية وكان واسع الانتشار، انظر ص ٢٢٥.
(١٤٤) كما فعل محققا رسائل ابن رشد الطبية ص٤٣١، وأنكى من ذلك أنها نسبت إلى جالينوس وأصبح ابن رشد شارحاً لها أو ملخصاً.
(١٤٥) رسائل ابن رشد الطبية، ص٤٤٣.
(١٤٦) ابن رشد، تلخيص كتاب المزاج، ضمن رسائل ابن رشد الطبية، ص ١٦٢.
(١٤٧) محمد مخلوق، شجرة النور الزكية، ص ١٤٦ - ١٤٧.
(١٤٨) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص ٢٢٦.
(١٤٩) ابن رشد، المصدر نفسه ص٢٦٣.
(١٥٠) ابن رش أبو محمد عبدالله، مقالة في حيلة البرء ضمن رسائل ابن رشد الطبية، ص٤٣٣.
(١٥١) ابن رشد أبو محمد عبدالله: في حيلة البرء، ص ٤٣٧.
(١٥٢) ابن رشد أبو محمد، المصدر نفسه، ص٤٣٧.
(١٥٣) ابن رشد أبو محمد، المصدر نفسه، ص٤٣٧.
(١٥٤) ابن رشد أبو محمد، المصدر نفسه، ص ٤٣٨.
(١٥٥) ابن رشد، الكليات، ص ٩٥.
(١٥٦) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص ١١٢.
(١٥٧) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ١١٢.
(١٥٨) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ١٦٠.
(١٥٩) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ١٤٨.
(١٦٠) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ١٤٨.
(١٦١) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ٧٩، ١٤٩.
(١٦٢) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ١٥٠.
(١٦٣) يقول جالينوس: إن النفس تستوحش بالخلط السوداوي كما يستوحش الإنسان من الظلام «شرح الأرجوزة، ص١٥٠.
(١٦٤) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص ١٥٤.
(١٦٥) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٨٣.

(١٦٦) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ١٦٦.
(١٧١) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٥٩.
(١٧٢) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٥٩.
(١٧٣) ابن رشد، الكليات، ص ٥٤-٥٥.
(١٧٤) الاجماع هنا هو «العزم» أو الهم بالفعل.
(١٧٥) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٥٥.
(١٧٦) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص ٥٦.
(١٧٧) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٢٠٣ - ٢٠٤.
(١٧٨) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٧٦.
(١٧٩) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٧٧.
(١٨٠) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٧٩.
(١٨١) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٧٨.
(١٨٢) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٢٠٤.
(١٨٣) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص٧١
(١٨٣) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٢١٨.
(١٨٤) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص٦٧.
(١٨٦) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٨٣.
(١٨٧) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٢٠٦.
(١٨٨) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٧٩.
(١٨٩) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٧٩.
(١٩٠) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٨١.
(١٩١) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٢٠٥.
(١٩٢) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٢٠٠.
(١٩٣) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٢٠٠.
(١٩٤) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٧٢.
(١٩٥) ابن رشد، المصدر نفسه، ص ٧٣ - ٧٤.
(١٩٦) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٧٢.
(١٩٧) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٧٢.
(١٩٨) في الرسائل: الشبابيط، ص٤٢٦.
(١٩٩) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص٧٤.
(٢٠٠) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٢١٧.

(٢٠١) ابن رشد، المصدر نفسه، ص١٦٠.
(٢٠٢) ابن رشد، الرسائل، ص٣٥٩.
(٢٠٣) ابن رشد، المصدر نفسه، ص٣١٤.
(٢٠٤) ابن رشد، شرح الأرجوزة، ص٢١٣.
(٢٠٥) ش. أ = شرح الأرجوزة والرقم الذي يليه رقم الصفحة في الشرح.
(٢٠٦) ك = كليات.
(٢٠٧) يقصد به ابن سينا.

نائب رئيس الجلسة د. يعقوب الشراح :

شكراً للأستاذ الدكتور عمار الطالبي على هذا البحث القيم وما تقدم به من تحليلات وآراء، والآن من لديه تعليق أو سؤال فليتفضل:

المناقشات

مداخلة الدكتور محمد بن شريفة:

شكرا سيدي الرئيس، لقد سعدت كثيرا بلقاء أخي الأستاذ الجليل عمار الطالبي أول مرة هنا في هذا البلد الكويت الذي جمعنا، وطبعا أنا أعرفه من خلال أعماله العلمية، ومن خلال أعماله الأولى لابن العربي، ثم في أعماله التي هو بصددها في تاريخ العلوم وتاريخ الطب العربي، من خلال هذه المساهمات الجليلة والممتازة أريد أولا أن أهنئه بهذا البحث الموسع والجيد والقيم من جميع النواحي سواء من الناحية التوثيقية التي وثق فيها شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا أو الحيثيات التاريخية المختلفة فضلا عن المقصود به بالذات الذي هو المحتوى والمضمون، غير أني كنت أود لو أن الوقت أو سعة المساحة التي يمكن أن يتسع لها موضوع النقد سمحت له بالمقارنة أو الموازنة بين الشرحين، بين شرح الأستاذ الشيخ وشرح التلميذ، بين شرح ابن رشد وشرح ابن تلوز لأن شرح ابن تلوز فيما يخيل لي هو أوسع، وربما يكون أدق من حيث التطبيق لأن أبا الوليد كما قال لم يزاول التطبيق إلا لنفسه وأهله وأصدقائه أما تلميذه ابن تلوز أبو الحجاج يوسف بن تلوز فقد كان فيما يبدو طبيبا مزاولا وممارسا، لم يكن كابن رشد وابن زهر اللذين كانا يقولان إن الممارسات ليست للأطباء وإنما هي للمزاولين أو المتعلمين، ابن تلوز، كما ذكر، له حالات متعددة من تطبيقه إلى الناس في شرق الأندلس وأظن أن الموازنة بين الشرحين مفيدة، وفي ظني أن هذا لم يغب عن بال الدكتور الطالبي، ولكن شرح ابن تلوز للأرجوزة يحتاج إلى الحجم نفسه الذي عولج به شرح ابن رشد، وهو ما لا يسمح به تنظيم الندوة. ومع ذلك ففي تقديري أن المقارنة تكون مفيدة، وشكرا للدكتور عمار الطالبي، وبارك الله فيه وبه، وشكرا سيدي الرئيس.

د. عمار الطالبي:

بارك الله فيك على هذه الملاحظة. في الواقع أن ابن تلوز وهو بلا شك تلميذ لابن رشد، ذكر منهجه في نهاية الشرح، يقول: أنا ملتزم بمنهج الأطباء حتى إذا كنت مخالفا لهم، فلم أرد أن أعرض لآرائه هنا، فهو ملتزم بآراء الأطباء لا بآراء الفلاسفة على طريقة ابن رشد، وشرحه ليس فيه غنى ولا ثراء، فهو لا يقارن ولا يذكر آراء مختلفة ومناقشات، ولهذا أنا أفضل شرح ابن رشد حيث تجد حقائق تاريخية ومقارنات ومعارضات وموازنات واعتراضات ونقدات، ولكن صاحبنا هذا ابن تلوز ملتزم بطريقة الأطباء لا يعارضهم، حتى إذا كانت له في نفسه معارضة يكتمها، وقال لا أريد أن أعرضها هنا. ولا أدري لماذا؟ هل لأن الزمان والظروف لم تسمح له لأنه طبيب الخليفة، ولا يريد أن يقع فيما وقع فيه ابن رشد مثلا، ولهذا سكت عن هذا الموضوع، وذكر منهجه، وقال ألتزم بشرح ما ذهب إليه الأطباء لبيان المعاني التي ذهب إليها ابن سينا وكفى. وهو يذكر تقسيم الأطباء للأرواح وأنها الروح الطبيعي والحيواني النفساني ولا يعارضه، أما ابن رشد فيقول: إنه تقسيم لا أساس له وليس علميا تماما. والخلاصة أن شرح ابن تلوز له فائدته من الناحية الطبية، ولكن من الناحية النظرية والتحليلة والنقدية فهو دون شرح ابن رشد بدون شك، وشكرا لكم.

د. حسن الشافعي:

ما العلاقة بين طب ابن رشد وفقهه؟ فابن رشد الطبيب كانت تصادفه مشكلات يبدي فيها رأيه أحيانا كطبيب وأحيانا كفقيه وليس كفيلسوف. هل من علاقة بين طب ابن رشد وفقهه؟ وشكرا.

أ.د. عمار الطالبي:

الحقيقة إذا نحن طالعنا كتاب البداية أو درسناه وجدنا أن العقلية الطبية موجودة في الأماكن التي تتطلب ذلك سواء؛ في الأشياء الطاهرة وغير الطاهرة مثل ولوغ الكلب في إناء، أو فيما يتعلق بالميت ودفنه، أو في الحيض، أو في الدماء. في القتل في الحدود يتكلم كلاما طبيا، ويتكلم كلاما فلكيا عندما يتعرض للشفق، كما تعلمون أن هناك خلافا بين المالكية والحنفية في وقت صلاة العشاء، عند المالكية مغيب الشفق الأحمر يكفي، وعند الحنفية حتى يغيب الشفق الأبيض أي الضعيف بعد الشفق الأحمر، وكذلك في صفوف الصلاة أدخل الهندسة والأرصاد، ويقول ليس المطلوب في الصلاة أن تتجه الصفوف إلى عين الكعبة بل إلى جهتها، ويقول نحن غير مكلفين بالاجتهاد الهندسي بضرورة أن تكون دماغ الإنسان مقابل عين الكعبة أو ذات الكعبة، بل يكفي الاتجاه لجهتها، وهذا مناط الاجتهاد. ومن ناحية كونه فقيها في الطب فهو عندما يتعرض لشرب الخمر، حيث نجد ابن سينا في الأرجوزة يتكلم في هذا الموضوع باعتبار الخمر دواء، لا يجيزه، ويستدل بقول الله تعالى **«إلا ما اضطررتم إليه»**، جالينوس أيضا قرر أن شرب الخمر إلى درجة السكر مضر للبدن ضررا كبيرا. وكان ابن زهر لا يستعمل الخمر أبدا في الأدوية لأن جدهم لم يخلطها في الأدوية وكذلك التزم بهذا المبدأ. ابن رشد تكلم عن الخمر باعتباره فقيها وباعتباره طبيبا فأجازه للضرورة، ولكن إن لم تكن ضرورة فهو يفضل عليها العسل، وذكر هذا في شرح الأرجوزة، وذكر هذا أيضا في بداية المجتهد ونهاية المقتصد وفي الكليات أيضا، فهو في البداية فقيه وطبيب وفلكي وفيلسوف، لماذا فيلسوف؟ لأنه في آخر كتاب البداية الجزء الثاني في آخر الصفحات الأخيرة ربط بين النواحي الأخلاقية

العليا وبين الشريعة قال هذه الشريعة ما هو المقصود بالعبادة وما هو المقصود بهذه الأشياء كلها؟ وقرر أن النواحي الأخلاقية هي نتيجة لهذا السلوك، هي التقوى. يقول مثلا الفقهاء يعقدون أبوابا في أواخر كتبهم، يسمونها جوامع، فيذكرون ما لم تكن فيه أحكام من الأشياء لا يحكم فيها القاضي مثل محاسن الأخلاق، فهذه لا يحكم فيها القاضي، وكذلك ذكر هذا الجامع، وتكلم عن الفضائل التي تنتج بالالتزام بالعبادة والشريعة، سواء مثلها في الحدود مثل الحفاظ على الأنفس والأموال، أو في الزكاة مثل الاشتراك في الأموال ودفع البخل، وكذلك العفة والشجاعة وذكر الفضائل الأربعة المعروفة عند الفلاسفة، ذكرها في آخر هذا الكتاب، ربط بين الشريعة والحكمة ربطا عمليا. فهو إذاً في كتبه كلها تسري روحه الفلسفية والفقهية والطبية معا، وتتشابك هذه كلها في المسألة الواحدة إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وأكثر هذا المنهج هو في البداية والأصول، وفي الكليات كذلك اسم يدل عليه، وفي الأرجوزة قال: اقتصر على ذكر الأصول، فهو رجل أصولي.

نائب الرئيس:

انتهى الوقت الآن، وحان وقت الصلاة، وأشكر الأخوين المحاضرين الدكتور أبو شادي الروبي والدكتور عمار الطالبي على بحوثهما القيمة، وعلى ما تفضلا به من ملاحظات قيمة ومفيدة وأشكركم على المساهمة والمداخلات الطيبة التي استمعنا إليها في هذه الجلسة الأولى، وأود أن أشير إلى أن هناك بعض التعديلات جاءت في برنامج الندوة، فاليوم الثاني ٩٥/١/٢٤ سيكون مقرر الجلسة الثانية د.محمود مكي بدلا من الدكتور محمد حجي، وستكون المحاضرة الثانية في الجلسة الثانية «ابن رشد المتكلم» للدكتور حسن الشافعي بدلا

من محاضرة الدكتور محمد عمارة. وفي اليوم الثالث ٩٥/١/٢٥ سيكون مقرر الجلسة د.محمد حجي بدلا من الدكتور محمود مكي. وفي نهاية هذه الجلسة الأولى أود أن أشير إلى أن هناك جلسة ثانية بعد الصلاة بعد السادسة مساء، وحتى نلتقي أستودعكم الله، وشكرا جزيلا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

الجلسة الثانية

استكمال

ابن رشد الطبيب

الـرئـيـس: الدكتور أبـو شادي الـروبي

المقـرر: الدكتور عصام الشربيني

رئيس الجلسة: د. أبو شادي الروبي:

بسم الله الرحمن الرحيم. نبدأ جلستنا الثانية.

أولاً زئيس الجلسة د. سعيد شيبان لم يحضر لذلك سأتولى رئاسة الجلسة.

المحاضرة الأولى: للأستاذ عبدالحميد البسيوني وأخي الدكتور أحمد الجندي.

المحاضرة الثانية: للدكتور إبراهيم بن مراد.

وسنتبع القواعد المتبعة وهي تخصيص ٣٠ دقيقة للمحاضرة، و١٥ دقيقة للمناقشات.

وستبدأ المحاضرة الأولى للأستاذ عبدالحميد بسيوني، والدكتور أحمد رجائي الجندي عن الترياق لابن رشد.

وأحب أن أقدم المحاضرين بنبذة قصيرة عن كل متكلم؛ أ. عبدالحميد البسيوني تخرج من دار العلوم ١٩٦١، ثم عمل في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ثم عمل بوزارة التربية في الكويت، ثم عمل على تدريب المذيعين في وزارة الاعلام، ومدرسا ببعض المعاهد الفنية، ثم بقسم التراث العربي في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وهو الآن في إدارة مكتب صاحب السمو أمير الكويت بالديوان الأميري.

د. أحمد رجائي الجندي: تخرج من كلية الصيدلة جامعة الاسكندرية، ثم ماجستير، ثم دكتوراه، ثم رئيس أقسام الأبحاث الصيدلية بمركز الأبحاث والرقابة الدوائية بمصر، وهو حاليا الأمين العام المساعد للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ورئيس مركز الطب الإسلامي، فليتفضل الأستاذ عبدالحميد.

أ. عبدالحميد البسيوني:

بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم.

من جانبي هذه ليست محاضرة بالمعنى الاصطلاحي، فكتاب «الترياق» لابن رشد لم يكن مطروحا كنص يقدم في هذه الندوة. لقد كانت هناك لجنة ثقافية تقدم تصورات ومقترحات لموضوعات الندوة، وهذه اللجنة الثقافية مكونة من ثلاثة: الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم، وزير التربية الأسبق، والأستاذ بجامعة الكويت، وصاحب الإنتاج التراثي تحقيقا ودراسة في مجال الجغرافيا العربية رئيسا، ثم الدكتور أحمد رجائي الجندي رئيس مركز الطب الإسلامي في الكويت، ثم الفقير إلى الله تعالى محدثكم.

وقد اقترحنا على الزميل الدكتور أحمد رجائي أن يخص ترياق ابن رشد بدراسة حديثة، تكشف عن مضامينه وأهميته، وعن قيمة الترياق قديما وحديثا.

ولكن ونحن نقرأ الكتاب اعترضتنا مشكلات في قراءة النص نفسه بدلا من أن يكون النص واضحا أمامنا كانت هناك حجب بسبب التحقيق غير المستوفي للأدوات لما هو متفق عليه. عالمان كبيران حققا هذا الكتاب: د. جورج قنواتي وهو مَنْ هو مِنْ ناحية السيطرة الثقافية، والأستاذ سعيد زايد، فمن جانبي أنا، كانت قراءة للنص المطبوع، لأنه لم يكن بين يدي مخطوطات للكتاب، ولذلك سميته قراءة وليس تحقيقا، وما زالت هناك بعض المواطن في ترياق ابن رشد محتاجة إلى تدقيق، لأن المخطوطات الأصلية ليست بين أيدينا، لأن هذا عمل منهجي مهم.

على أية حال فإن أدوات تحقيق النصوص وقواعدها أنتم أعلم

بها، ولن أبيع الماء في حارة السقايين، أو أكون كمستبضع التمر إلى هجر، فلن أتكلم في مقررات المنهج، ولكني أعرض فقط بعض نماذج من التصحيفات والأخطاء التي صححتها هذه القراءة، وهي نماذج صدرنا بها هذه الطبعة الجديدة. ثم ألقى محاضرته.

د. **أحمد رجائي الجندي**: بسم الله الرحمن الرحيم. الحقيقة هناك قصة عن موضوع الترياق لم يذكرها أخي أ.عبدالحميد وهي: عندما قررت اللجنة التنفيذية الاحتفال بابن رشد طلبت إلى اللجنة الثقافية أن تقيم مسابقة بين طلبة المدارس الثانوية والجامعة حتى يكون هناك نوع من التوعية بين الشباب عن آثار هذا العالم الكبير، فحاولنا حصر الكتب في المكتبات سواء الحكومية أو الخاصة،فلم نجد شيئا منها في هذه المكتبات، وقررنا بعد ذلك أن نطبع أي أثر لابن رشد، فوقع اختياري أنا شخصيا على الترياق، لأن الترياق اسمه الحقيقي هنا في الخليج يطلق على الحشيش، فتصورت احتمال أن يكون ابن رشد قد كتب شيئا جديداً عن هذا الموضوع وبعد أن أوكل إليّ دراسة هذا الموضوع، حاولت استيعابه أكثر من مرة، إلا أن النص المكتوب والمحقق كان به عيوب حالت بيني وبين فهم النص.

وعرضت هذا الأمر على د.عبدالله غنيم وأ.عبدالحميد بسيوني فاتفقنا على أن نجلس معا، وأن نعيد قراءة النص عدة مرات حتى يصبح النص مفهوما ومقروءا.

وأهمية هذه القصة أنها تعطينا حقيقة، وهي أن قراءة النصوص ليست أمرا سهلا، وإذا أردنا قراءة النصوص فلا بد أن تتضافر الجهود

بين اللغوي وبين العالم المتخصص في مجال النبات أو الطب أو الكيمياء حتى تكتمل الصورة، الفكرة ليست إخراج نص أو مخطوط إلى حيز الوجود، ولكن كيف يمكن الاستفادة من هذه النصوص؟ نحن الآن في مركز الطب الإسلامي نستعمل النباتات في علاج اثنى عشر مرضا، وكلها من النباتات التي كان يستعملها ابن سينا والرازي، وكانت تجاربهم أكثر صدقا من الموجودة الآن، وقبل تداولها وضعت تلك النباتات تحت المجهر العلمي، وحاولنا أن نقدمها بصورة علمية في المعامل والمختبرات، وكنت أود أن يكون بحث د.أبو شادي تعليقا على شكوك ابن رشد على جالينوس، ورأيه أيضا من وجهة نظر الطب الحديث. ومنظمة الصحة العالمية حسب إحصائيتها تقول إن ٣٥٪ من الأمراض الموجودة حاليا هي من الآثار الجانبية للمواد الكيماوية، وأننا مقدمون على مرحلة من أخطر ما يمكن، وهي عدم توفر هذه المواد الكيماوية بصورة كافية مستقبلا. نحن نملك مصادر غنية جدا لتوفير الدواء وهي النباتات الطبية. والآن انتقل إلى البحث.

كتاب الترياق

لابن رشد
قراءة ودراسة

عبدالحميد محمد البسيوني
دكتور أحمد رجائي الجندي

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين.

وبعد،

فبين يَدَيْ هذه الطبعة الجديدة لكتاب «الترياق» لأبي الوليد ابن رشد: محمد بن أحمد بن محمد، الفيلسوف الطبيب الفقيه (٥٢٠-٥٩٥هـ/ ١١٢٦-١١٩٨م) نقول:

نُشر كتاب الترياق للمرة الأولى سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ضمن كتاب «رسائل ابن رشد الطبية» الذي صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، بتحقيق الفاضلين: الدكتور جورج شحاتة قنواتي، والأستاذ سعيد زايد. وقد نشراه عن المخطوطين (٨٨٤) و(٨٧٣) من مخطوطات الإسكريال. وفي وصف الأول أنه مجموع في ١٦٣ ورقة، مقاسه ١٨,٥ X ١٤ سم. وهو مكتوب بخط مغربي، معظمه من يد واحدة، تاريخ نسخه ٦٣٤هـ، وكتاب الترياق هو الرسالة السادسة منه. والمخطوط الثاني (٨٧٣) هو أيضا بخط مغربي، تاريخ نسخه ٧٨٩هـ، وهو مجموع أيضاً، الترياق هو الرسالة الثالثة منه.

ويعرفنا الدكتور إبراهيم مدكور، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بالمحققين وعملهما، فيقول: «الأول (د. قنواتي) وثيق الصلة

بالفيلسوف الكبير (ابن رشد)، وأخرج كتابا هاما يحتوي على مؤلفاته، بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والثاني (الأستاذ سعيد زايد) عاش مع تحقيق كتب الفلسفة الإسلامية، وبخاصة ابن سينا، منذ ثلث قرن تقريبا. وأسهم في هذا التحقيق أيضاً الدكتورة زينب الخضيري بملاحظات لها وزنها» (ص٥).

ومنذ البداية، نسجل اعترافنا وامتناننا للمحققين الفاضلين، فهما اللذان عانيا أمر الحصول على المخطوطات، ونَسْخِها، وتقويم نصوصها، ومراجعة تجاربها الطباعية.. وهي أمور يعرف مشقتها من كابدها، ولولا نشرتهما لما قُدِّرَ لعملنا هذا أن يظهر.

ولأن اعتمادنا على نشرتهما، فإننا لم نسمِّ عملنا هذا تحقيقا، بل سميناه «قراءة»، فشرط التحقيق أن يعتمد على المخطوطات ومقارناتها والتعامل معها وفق المناهج المقررة في هذا الشأن، والمتبعة في النشر.

وعلى ذلك فإننا نقول في غير مواربة: لقد خلّصت نشرتنا هذه كتاب الترياق، من كثير من التصحيفات والأخطاء، سواء في القراءة أو اللغة أو الترقيم أو المراجعة الطباعية، وقد كان بعض هذه الأخطاء يمثل حجابا أو عائقا دون فهم مقاصد ابن رشد..

وهذه أمثلة من هذه الأخطاء:

أولاً - في مجال القراءة والتصحيفات:

(١) ص ٣٩٧ الفقرة ٢٤ من الطبعة السابقة ص ٢٥٥من طبعتنا):

«..فالترياق ليس مما يجب أن يستعمل في حفظ صحة الأبدان التي مزاجها مَوْجِدَةٌ على الأكثر، فضلاً عن المزاج المعتدل، فإن المعتدل الذي يصفه الأطباء هو نادر الوجود، وإنما ذكره الأطباء ليكون ستاراً للخارج عنه..».

في هذا النص كلمتان أطلنا الوقوف - بل الحيرة - عندهما: الأولى كلمة «مَوْجِدَةٌ» حيث ضبطها المحققان ضبطا كاملا كما هو مثبت هنا.

والثانية هي كلمة «ستارا».

الموجدة: الغضب، والستار: الغطاء. فما معنى المزاج الموجدة؟ وكيف يذكر الأطباء المزاج المعتدل على الصورة التي يصفونه بها ليكون «ستارا» وغطاء وحجابا للخارج عنه؟

هذا كلام غير مفهوم، وغير معقول. وبالتأمل سوف نعرف أن صحة الكلمة الأولى «التي مزاجها **موجود** على الأكثر» وهذا واضح جدا من قول ابن رشد في الفقرة نفسها: «نادر الوجود» «أقل في الوجود».

وأما المزاج المعتدل الذي يصفه الأطباء، فلم يذكروه ليكون «ستارا»، إنما ذكروه ليكون «سبارا» سين مكسورة، بعدها باء بنقطة واحدة تحتية. وفي القاموس المحيط مادة «سبر» أن السبار (بوزن كتاب) والمِسبار: ما يُسبر به الجرح. ومعنى كلام ابن رشد أن الأطباء وصفوا مزاجا نموذجيا، يقاس عليه ويعتبر به ما عداه من الأمزجة.

وليتضح كلام ابن رشد بكلام ابن رشد نفسه، نذكر بعض المواطن التي استخدم فيها اللفظ وأثبته المحققان في «رسائل ابن رشد الطبية»:

ص١٠٠ - الفقرة ٥٩ «فينبغي أن يحدد في هذا الموضع هذا الإنسان الذي مزاجه أفضل الأمزجة، فإن ذلك الإنسان هو الذي نجعله **سبارا** لنعرف أمزجة سائر الحيوان وغير ذلك من الأجسام، وذلك أن الوسط هو المعتبر في جميع ما خرج عنه».

ص١٠١ - الفقرة ٦٠ عبارة تتعلق بالتصوير والنحت «. . .مثل ما يقال في الصنم الذي عمله فلان **والسبار** الذي يطلبه الصانع».

ص ١٢٢ - الفقرة ٣٦ «إذا جعلنا الطبيعة المعتدلة في المزاج المعتدل **كالسبار** لجميع الأمزجة والطبائع، وحكمنا من قِبَل هذا المزاج على خروج أمزجة كثيرة عنه. .».

وانظر أيضاً في «رسائل ابن رشد الطبية»: ص ١٠٥، ص ١١٥ فقرة ٢٣، ص١١٦ فقرة ٢٥، ص١١٩ فقرة ٣٠ وغيرها.

(٢) ص٤٠٦ - الفقرة ٤٨ (ص ٢٦١ من طبعتنا) جاء من حديث ابن رشد عن الترياق ما صورته:

«ولذلك حكى الأطباء عليه في الهيضة، وحكوا عليه في الإسهال المزمن».

وهذا التعبير «حكى عليه» «حكوا عليه» لا مدخل له إلى لغة الطب ولا إلى غيرها من الكلام الرصين، والصواب إن شاء الله تعالى: «ولذلك حضَّ الأطباء عليه في الهيضة، وحضوا عليه في الإسهال المزمن».

وقد خَمَّنا - بناء على خبرات سابقة - أن الناسخ القديم كتب «حظ. .» و«حظوا»، خلط بين الضاد والظاء كما يقع كثيرا. ورسْمُ الطاء والظاء في الخط المغربي مما يتصحّف بكثرة إلى الكاف عند من لم يتَمرَّس بهذا الخط.

(٣) ص٤٠٧ - الفقرة ٥١ (طبعتنا ص٢٦٣):

«وقالوا إنه ينفع من السجوح المزمنة» صوابها «السحوج» وهي الجروح أو الخدوش التي تصيب الجلد إذا احتك بشيء فقشره. وقد كان حريًّا بنا أن نعد هذا خطأ طباعيا، لولا أن الخطأ تكرر بعد سطر

واحد: «ولأنه يجفف القروح التي تحدث أثر السجح» بتقديم الجيم على الحاء.

(٤) ص٤١٠ - الفقرة ٥٨ (ص٢٦٥ من طبعتنا) يقول جالينوس عن الترياق: «إنه ينفع في حميات الدبخ إذا ظهر النضج».

والدبخ هذه لا معنى لها، والصواب «حميات الرِّبْع» براء مكسورة بعدها باء ساكنة ثم عين. وفي تاج العروس (ربع): «والربع من الحمى: أن تأخذ يوما، وتدع يومين، ثم تجيء في اليوم الرابع».

وفي الكليات لابن رشد (ص٤٦٥-٤٦٧) ذكْر لهذه الحمى تحت عنوان «الكلام في حمى الربع». ومما يوافق ما في الترياق قوله ص٤٦٦ عن المصابين بها «وبعد النضج في هذه الحمى، فالترياق من أنفع الأدوية لهم كما يقول جالينوس».

(٥) ص٤١١ - الفقرة ٦١ (ص٢٦٦ من طبعتنا):

«وأما الأورام الصلبة الجامية فينفع فيها سقيه».

كلمة «الجامية» غير مستقيمة. أيكون صوابها «الخاميّة» بمعنى التي لم تنضج (raw or unripe or crude)؟ أم يكون صوابها «الجاسية» بمعنى اليابسة الجامدة؟

الأمر بحاجة إلى بحث.

(٦) ص٤١٦ - الفقرة ٧٦ (ص ٢٧١ من طبعتنا):

«واسق منه كل مَنْ لقيه شيء من الهوام».

كلمة «لقيه» خطأ محض، صوابها - والله أعلم - «لسبه».

قال في التاج: «لسبته الحية وغيرها، مثل العقرب والزنبور: لدغته..».

(٧) ص٤١٦ - الفقرة ٧٦ (ص ٢٧١ من طبعتنا):

«. .مثل النحل والزنابير والعقارب والدواب التي تسمى المرتيلات القتالة».

وكلمة «المرتيلات» خطأ، والصواب «الرتيلاءات» أو «الرتيلاوات» لأن المفرد «رُتَيْلاء». جاء في القاموس المحيط: «الرُّتَيْلاء - ويُقْصَر -: أشهرها شبه الذباب الذي يطير حول السراج، ومنها ما هي سوداء رقطاء، ومنها صفراء زغباء، ولسع جميعها مورِّم مؤلم».

ومن الجدير بالذكر هنا أن المقالة الخامسة من الفن السادس من كتاب القانون لابن سينا عنوانها: «في لسوع الحشرات والرتيلاوات وعضوضها». وقد رجحنا قراءة الرتيلاءات بالهمزة، وهذا جائز لغة، لموافقة الرسم.

(٨) ص٤٢٠ - الفقرة ٨٧ (طبعتنا الفقرة ٣٥ ص ٢٧٦):

«**وأول** من استعمل الترياق في حفظ الصحة الشيوخ: .».

الصواب: وأولى.

«فهو أفضل **وأروع**». الصواب: وأورع، من الورع الذي هو التقوى والتنزّه عن الشبهات.

ثانياً - نقص وسقط:

ص ٤١٥-٤١٦ - الفقرة ٧٥ (الفقرة ٣١ في طبعتنا):

«ولما كان الترياق في الغاية من القوة المضادة لبدن الإنسان، لكون المرض المستعمل منه أقل كمية من غيره، وأن يُحافَظ على تلك الكمية».

هذا كلام غير تام، ينقصه جواب «لمّا». ولكون المخطوطتين ليستا بين أيدينا فقد افترضنا أن تكون العبارة هكذا:

«ولما كان الترياق في الغاية من القوة المضادة لبدن الإنسان، لكون المرض المستعمل منه أقل - [رأوْا أن يكون المستعمل منه أقل] كميةً من غيره، وأن يُحافَظ على تلك الكمية».

وشجعنا على هذا الاجتهاد أن تكون عين الناسخ القديم - إن كان السقط في المخطوطتين - أو المحققين قد تخطت هذا المكرر «المستعمل منه أقل» فضاع معها كلمة **رأوا** (أو ما في معناها) التي هي جواب «لمّا»، والله تعالى أعلم.

وانظر الفقرة ٤ من طبعتنا، وهناك أشياء أخرى ساقطة، أكثرها حروف، قلما نبهنا عليها.

ثالثاً - أخطاء نحوية ولغوية:

(١) ص ٣٩٠ - الفقرة ٦ (طبعتنا فقرة ٥ ص ٢٤٨):

«وأما هل يوجد فعل هذا الدواء... مثلَ فعل الدواء المختصّ، أو يوجد أقوى منه، أو **مفضول** عنه».

«مفضول» بالرفع خطأ، صوابه «مفضولا» مفعول ثان للفعل يوجد، أو حال.

(٢) ص٣٩٢ - الفقرة ١٠ (طبعتنا فقرة ٦ص ٢٥٠):

«وأمّا هل الأمر في الترياق هكذا، فليس **سبيلا** إلى تصحيحه إلا بالتجربة».

«سبيلا» بالنصب خطأ، سبق إلى ظن الفاضلين أنها خبر ليس.

و«ليس» هذه: تامّة، مرفوعها فاعل، وهي تقابل قولنا: لا يوجد سبيل إلى تصحيحه إلا بالتجربة.

(٣) ص٤١١ - الفقرة ٦١ (طبعتنا فقرة ص ٢٦٦):

«وأما الأورام، فإنه لا يسقى منه صاحبها في الأورام الحارة شيء».

الصواب: شيئا، مفعول ثانٍ للفعل «يسقى».

(٤) ص٤١١ - الفقرة ٦٢ (طبعتنا آخر فقرة ٢٨ ص ٢٦٦):

«فإنه كثير ما تحدث في هذا الحال الأورام».

كثير بالرفع خطأ، صوابها: كثيرا.

(٥) ص٤١٥ - الفقرة ٧٣ (طبعتنا ص ٢٦٩):

«وهذه الحال هي حال الشيوخ الزمناء».

نظن ظنا، أن المحققين وجدا الكلمة مرسومة هكذا «الزمنا» فجعلوها «زُمَناء»، قاسوها على شريف وشرفاء، وأمين وأمناء وعظيم وعظماء.. الخ. والصحيح أن «زَمِين» جمعها «زَمْنى» مثل جريح وجرحى. قال اللغويون: إن الشرف والأمانة والعظمة سجايا وشمائل، المتصف بها فاعل لها، فجمعها «فُعَلاء». أما الجريح والزمين فالمتصف بها «مفعول» لأنها بلايا يصابون بها ويدخلون فيها وهم لها كارهون، أي أن وزن «فعيل» بمعنى «مفعول»، وما كان كذلك فجمعه جمع تكسير يكون على وزن «فَعْلَى». راجع لسان العرب «زمن».

والخطأ نفسه مكرر في ص٤٢٠ - الفقرة ٨٧ (طبعتنا فقرة ٣٥).

(٦) ص٤١٥ - الفقرة ٧٥ (طبعتنا الفقرة ٣١):

«وإذا كان الدواء بما هو دواء مضاد لبدن الإنسان».

الصواب: «مضادًا» بالنصب، خبر كان. ونفضل وضع جملة - بما هو دواء - بين هاتين العلامتين، توضيحا للمعنى، وحتى لا يقع في الوهم أن «مضاد» صفة لكلمة دواء، فيفسد المعنى، ويضيع الخبر.

رابعاً - تقسيم الفقرات والترقيم:

اصطنع المحققان أسلوبا جيِّداً إذ قسما كلام ابن رشد فقرات، وأعطيا كل فقرة «رقما». وفائدة هذا الأسلوب - فضلاً على تيسير الفهم بتحديد فِكَر الكتاب - سهولة المراجعة والإحالات.

ولكن هذا الأسلوب بحاجة إلى كثير من الأناة ليتحقق الفهم الدقيق لمراد المؤلف. ونضع هنا مثالاً واحداً لعجلة المحققين في هذا الجانب.

ص٣٩٥، ٣٩٦ - الفقرتان ١٨، ١٩ (طبعتنا الفقرة ١٢):

نهاية الفقرة ١٨ هكذا: «وإذا كان (الترياق) وسطا (أي بين الأدوية والسموم) فهو ضرورة أقوى من الأدوية وأضعف من السموم، فلا يحفظ الصحة التي تحفظها الأدوية الشافية من الأمراض، ولا يشفى الأمراض التي تشفيها الأدوية، بل إن حفظ صحة ما».

هكذا انتهت الفقرة.

ولا ندري كيف قرأ المحققان الفاضلان «بل إن حفظ صحة ما»!

وواضح كل الوضوح أن «بل» للاستدراك، فأين المستدرَك؟

وواضح كل الوضوح أن «إنْ» هي الشرطية، فأين جوابها؟

إن الكلام - ضرورةً - متصل مع ما بعدها ليكون هكذا:

«بل إنْ حفظ صحةً ما - فإنما يحفظ الصحة التي هي مستعدة لأن تقبل أمراضاً من أخلاط شبيهة بالسموم..».

وراجع تعليقنا على الفقرة ١٢ ص ٢٥٢ من مطبوعتنا.

أما علامات الترقيم الأخرى، كالفصلة والنقطة وعلامة الاستفهام.. فقد غيرنا كثيرا منها بناء على اختلاف تصور المعاني التي يدل عليها الكلام.

وإذا كانت طبعتنا قد خلصت الكتاب من أخطاء كثيرة، فإنها أضافت إليه ما يأتي:

١ - دراسة مركزة قام بها الزميل الفاضل الدكتور أحمد رجائي الجندي، من وجهة نظر أقرباذينية في ضوء المعلومات الحديثة، كشفت عن أصالة ابن رشد في هذا المجال، مع الإشارة إلى المنهجية العلمية عند هذا المفكر الكبير من خلال المقارنة بينه وبين سابقيه ممن ألفوا في «الترياق». بل أنصفت الدراسة ابن رشد «الطبيب»، ونفت «ما شاع» من عدم تمكنه في المسائل التفصيلية والممارسة المهنية، واقتصاره على «الكليات».

٢ - إيضاحات وكشافات لمعظم المصطلحات المستخدمة في الكتاب.

بقيت كلمتان نشعر أنهما لازمتان:

الكلمة الأولى أننا ما زلنا نطمح إلى الحصول على مخطوطات الترياق لاستيفاء حق «التحقيق» لهذا الأثر المهم، فإن هناك مَواطن قلقة لم نستطع التحقق منها.

والأخرى: أن عملنا - الدكتور أحمد رجائي والفقير إلى الله كاتب هذه المقدمة - نموذج نرجو أن يتحقق لكل عمل علمي في

مجال التراث الإسلامي.. أن يتوافر لتحقيق التراث عنصران: المتمرس بالثقافة الإسلامية والعربية والتحقيق، والخبير المتخصص في فرع العلم الذي يراد نشره.

ونستغفر الله العظيم من العُجْب وغَمْطِ الناس، ونسأله سبحانه التوفيق والقَبول.

الكويت ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٥هـ

٣ نوفمبر ١٩٩٤م

نظرة في كتاب «الترياق» في ضوء العلم الحديث

اهتم ابن رشد اهتماما شديدا بموضوع الترياق فاطلع على كل ما كتب عنه لعدة أسباب:

١ - فقد ثار جدل كبير حول الترياق حتى قال بعضهم: إنه أكسير الحياة ومن تعاطاه بكميات معينة لا يضره ويحمي بدنه من الأمراض وبالتالي وصفه بعض سابقي ابن رشد للأمراء والحكام. ومن هنا كانت الحاجة ضرورية لجلاء ما كتب في هذا المقام، والتصدي له بالمناقشة، وهذا ما فعله ابن رشد، إذْ لخص مقولات سابقيه، وحاورها بالدليل والبرهان.

٢ - يضاف إلى ذلك أن دراسة ابن رشد لموضوع الترياق جاءت نتيجة تكليف من ولي الأمر للتحقق من صحة ما قاله من سبقه من الأطباء لتبيان مواضع الاتفاق والاختلاف، وهذا يوضح مكانة ابن رشد الطبية والعلمية عند أولي الأمر رغم وجود عدد كبير من الأطباء من أبناء عصره مثل ابن زهر صاحب كتاب (التيسير) الذي ذاع صيته وآخرين وكانوا يمارسون الطب على أعلى مستوى.

٣ - أن الترياق يعتبر من أقوى المستحضرات الصيدلية فعالية والتي ظهرت في العهود السابقة لابن رشد، لذلك كان لا بد أن يعطى (أي الترياق) اهتماما كافيا للعاملين في مجال الطب.

الترياق:

ونظراً لذلك فإنه ما من المؤلفات الطبية القديمة إلا وتعرض له بالحديث عنه إما بالإضافة أو الحذف أو النقد. ولعل ابن رشد لم يذكر في رسالته تعريفا للترياق وثوقا منه في أن المطّلع على هذه الرسالة لا بد أن يكون من الممارسين لمهنة الطب ولديه معلومات كافية عن الترياق. وبما أننا نبحث هذا الموضوع ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين، وربما كان من بين قارئيه مَنْ ليست لديهم خبرة في الطب الإسلامي القديم - فقد وجدنا أن نورد تعريف الترياق كما جاء في كتاب **(كامل الصناعة)** لعلي بن العباس المجوسي، فيقول في الباب العشرين لتفسير أسماء الأدوية المركبة باليونانية:

«الترياق: كل دواء قاوم السموم، وهي لفظة يونانية مشتقة من تريوق، وهو اسم لما ينهش من الحيوان، كالأفاعي ونحوها، وقال قوم إنما سمي بهذا الاسم بعدما ألقي فيه لحوم الأفاعي، إذا كانت الأفاعي داخلة في جملة الحيوان الناهش، ويسمى: الترياق الأكبر، وترياق الأفاعي، وترياق الفاروق».

كفاءة أو فعالية الترياق عند استخدامه:

ذكر ابن رشد فقرة قصيرة (هي الفقرة رقم ٣٧ في طبعتنا ورقم ٩٢، ٩٣ في الطبعة السابقة) في نهاية كتابه تقول: (وأما سن الترياق فله سن لا يستعمل في أقل منه، وهي أربع سنين فيما قالوا. ومعنى ذلك أنه قبل هذا السن لا يعمل عمل الترياق التام ويعمل عمل سائر الأدوية القوية. ويكفي عندي (والكلام لابن رشد) في ذلك عامٌ، لأنه يمر عليه فيه الفصول الأربعة والستة شهور إن اضطر الأمر إلى ذلك. وله شباب إلى العشرين سنة، ووقوف إلى الأربعين سنة، وانحطاط إلى الستين، وخروج عن فعل الترياق واسمه بعد الستين. وقد يختلف هذا باختلاف

أدوية الترياق في الجودة والرداءة، واختلاف طبيعته، وما به يعجن، واختلاف الظروف التي يوضع فيها، واختلاف البلاد، واختلاف المواضع التي يوضع فيها من البلد الواحد بعينه).

ولتوضيح الصورة أكثر أمام القارىء الحديث، فإننا أمام مستحضر صيدلاني لا مثيل له اليوم، فلا يوجد مستحضر يمر بمثل هذه السنين في التحضير إلا عمليات التخمير لإنتاج المشروبات الروحية وهي خارج نطاق الأدوية، وكل مرحلة من هذه المراحل لها مواصفات في القوة والفاعلية، ورغم أن ابن رشد لم يوضح هذا الموضوع في رسالته فقد شرحه ابن سينا في كتابه **(القانون)** في المقالة الأولى من الجملة الأولى في كتابه الخامس بأسلوب علمي يتمشى مع المفهوم الحديث، فقال:

«اعلم أن الدواء المركب المنجح كالترياق، له بحسب بسائطه آثار وقوى، وبحسب صورته التي إنما خمر مدة لينجذب المزاج إليها آثار وقوى، وربما كانت أفضل من البسائط، فلا تلتفت إلى ما تقوله الأطباء أن الترياق ينفع من كذا لأجل السنبل وينفع من كذا لأجل المر بل ينفع لذلك، ولكن العمدة صورته، وقد جاءت بالاتفاق جليلة نافعة، ولا يمكننا أن نشير إليها وإلى مناسبتها لأفعالها إشارة جلية» (انتهى كلام ابن سينا).

ولذلك فيمكن التأكيد على أن هذا المستحضر هو نتاج عملية التخمر لمجموع المواد المضافة مع بعضها البعض، وبالتالي فإن ناتج التخمر هو مواد جديدة تخالف تماما أو إلى حد كبير المواد الأصلية المضافة أثناء التحضير، وتتغير هذه النواتج حسب نسبة المواد وعمر الترياق، ولذلك فإن لكل عمر استعمالاً خاصا، وحسب تجربتهم فإن الجميع اتفق على أن أشدها فاعلية ما كان عمره بين العشرين والأربعين سنة ثم يبدأ بعد ذلك في التدهور..

ويوضح ذلك ابن سينا في المقالة الأولى في الترياقات والمعاجين الكبار فيقول:

«للترياق طفولة وترعرع وشباب وشيخوخة وموت، ويصير طفلاً بعد ستة أشهر أو بعد سنة، ثم يأخذ في الترعرع والتزيد إلى أن يقف بعد عشر سنين في البلدان الحارة وعشرين سنة في البلدان الباردة، ثم ينحط إما بعد عشرين سنة أو بعد أربعين سنة، ثم تنسلخ عنه الترياقية إما بعد ثلاثين سنة أو بعد ستين سنة فيصير كأحد المعجونات المنحطة عن الدرجة الترياقية».

* * *

ويُعدّ علي بن عباس من أكثر علماء المسلمين الذين تحدثوا عن الترياق بإسهاب فذكر تطوره وصوره وطرق تحضيره وكفاءته التي لم يختلف فيها عن ابن سينا.

إلا أنه يوصي بالأمراض التي يمكن أن يستخدم فيها في كل مرحلة من مراحل عمر الترياق.

ولتوضيح الصورة أكثر، ذكر السمرقندي في كتابه (أقرباذين القلنسي) في سني المركبات أنها تنقسم إلى معرفة زمان ما تدرك فيه وإلى معرفة زمان ما ينتهي إليه بقاء قوتها، بأن علي بن عباس تحدث عن زمان إدراك الترياق ومدة بقاء قوته بوجوب استعماله بعد اثنتي عشر سنة وأقله بعد سبع سنين وقد استعمله قوم بعد خمس سنين قال: وأما الأطباء من أهل زماننا فإنهم يستعملونه بعد سبعة أشهر أو ستة أشهر ما بين نصف مثقال إلى ربع مثقال على قدر الحاجة بالماء الفاتر أو ببعض الأشربة المسخنة.

ثم استرسل في الحديث عن الترياق فذكر بأنه، من خمس سنين

إلى ثلاثين سنة، حديث قوي، في تأثير ما يعالج به، ويقوم مقام الشاب إلى غير ذلك بأثر مرور السنين على تأثير قوة الترياق، إلا أنه يذكر بأن الحديث منه يستعمل في لدغ الهوام ونهش الأفاعي والحيات والكلاب الكلبة والسموم والأدوية القاتلة لأن المضرة التي تكون من هذه (العلل) شديدة فهي لذلك تحتاج إلى أدوية قوية. والترياق في هذه السن يكون أقوى ما يكون فعلاً، فأما ما جاوز هذا الحد فإنه يستعمل في مداواة الأمراض إذا كانت هذه ليست تحتاج من الأدوية إلى مثل قوة الترياق الحديث.

أما سائر المركبات فلها في سنها بحسب القسمين طبقات أربع على ما ذكر في أقرباذين الكفاية وكامل الصناعة وكناش ابن سرافيون.

الطبقة الأولى: في المعاجين الكبار التي زمن إدراكها ستة أشهر.

الطبقة الثانية: التي تدرك في ثلاثة أشهر.

الطبقة الثالثة: التي زمن إدراكها شهران.

الطبقة الرابعة: وهي التي تستعمل حينما ركبت من يوم إلى مدة ما تنتهي إليه.

ثم تحدث بعد ذلك عن زمان ما تنتهي إليه قوة المركبات وحددها أيضاً بأربع طبقات وذكر تحت كل طبقة أسماء المركبات وزمان قوتها التي يجب أن تستعمل في أثنائه.

ثم تطرق علي بن العباس إلى المفاضلة بين المطبوخ والعسل في تحضير الترياق، فذهب إلى تفضيل العسل، فهو بالإضافة إلى قوته وحفظه للترياق، ينقي الكبد والصدر وينفع من لدغ الهوام وعض الكلاب الكَلِبة ومن السموم القاتلة مثل الخشخاش الأسود والبنج والفطر القاتل. وحدد علي بن العباس نوعية العسل الذي يجب

استخدامه وهو العسل المنزوع الرغوة، وبهذا يكون العسل خاليا تماما من الماء أو أيّة شوائب يمكن أن تؤثر على كفاءة الترياق.

إضافة إلى ذلك فإنه وضع التوصيفات الخاصة بالإناء المستخدم في تخزين الترياق فحدد أنه يجب أن يكون في إناء من فضة أو رصاص دون أوعية الزجاج أو النحاس أو الفخار، لأن الفخار يمص من مائه، والنحاس يصدئه ويفيده (يعطيه) من قوته الرديئة، ولأن الزجاج يسخن من الهواء سريعا ويحمى ويسخن الترياق، وإذا سخن الترياق فوق القدر غلى وتغير وفاض لما فيه من العسل والمطبوخ فاختير له الفضة والرصاص لئلا ينزعا من قوته شيئا ولا يُفيداه كيفية رديئة ولا يغلي فيهما، إلا أن الفضة أفضل من الرصاص لأنها أقل صدأ منه.

وهذه كلها هي الأسس الحديثة في علم صناعة الدواء بضرورة تحديد تاريخ التحضير والصلاحية إلا أن التوسع في علم الكيمياء الحديثة والتحليل أعطى مجالا دقيقا لتحديد عمر المستحضر كل على حدة وعدم الخضوع لقواعد عامة مثل تلك التي ذكرت سابقا إلا أنها أسس علمية قامت في ذلك الزمان لتمييز الصالح من الطالح مستخدمين في ذلك أحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا عصرهم.

منهج ابن رشد في رسالة الترياق:

١ - إن رسالة الترياق مثل غيرها من مؤلفات ابن رشد، فهو الفيلسوف الفقيه الطبيب الذي يرى أن الفلسفة هي البوتقة التي يجب أن تنصهر فيها العلوم جميعا لتخرج كل منها وتدور في دوائر حول نواتها الفلسفية، ومن هذه الزاوية فإن القياس عنده من أسس الفكر والاعتبار والمقارنة واستيفاء الوجوه المختلفة، ولكن ابن رشد الطبيب لا يقتنع إطلاقا بالقياس في وصف الدواء، بل يؤمن إيمانا

يقينيا بضرورة التجريب، لأن التجربة هي أم الحقيقة، ويضع أسس وصف العلاج مثل عمر الشخص ووزنه وبيئته إضافة إلى عمر الترياق نفسه حيث يقول (الفقرة ٣٠ من طبعتنا، والفقرات ٦٩، ٧٠، ٧١ من الطبعة السابقة):

«ولذلك ما ينبغي إذا ركب دواء بالقياس إلى من يهتم بأمره أن يصحح أولا بالتجربة في غيره ثم يستعمل فيه إذا حُمد بالتجربة وصح منه الغرض الذي قصد اتخاذه منه بالقياس أعني المنفعة المقصودة».

ويبرر ذلك بقوله:

«فالقياس كما قلنا الذي حرّك القدماء إلى تقدير كمية ما يسقى من الترياق، هو بعينه القياس الذي حرّكهم إلى تقدير مقادير الأدوية في الكمية والكيفية».

ثم ينتقل بعد ذلك إلى تحديد الأسس الواجب اتباعها في تقدير الأدوية فيقول:

«فوجب تقدير الأدوية في مرض مرض، بحسب قوة المرض والمريض، وبحسب المزاج والسن والبلد، والعضو الذي فيه المرض إن كان المرض مخصوصا بعضو ما. وكلما كان الدواء أقوى كانت المضادة فيه لبدن الإنسان أكثر، إذ كل دواء فهو مضاد لبدن الإنسان، وإنما هو نافع لبدن الإنسان بما هو دواء إذا كان في بدن الإنسان مرض مضاد له».

ثم يذكر في موضع آخر (الفقرة ٣٣ من طبعتنا، ٨٤ من الطبعة السابقة) متطرقاً إلى القواعد التي يجب اتباعها في وصف الترياق ليضيف أن أوقات السنة هامة أيضا «والهواء الذي من الخارج (والكلام لابن رشد) أعني الهواء الفاسد وهو الذي يعرف بالوباء، إما من قِبَل جوهره وإما من قِبَل كيفياته».

وهذه إشارة هامة إلى طريقة العدوى وانتشار الأوبئة إما عن طريق الميكروب نفسه أو مضاعفاته.

٢ - اعتمد ابن رشد المنهاج العلمي في دراسته لموضوع الترياق فاعترف بأنه لم يكن أول من بحث الموضوع بل إن سابقيه من أطباء سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين تحدثوا في هذا الموضوع، ولذلك فقد اطلع على كتب سابقيه ووضع ما كتبوه عن الترياق تحت البحث والتدقيق وبعين نافذة وفكر فلسفي دقيق، وهذه هي إحدى أصول البحث العلمي حتى لا يبدأ الباحث من فراغ.

٣ - حينما كان ابن رشد يختلف مع سابقيه، لم يكتف بإبداء رأيه في الموضوع بل تحدث بإسهاب شديد عن أسباب اختلافه معهم فمثلاً في موضوع مدى منفعة الترياق في حفظ الصحة من حدوث الأمراض بإطلاق.. يقول: (طبعتنا الفقرة ١١، السابقة الفقرات ١٥، ١٦، ١٧):

«ومبدأ الفحص في ذلك عندي: هل ينفع استعمال الترياق الصحيح في حفظ الصحة من حدوث الأمراض بإطلاق، أم ليس ينفع إلا في حفظ الصحة من الأمراض الكبار؟

ويسترسل استرسالاً منطقياً مع القارىء ليقول: «فإن كان يحفظ الصحة من جميع الأمراض بإطلاق فهو يشفي من جميع الأمراض أعني المتولدة من الخلطين الباردين سواء كانت قوته تضاهي السموم أو ضعيفة، وإن لم ينتفع به في حفظ الصحة بإطلاق فقد يمكن أن ينتفع منه في الأمراض المعتادة، وقد لا يمكن».

هذا هو الفرض الذي وضعه أمام القارىء حتى يتعرف على المشكلة ثم يبدأ في تحليل هذا الفرض بوضع ما قاله السابقون فيقول:

«إن نفعه في باب الصحة مما فيه فحص كبير وعويص شديد، وذلك أنا نجد جميع الأطباء جالينوس فمن دونه يروْن أنه ينفع، وأن قوما من ملوك زمانهم كانوا يأخذونه كل يوم، وربما أخذه بعضهم مرتين في اليوم، وأن من اعتاد أخذه أمكنه أن يشرب منه ثلاثة أضعاف المقدار الذي جرت العادة أن يؤخذ منه وخمسة أضعافه فلا يضره. حكى هذا جالينوس في كتابه الترياق. وابن سينا يقول: إن الترياق مقوٍّ بجملة جوهره للحرارة الغريزية بما هي حرارة غريزية، ومفيد لها جميع القوى، التي بها تفعل الإبراء في جميع الأمراض وتفعل الصحة في جميع الأعضاء».

وبعد أن يسرد ما قاله جالينوس وابن سينا يبدأ في تفنيد هذا الكلام من الناحية العلمية (الفقرة ١٢ من طبعتنا، ٢٨ من الطبعة السابقة) ويستند في ذلك إلى قول جالينوس نفسه المناقض لهذا الكلام في كتابه «الأدوية المفردة» الذي جاء فيه بأن «الأغذية حافظة للصحة الكاملة، والأدوية حافظة للصحة غير الكاملة، والسموم مفسدة لنوعَي الصحة، وحيث إن أدوية الترياق الغالب عليها أنها وسط بين الأدوية والسموم، وكل مركب حكمه حكم الغالب عليه – فقد يجب أن يكون الترياق وسطاً بين الأدوية والسموم، وإذا كان وسطاً فهو ضرورة أقوى من الأدوية وأضعف من السموم، إذن فلا يحفظ الصحة التي تحفظها الأدوية الشافية من الأمراض ولا يشفي الأمراض التي تشفيها الأدوية، إذْ هي أقوى من الأدوية، وإنما يحفظ الصحة التي هي مستعدة لأن تقبل أمراضا من أخلاط شبيهة بالسموم وإن أبرأ من هذه الأمراض، وهذه الأمزجة أقلية من الناس، فعلى هذا فإنما يحفظ صحة من يخاف عليها أن تقع في أمثال هذه الأمراض».

هذا مثال واحد من اختلاف ابن رشد مع جالينوس ومن لحقه،

والرسالة بها الكثير في أماكن عدة، وأردنا أن نضع هذا كمثال على طريقة تفكير ابن رشد في المشكلة، فهو يطرح الفرض في بداية الحديث ثم يتبعه بتفنيد ذلك بالبراهين العلمية سواء النظرية أو العملية، ثم يصل في النهاية إلى الاستنتاج بناء على ما ذكره في الموضوع.

ويختلف ابن رشد مع سابقيه أيضاً في قولهم بأن من أخذ منه جرعتين يمكن أن يأخذ ثلاثة أو خمسة أضعاف وسنذكر ذلك في موضع آخر، كما اختلف معهم في الأمراض التي يمكن أن يستعمل الترياق فيها للعلاج وفي الجرعات وفي أسلوب حساب الجرعات والعوامل المختلفة المؤثرة في ذلك.

٤ - نظراً لخطورة المستحضر وأهمية التأكد من كفاءته خاصة أنه يستخدم في علاج السموم والأمراض الخطيرة فقد نصح جميع أطباء المسلمين الذين تحدثوا عن الترياق ومن بينهم ابن رشد بضرورة اختبار فاعليته، فقد ذكر جالينوس وابن سينا وعلي بن العباس المجوسي أن امتحان صلاحية الترياق وقوته يكون من وجهين:

- أحدهما أن يسقى الإنسان دواء مسهلا، بمنزلة السقمونيا وشحم الحنظل أو غيرهما، ثم يعطى بعد ذلك من الترياق قدر باقلاء صغيرة، فإن انقطع الدواء المسهل ولم يعمل عمله فاعلم أن الترياق جيد نافع فائق، وإن لم يقطع وعمل الدواء عمله فاعلم أن الترياق خفيف.
- والوجه الثاني أن يؤخذ ديك لم يُرَبَّ في البيت، أعني ديكا بريّاً يابس الجسم فيطعمه من ذلك الترياق ثم يسلط عليه أفعى أو غيره من الهوام القاتلة، فإن رأيت الديك قد سلم ولم يمت فإن الترياق جيد، وإن مات فالترياق رديء أو ضعيف.

وكذلك إن أنت سلطت عليه أفعى وسقيته الترياق على المكان بان

لك فعله، وإن أنت أعطيت الديك أيضاً دواء قاتلاً أو غيره من البهائم ثم أطعمته بعقب ذلك الترياق فسلم ولم يمت فإن الترياق جيد مختار، وإن هو مات فالترياق ليس بجيد بل ضعيف مغشوش.

ويضيف ابن سينا: «وأيضاً يمتحن على من سقي أفيونا وشَوْكرانا وغيره، أما البيش فمنفعة الترياق منه قليلة وقدرها أن يدافع بالموت مهلة، ولعل دواء المسك كما زعم بعضهم أنفع من الجميع فيه».

وقد زاد حنين بن اسحق الأمر تفصيلاً بقوله: «أما حبس الترياق الإسهال إذا شرب الدواء المسهل فليس يكون بأنه يحبس البطن، ولكن لأنه يضعف قوة الدواء المسهل، لأن المسهل من الأدوية التي لها سمية قاتلة». وقال: «وإنما يجرب الترياق على الديك البري لأن الديك البري يابس الطبع، ولم يجرب على الديك الأهلي الذي لحمه رَخْص لأن الديك الذي لحمه رخص لا يمكث بعد اللسع لكنه يموت سريعاً لأن السم يصل إلى الأعضاء الشريفة سريعاً، وأما الديك اليابس الطبع، الصلب اللحم فلا يجري فيه السم سريعا فيمكن أن يجرب عليه الترياق.

وهذه التجارب تتوافق تماما مع البحث العلمي الحديث بضرورة تجربة مثل هذه الأدوية على حيوانات التجارب قبل استخدامها بواسطة الإنسان لخطورتها، وقد حددوا حيوانات التجارب وطريقة التأثير والأسباب التي دعتهم إلى اختيارهم لهذه الحيوانات في التجارب. وهذه لمحة هامة في علم الأقرباذين الحديث.. فمثلاً حساسية حيوانات التجارب تختلف من حيوان لآخر واستجابتها للتجارب مختلفة، فبعض التجارب تُجرى على الفئران وأخرى على الخنزير الغيني.. وهذه هي إحدى أصول قبول البحث ونتائجه من عدمه. فمثلاً بعض التجارب يصلح لها حيوان بعينه لحساسيته لمثل هذا الاختبار بينما لا يصلح

الآخر، ولذلك فإن ضرورة تحديد الحيوان المستخدم وعمره ونوعه أمر أساسي في علم الأقرباذين.

ترياق ابن رشد والعلم الحديث

المطلع على رسالة الترياق لابن رشد يجد أنها تطابق تماما الأسس النظرية والعملية لعلوم الطب والصيدلة الحديثة فمثلاً:

أ - يخالف ابن رشد جالينوس وبعض من سبقوه عندما يتحدث عن تأثير الترياق، فهم يقولون بأن تأثير الترياق سببه بعض المواد الداخلة فيه، بينما ابن رشد يذكر بكل الوضوح بأن التأثير هنا ليس نتيجة وجود مادة أو أخرى فهذه المواد قد فقدت خواصها، والتأثير هنا إنما هو نتيجة حتمية لتفاعل هذه المواد مع بعضها البعض، والنتيجة هي المحصلة النهائية لهذه التفاعلات.

وهذا القول يتطابق تماما مع ما أثبته العلم الحديث من أنه عند خلط أي مادة بأخرى فإن تأثير الخليط قد يكون تأثيراً جديداً ليس فيه الكثير من صفات أو تأثيرات أي من هذه المواد بل هي المحصلة، فمثلاً يمكن لمادة أن تزيد من تأثير أخرى أو تضعف تأثيرها وهو ما يعرف الآن تحت موضوع التفاعلات الدوائية Drug interaction.

ب - ثم ينتقل بعد ذلك إلى أن تأثير هذا المستحضر يتوقف على عمر الترياق نفسه كما أسلفنا، فكل مرحلة من مراحل عمر الترياق يظهر فيها ناتج جديد له مواصفات أقرباذينية جديدة حسب تفاعل المواد مع بعضها البعض. وهذا يتفق مع المبادىء الأساسية للمستحضرات من ناحية تأثير الوسط المعد للتفاعل والمواد الداخلة في التفاعل ودرجة الحرارة ومدة التفاعل. فيقول (طبعتنا الفقرة ٣٧، السابقة الفقرة ٩٢، ٩٣):

«وأما سن الترياق فله سن لا يستعمل في أقل منه، وهي أربع سنين فيما قالوا، ومعنى ذلك أنه قبل هذا السن لا يعمل عمل الترياق التام ويعمل عمل سائر الأدوية القوية. ويكفي عندي في ذلك عام، لأنه يمر عليه فيه الفصول الأربعة والستة شهور إن اضطر الأمر إلى ذلك. وله شباب إلى العشرين سنة، ووقوف إلى الأربعين سنة، وانحطاط إلى الستين، وخروج عن فعل الترياق واسمه بعد الستين.

وقد يختلف هذا باختلاف أدوية الترياق في الجودة والرداءة، واختلاف طبيعته وما به يعجن، واختلاف الظروف التي يوضع فيها، واختلاف البلاد، واختلاف المواضع التي يوضع فيها من البلد الواحد بعينه».

ج - ويحدد أيضاً الأعمار التي يمكن أن تأخذ الترياق كما جاء في الفقرة ٣٠ من طبعتنا، والسابقة ٧٤، ٧٥ بعد شرح طويل وتفصيلي لكيفية تأثير الأدوية والفرق بينها وبين الترياق وهل يمكن أن تستخدم لحفظ الصحة أم لا فيقول: «ومن هذا يظهر ما قلنا من أن الترياق إنما ينبغي أن يستعمل في حفظ صحة من صحته مستعدة لأمراض كبار وأمراض تدور عليهم في وقت وترتفع في وقت، وهذه الحال هي حال الشيوخ الزمنى. ولذلك كان أوفق سن لاستعمال الترياق هو مدة الشيخوخة فإن هذا السن قلما يخلو من زمانة، ومن بعد هؤلاء سن الكهولة، أما الشباب فهم أغنى الناس عنه إلا أن تحدث بهم الأمراض التي ذكرناها».

وهذا القول يتطابق تماماً مع البحوث الحديثة من أن الشيخوخة تعاني من نقص في الفيتامينات والأملاح ودرجة المناعة، وتتوقف عملية البناء وتزداد عملية الهدم في الجسم، لذلك يحتاج المُسِنّ إلى عناصر خارجية تساعده على التغلب على مثل هذه المشكلات.

د - يشدد ابن رشد دائما على ضرورة الحرص عند وصف الترياق وجرعته، ألا يعتمد على القياس بل يجب أن تكون التجربة أساسا لوصفه وتحديد جرعاته، ولم يتوقف عند هذا الحد بل إنه حدد الأسباب التي دعته لذلك بسبب عوامل مختلفة سبق ذكرها، كما يحذر من أن الترياق لا ينفع في علاج التسمم الناتج عن نبات البيش (Aconitum napellus) مما يؤكد معرفته التامة واطلاعه على سمّية هذا النبات، وهذا ما ثبت حديثا في الدراسات الأقرباذينية إذ إن مادته الفعالة وهي شبه قلويد الأكونيتين Aconitine alkaloid لها مفعول سريع وقوي على القلب يسبب توقفه، وفي دقائق يختفي آثار وجود المادة السامة من الدم والبول والأنسجة المختلفة عند تشريحها، ولذلك لا يمكن اكتشاف آثاره إذا مات إنسان بسبب سوء استخدامه.

وجرعاته صغيرة جدا وتصل إلى ٥-٢٥ ميكروجرام في اليوم ولذلك فإن جميع دساتير الأدوية القديمة توصي بتوخّي الحذر عند تداوله بينما الدساتير الحديثة قد ألغته تماما وأوقفت استخدامه داخليا وقصرت استخدام النبات خارجيا بعد معاملته بطريقة خاصة لضمان تكسير مادته الفعالة.

٥ - لم يكتف ابن رشد بما قاله سابقوه عن الترياق حيث لم يشرح أي منهم طريقة تأثيره، بينما هو يتصدى لهذا الموضوع الذي يحتاج إلى خلفية علمية ممتازة ودراية بكثير من تأثير المواد على الجسم عامة والأعضاء خاصة وأثر كل مادة مضافة في الترياق فيقول (الفقرة ٢٩ من طبعتنا، ٦٣ ٦٤، ٦٥ من السابقة):

«فأما كيف يشفي الترياق من هذه الأدواء؟ وبالجملة كيف تشفي الأدوية - فلم يقل الأطباء في ذلك قولاً كافيا. والذي تقتضيه الأصول الطبيعية، أن كل ما ينسب إلى الأدوية من الشفاء بالأفعال

الأول والثواني والثوالث وبالفعل الذي يسمى الفعل بجملة الجوهر، فإن الفاعل له بإذن الله سبحانه هي الحرارة الغريزية بما ركب الله تعالى من القوة الشافية فيها، الفاعلة في الأخلاط الأفعال التي تنسب للأدوية. وإنما تنسب هذه الأفعال إلى الأدوية لأن الأدوية إذا استحالت إلى الحرارة الغريزية، كما يستحيل الحطب إلى النار، استفادت الحرارة الغريزية من تلك الاستحالة القوة المنسوبة إلى ذلك الدواء، وتلك القوة لو لم تكن في الأصل بالطبع أعني في الحرارة الغريزية، لما وجدت فيها من قِبَل الدواء أصلاً، بل الدواء كأنه مفيد لتلك القوة كما نجد أنواعا من الوقود تعين النار في أفعال خاصة، وذلك بَيِّنٌ في المهن التي لا تستعمل إلا نوعاً من الوقود مخصوصا. ومن هنا (والكلام لابن رشد) غلط ابن سينا حين قال: إن الترياق يعين الحرارة الغريزية في جميع القوى التي بها تحفظ صحة الأبدان ويعين أيضاً القوى التي فيها على شفاء الأمراض كما يعين القوى التي فيها على مقاومة السموم». ثم يستطرد ابن رشد ليقول: «وليس الأمر كذلك، فإن القوى التي تحفظ بها الحرارة الغريزية على الأبدان صحتها، إنما المعين لها في هذه القوى الأغذية الفاضلة والمشروبات الغذائية، والتي تعينها على شفاء الأمراض المعتادة هي الأدوية، والتي تعينها بما فيها من القوى الشافية للسموم هي الأدوية الشافية لها، أعني الأدوية التي تسمى مقاومة للسموم.

والترياق لمّا كان معينا للحرارة الغريزية الفاعلة في السموم كان معينا لها في القوى التي تفعل الشفاء من الأمراض المضاهية للسموم».

من الكلام السابق يتضح الفرق الكبير بين ابن رشد وابن سينا في مفهوم حفظ الصحة من جانب وكيفية تأثير الترياق من جانب آخر. يرى ابن رشد كما سنذكر لاحقا بأن حفظ الصحة إنما يأتي بالغذاء

الجيد والشراب النظيف والهواء الصحي بينما الدواء لا يحفظ الصحة وكذلك الترياق، أما ابن سينا فيرى بأن الترياق بما فيه من مكونات يمكن أن يحفظ الصحة للأصحاء.

ونرى أن كلام ابن رشد هو الصحيح لأن الدواء يعتبر مادة غريبة داخل الجسم فإذا تناولها الأصحاء أصابت بعض الأعضاء بالضرر بسبب تأثيراتها المختلفة خاصة الكبد والكلى وهي الأعضاء المنوطة بها عمليات تخلص الجسم من السموم. ولذلك لا يوصف أي دواء لحفظ الصحة سوى الفيتامينات لكبار السن ومن ينقصهم ذلك، والعلم الحديث يصف الغذاء في هذه الحالات قبل الدواء. وقد استشهد ابن رشد على صحة ذلك بقوله (الفقرة ١٥ من طبعتنا، ٢٤ من السابقة):

«وقد تكلمت مع أصحابنا المشاهير في الطب رحمة الله عليهم من المتولّين علاج أبناء الخليفة ألّا يشيروا عليهم باستعمال الترياق في حفظ صحتهم وأخذه على الدوام فلم يفعلوا فأضر ذلك كثيراً بمن داوم استعماله منهم».

ويذكر (الفقرة ١١ من طبعتنا، ١٦ من السابقة) بأن بعض الذين يستخدمونه مرتين في اليوم يمكن أن تصل جرعاتهم إلى ثلاثة أو خمسة أضعاف الجرعة اللازمة لذلك دون أن يظهر عليه أعراض التسمم. وهذه يمكن شرحها في ضوء العلم الحديث بأن الجسم لديه المقدرة على الاحتمال Tolerance أو المقاومة بأن تتقبل الخلايا والأعضاء هذه المواد والتعايش معها بأخذ كميات كبيرة دون ظهور أعراض للتسمم في بداية الاستعمال وكذلك المعادن والفيتامينات، لذلك نجد أن الجسم يتعود هذه المواد ويمكنه أن يستوعب كميات أكبر من المعتاد استخدامها دون ظهور أعراض للسمّية الحادة على المريض، إلا أن الأمر ليس بهذه البساطة فبعد

فترة معينة سوف تظهر أعراض التسمم المزمن باضطراب وظائف الأعضاء الداخلية مثل الكبد والكلى وغير ذلك حسب المواد التي يحتويها المستحضر.

٦ - في مجال استخدامه في العلاج لبعض الأمراض، حدد الأمراض التي يمكن أن يعالجها الترياق ووضع شروحا علمية لأسباب استخدامه، بينما نجده يحذر من استخدامه في علاج البعض الآخر ويذكر أيضاً الأسباب التي دعته إلى هذا التحذير.

٧ - كان صاحب تجربة رغم اتهامه بأنه لم يمارس الطب، ولكن خبرته في مجال الترياق كما أثبتها في أكثر من موضع، تنفي أخذ هذه التهمة بحذافيرها أو على علاتها.

ومن ذلك أنه - بعد الانتهاء من الشروح العلمية لكيفية تأثير الدواء والترياق والفرق بينهما في استخدام كل منهما في العلاج من الأمراض وأنواعها والسموم - يقول بكل وضوح (الفقرة ٣٠ من طبعتنا، ٦٧، ٦٨، من السابقة): «وإذا قد صرنا إلى هذا الموضع فلم يبق علينا مما قصدنا للتكلم فيما لم يتكلم فيه أحد قبلنا ممن علمناه وإن كان كلامنا فيه مبنيا على أصول من تقدمنا ولذلك كان الفضل لهم على كل من أتى بعدهم إلا الكلام في مقادير الشربات، وهذه المقادير إنما استنبطت أولاً بالقياس ثم صححت أخيراً بالتجربة، كما عرض ذلك في تركيب الدواء وغيره من الأدوية الشريفة، ولذلك كل دواء مركب بالقياس يستعمل قبل التجربة ففيه نقص».

وهو لم يذكر ذلك من فراغ، بل سنجده لاحقاً يعلق على الجرعات التي وصفها جالينوس عن ديموقراطيس بأن القول فيها «جارٍ على غير تحديد» ثم يواصل كلامه قائلا:

«وظاهر هذا القول أنه أمر أن يسقى للسموم منه وزن الدرخم

وهذا قول غير محدود، أما صاحب الكتاب المعروف بالملكي (ويقصد علي بن العباس المجوسي) فإنه فصل الأمر في ذلك تفصيلاً أكثر. وبعد أن يحكي مقالة علي بن العباس يقول:

«وهو أيضاً قول فيه اعتراض» ثم يذكر ما حدده ابن سينا في هذا المجال ويعترض عليه بأن أسماء النباتات هذه أكثرها مختلف فيه. (انظر الفقرتين ٣٢، ٣٣ من طبعتنا، ٨٠-٨٦ من السابقة).

ثم تجربته العملية في استخدام الترياق في علاج الإسهال فيقول (الفقرة ٢٤ من طبعتنا، ٤٧، ٤٨ من السابقة):

«قال الأطباء إن الترياق يشفي من الإسهال المزمن المجهول السبب، وأظنهم قالوا ذلك لما في الترياق من شفاء لجميع الأمراض المضاهية للسموم، كما فيه الشفاء من السموم المجهولة الأسباب. لكن قد رأيت من الإسهالات المزمنة ما يكون من الصفراء والسوداء المحترقة، أمر الأطباء أصحابه باستعمال الترياق فهلكوا، فلذلك، الأولى عندي ألا يستعمل في الإسهالات المزمنة إلا إذا كانت من أخلاط باردة أو أعضاء باردة، أما إن كان من أخلاط محرقة فلا ينبغي أن يستعمل إلا أن يكون انحراقها مضاهياً للسموم جدا، فإنه متى كان انحراقها يسيرا زادت بالترياق انحراقا. وإنما يستعمل منها في الإسهال والقيء الذي يخاف أن يقتل سريعاً كالهيضة العظيمة، ولذلك حض الأطباء عليه في الهيضة، وحضوا عليه في الإسهال المزمن، ولم يفصلوا كونه من خلط بارد أو حار، وهو أمر يجب ألا يهمل».

ثم تجربته في عسر الطلق فيقول: «ويسقى منه لعسر الطلق فيما ذكروا، وفيه نظر، لأنه في الغالب يقتل الجنين، وإذا مات الجنين عسرت الولادة، ولعله إنما ينفع إذا كان عسر الولادة من ضعف القوة

الدافعة، أو عند موت الجنين، ولأنه أيضا يدر الطمث، وكل مدر للطمث معينٌ في إخراج الأجنة».

وفي النهاية لم ينس ابن رشد أنه الفقيه المالكي صاحب كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» فيقرر في الفقرة رقم ٣٦ من طبعتنا ورقم ٨٩، ٩٠، ٩١ من السابقة بخصوص استخدام الكحول «وفي هذه الحال يرجع الطبيب إلى الفقيه من جهة والفقيه إلى الطبيب من جهة. أما رجوع الفقيه إلى الطبيب من جهة أن الفقيه يأخذ من الطبيب مقدار الاضطرار فيحلل أو يحرم لقوله تعالى: ﴿**وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه**﴾ والطبيب يأخذ من الفقيه مقدار الحرمية فيأمر بالدواء أو يتجنبه إلى غيره».

* * *

هذه هي أهم المعالم التي رأيت تسجيلها لنتعرف عن طريقها قيمة كتاب الترياق لابن رشد.. وسوف يجد القارىء مجالات كثيرة بحاجة إلى البسط والإيضاح، ولكننا آثرنا الاختصار.. والآن نترك كتاب ابن رشد يقدم نفسه لقارئيه بعد أكثر من ثمانية قرون مضت على تأليفه.

كتاب الترياق

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قال الشيخ الفقيه القاضي الإمام الأوحد الحكيم الفاضل أبو الوليد محمد بن محمد بن رشد رضي الله عنه وغفر له:

٢ ـ أما بعد حمدالله تعالى والصلاة على محمد رسوله المصطفى ـ فإنه يسألني من وجبت عليّ طاعتُه، وتعيَّن لديَّ شكره، وتقدَّم إليَّ فضله وبِرُّه، أن أثبت له على طريق البرهان الطبي، ما قاله الأطباء في المواضع التي يُستعمل فيها الترياق، وما ضَمِنوه من أفعاله – فأقول:

٣ ـ إن الذي حرّك القدماء – أولاً – إلى تأليف الترياق، هو شفاء جميع السموم الحيوانية والنباتية، وخاصة السموم الحيوانية. وذلك أنه لما كمل بالتجربة معرفة أنواع السموم وأفعالها في بدن الإنسان، وعُرفت أيضاً الأدوية المختصة شفاءَ سم من أصناف السموم، وكان كثيراً ما لا يعرف نوع السم الذي يَرِدُ على بدن الإنسان، وإن عرف ربما لم يوجد الدواء المختص بشفائه أو الأدوية – رأى[1] من جاء بعد هؤلاء من أفاضل القدماء أنه إن رُكِّب دواء واحد، مؤلَّف من أكثر الأدوية المخصوصة النفع بسم سم، [فـ]إنه[2] يأتي من ذلك دواء واحد ينفع من جميع السموم، سواء كان ذلك السم مجهولاً أو معلوماً، وُجد دواؤه الخاص به أو لم يوجد.

---

(١) «رأي من جاء بعد هؤلاء».. جواب لقوله «لما كمل بالتجربة معرفة أنواع السموم».

(٢) الأصول «أنه» وإضافة الفاء من أجل الشرط السابق «إن ركب دواء واحد».

٤ ـ وإنما حرص القدماء على هذا، لأن المعالجة به أيسر على المعالج [وحده، والمعالج] [١] والمتعالج [معا]. أما على المعالج، فلأن المعالج ليس يحتاج إلى معرفة نوع السبب، وهي أعظم مؤونة ترتفع عن المعالج، إذْ[٢] كان الخطأ يعرض له أكثر ذلك في معرفة السبب، وكان معرفة السبب هو الركن الأول الذي ينبني عليه العلاج، فهذا هو أعظم منافع الترياق باتفاق، وهو أمر معلوم بنفسه. وأما المنفعة الثانية المستفادة من تركيبة للمعالج والمتعالج معا، فإنه قد يعرف نوع السبب الممرض، ولا يوجد الدواء الخاص به في وقت طروء العلة، وإن تأخرت المداواة مات العليل، فهاتان المنفعتان من منافع الترياق هما مُجْمَعٌ عليهما[٣]، وليس يقدر أحد أن ينازع فيهما[٣].

٥ ـ وأما هل يوجد فعل هذا الدواء في نوع من أنواع السموم، مثلَ فعل الدواء المختص بشفاء ذلك النوع من السم، أو يوجد أقوى منه، أو مفضولا[٤] عنه، ففيه فحص عويص.

٦ ـ والذي تقتضيه أصول جالينوس، أن فعله في سم سم، أضعف من فعل الدواء المختص بسم سم، وذلك أن الأدوية الواقعة فيه، المختصة بعلّة علة، قد يضاد بعضها بعضاً، فتضعف قوّة ذلك المختصّ بتلك العلة، وأيضاً، فإن الذي يقع من الدواء المختص في

---

(١) إضافة إلى المطبوع من استقراء النسختين كما أثبت في الهامش، وكما يجيء بعد أربعة أسطر.

(٢) المطبوع «إذا».

(٣) المطبوع «عليها» «فيها»

(٤) المطبوع: مفضول، وهو خطأ.

الشربة منه جزء يسير، حتى لقد قال قوم: كيف تنفع أدوية يقع منها في الشربة جزء، لو أخذ كل واحد على حدته، لم تكن له منفعة أصلا؟

والجواب: أن كل جزء من أجزاء الترياق يوجد فيه جميع أنواع القوى الموجودة في الأدوية المفردة الواقعة فيه. ففي كل جزء منه توجد مثلا قوة الأفيون، وقوة الفُرْبِيُون، وسائر القوى الموجودة في الأدوية التي تركّب منها، كما يوجد في كل جزء من أجزاء التفاحة الريحُ واللونُ والطعمُ، كما توجد في[1] الأسطقسات الأربعة وكيفياتها الأربع في كل جزء من أجزاء الجسم المركب منها، لكنْ، لما كان وجودها على جهة الاختلاط، وجب أن تكون القوى الموجودة في المركّب أضعفَ من القوى الموجودة في الاسطقسات التي تركب منها، فإن كان هذا حال الترياق، فواجبٌ أن يكون في كل جزء منه جميعُ أجزاء الأدوية التي تركّب منها على جهة الاختلاط، وجميع قواها، وأن تكون أضعف من قوى الأدوية الأُوَل.

وإذا كان هذا هكذا، فالترياق أضعف من قوى الأدوية في علة علة من العلل البسائط من الدواء المختص بتلك العلة. إلا أن هذا شنيع، فإن المشهور أن الترياق يشفى العلل الكبار؛ فإن صح هذا بالتجربة، فقد اتفق للترياق أمر يتفق في الأقلّ للممتزجات، وهو أن يتولد من المجموع قوة أعظم من القوى الموجودة في المفردات التي يتركّب منها[2] ذلك المجموع. مثال ذلك: أنه قد يتولد من الماء والأرض ما هو أثقل من مجموعهما، مثل الرصاص والزئبق، ومثل ما

---

(١) كذا في المطبوع، ويظهر أن «في» مقحمة.
(٢) المطبوع: عنها.

يقال: إن النار المختلطة ها هنا بالمواد التي تقبل الاحتراق، أحرّ من النار البسيطة التي في مقعَّر فلك القمر.

وأما هل الأمر في الترياق هكذا، فليس سبيلٌ[١] إلى تصحيحه إلا بالتجربة، إذ ليس للقياس في ذلك مدخل. ولعل هذا إنما يعرض في بعض القوى الموجودة في الترياق دون بعض، أعني أن تكون بعض القوى الموجودة فيه أقوى من قوى الأدوية المفردة التي تركب منها.

٧ ـ وإذا تقرر هذا، فكيفما كان الأمر، فلا خلاف أن الترياق نافع من السموم، وأنه يجب أن تكون الشربة منه يختلف مقدارها بحسب اختلاف مقدار السم، ومقدارِ قوة البدن الواردة[٢] عليه. وهذه المقادير لا سبيل إلى إثباتها بالقياس، بل بالتجربة، وقد أثبتها الأطباء في كتبهم، وسننقل نحن من ذلك ما نرى أنه أشد موافقةً للقياس.

٨ ـ فالغرض الأول الذي رُكِّب من أجله الترياق، هو شفاء سموم الحيوان، كالأفعى، والكَلْب الكَلِب، ولذلك قيل: إن هذا الاسم مشتق من اسم الحيوانات ذوات السموم عند القدماء. وقد ينفع من السموم النباتية، إلا ما قيل في أمر البيش.

٩ ـ وأما منفعته في الأمراض، فلا يشك أنه ينفع فيما كان منها عن أخلاط تضارع السموم. وذلك أنه قد تتولد في بدن الإنسان أخلاط تضارع السموم في فساد مزاج الأجسام، مثل فساد الأخلاط التي يتولد عنها الجذام، وفي فساد الأرواح، مثل الفالج والسكتة والصرع واختناق

---

(١) المطبوع «سبيلا» وهو خطأ، إذ سبق إلى الظن أنه خبر «ليس». و«ليس» هنا تامة، يقابلها قولنا: لا يوجد سبيلٌ إلى تصحيحه إلا بالتجربة.

(٢) المطبوع: الوارد.

الرحم، وفي الرياح المتولدة في بدن الإنسان، وفي الفضلات الخارجة عنه الخارجة عن الطبع. أما في الرياح، فمثل أوجاع القولنج، وأوجاع المعدة المبرِّحة الكائنة من الرياح. وبالجملة فهذه الأمراض هي متولدة من السوداء التي في غاية الرداءة، والبلغم الذي في غاية البعد عن البلغم الطبيعي.

١٠ ـ وأما ما قرب منها في الخروج عن الاعتدال عن الأمر الطبيعي، ففي منفعة الترياق لهذه الأنواع من الأمراض فحص عويص شديد، وذلك أنهم أجمعوا على أنه لا ينتفع به في الأمراض المتولدة من الصفراء الطبيعية، ولا من الدم. وبقي السؤال في الأمراض المتولدة من البلغم والسوداء، اللذين ليسا بخارجين عن الطبع خروجاً كثيراً، أو الصفراء الخارجة عن الطبع خروجاً كثيرا: هل هي مما تُشفىٰ من الترياق، كما تُشفَى من سائر الأدوية المعلومات؟

١١ ـ ومبدأ الفحص في ذلك عندي: هل ينفع استعمال الترياق الصحيح في حفظ الصحة من حدوث الأمراض بإطلاق، أم ليس ينفع إلا في حفظ الصحة من الأمراض الكبار؟ فإن كان يحفظ الصحة من جميع الأمراض بإطلاق، فهو يشفي من جميع الأمراض، أعني المتولدة من الخلطين الباردين، سواء كانت قوته تضاهي السموم أو ضعيفة، وإن لم ينتفع به في حفظ الصحة بإطلاق، فقد يمكن أن ينتفع منه في الأمراض المعتادة، وقد لا يمكن.

فنقول: إن نفعه في باب الصحة، مما فيه فحص كبير وعويص شديد، وذلك أنا نجد جميع الأطباء: جالينوس فمن دونه، يرون[1] أنه

(١) المطبوع «يرى».

ينفع ، وأن قوما من ملوك زمانهم كانوا يأخذونه كل يوم، وربما أخذه بعضهم مرتين في اليوم، وأن من اعتاد أخذه أمكنه أن يشرب منه ثلاثة أضعاف المقدار الذي جرت العادة أن يؤخذ منه، وخمسة أضعافه، فلا يضره.

حكى هذا جالينوس في كتابه «في الترياق».

وابن سينا يقول: إن الترياق مقوٍّ - بجملة جوهره - للحرارة الغريزية، بما هي حرارة غريزية، ومفيد لها جميعَ القوى التي بها تفعل الإبراء في جميع الأمراض، وتفعل الصحة في جميع الأعضاء.

١٢ ـ وأما أصول جالينوس، فتقتضي نقيض هذا. وذلك أن الأدوية النافعة من السموم هي وسط بين الأدوية والسموم، كما قاله الرجل في كتابه: «في الأدوية المفردة». فإن كانت الأغذية هي الحافظة للصحة الكاملة، والأدوية للصحة غير الكاملة، والسموم مفسدة لنوعي الصحة، وأدوية الترياق الغالب عليها هي وسط بين الأدوية والسموم، وكان كل مركب حكمه حكم الغالب عليه - فقد يجب أن يكون الترياق وسطا بين الأدوية والسموم. وإذا كان وسطا، فهو ضرورةً أقوى من الأدوية وأضعف من السموم، فلا يحفظ الصحة التي تحفظها الأدوية الشافية من الأمراض، ولا يشفي الأمراض التي تشفيها الأدوية، إذ هو أقوى من الأدوية. بل إنْ حَفِظَ صحةً ما[1] فإنما يحفظ الصحة التي هي مستعدة لأن تقبل أمراضا من أخلاط شبيهة بالسموم، وإن أبرأ

(١) هنا كانت نهاية الفقرة في المطبوع، وبدأت الفقرة التي تليها بكلمة وإنما. وهذا خطأ في الفهم، مع ملاحظة أن «فإنما» بالفاء، الواقعة في جواب الشرط «إن حفظ»، هي من النسخة ب كما أثبت المحققان الفاضلان، وراجع المقدمة ص (٢٢١، ٢٢٢).

من هذه الأمراض[١]. وبَيِّنٌ أن هذه الأمزجة هي أقلية في الناس. فعلى هذا، فإنما يحفظ صحة من يُخاف عليها أن يقع في أمثال هذه الأمراض[٢].

١٣ ـ وأما ما يقال: إن من داوم على أخذ هذا الترياق، فإنه لا يعمل فيه سم، مثل ما حكاه جالينوس عن الملك الذي استعمل المثروديطوش، ويبقى مع ذلك مزاج ذلك الإنسان على أصله الطبيعي – فهو باطل[٣]. وذلك أن السم إن كان مضادا لبدن الإنسان، فإنه إنما يصير إلى حال لا يعمل فيه السم إذا صار شبيها بالسم. فإن الذي لا يفعل في شيء هو شبيه به، كما أن الذي يفعل في شيء هو ضد له. قد بين ذلك القدماء في كتبهم، وليس بينهم في هذه القضية اختلاف. فإن كان بدن هذا الإنسان شبيها بالسم، والسم مضاد لبدن الإنسان، فبَيِّنٌ أن بدن هذا الإنسان يصير – باستعمال الترياق – مضادا لبدن الإنسان، وما هو مضاد لبدن الإنسان فليس هو إنسانا بهذا. ومن صار مزاجه مضادا لمزاج الإنسان، فليس يمكن أن يبقى إنسانا، وإن بقي، فزمان يسير، ويكون هذا الإنسان، مزاجه موافق لمزاج ذوات السموم.

١٤ ـ فإن قيل: ليس إذا صار بدن الإنسان في حد لا تفعل فيه السموم، يكون شبيها بالسموم، بل يكون في غاية المضادة للسموم،

---

(١) عبارة «وإن أبرأ من هذه الأمراض» قلقة. والمخطوطتان ليستا تحت أيدينا. ويقترح:
– إن أبرأ من هذه الأمراض.
– وأنه أقوى من هذه الأمراض. (كلمة أقوى جاءت في نسخة أ بديلا من أقوى).

(٢) هكذا العبارة في المطبوع، والأولى أن نقول: فإنما يحفظ صحة من يخاف عليه أن يقع (يعود الضمير إلى مَنْ) أو نقول: فإنما يحفظ صحةً يخاف عليها أن تقع (بحذف «مَنْ») وعود الضمير إلى الصحة.

(٣) «فهو باطل» خبر قوله في أول الفقرة «أما ما يقال».

حتى يفعل في السموم ولا تفعل فيه، ويقهرها ولا تقهره ـ قلنا: يلزم عن هذا أن يصير بدنه - في هذه الحال - شبيها بالأدوية التي تقهر السموم، فيكون بدنه على هذا وسطا[١] بين الأدوية والسموم، فيجب ألا يبقى مزاجه على المزاج الطبيعي، وكل ما يتغير مزاجه عن الأمر الطبيعي هذا المقدار من التغير، قد يمكن أن يفسد، وهو بالجملة مرض. ويشبه إن وجد إنسان قد صار مزاجه بهذه الحال، كما قيل إنه وجد قوم اعتادوا السموم، فصارت أغذية لهم ـ فهذا كله خارج عن الطبع.

وصناعة الطب ليس غرضها إفادة أمر خارج عن الطبع. فالأبدان الطبيعية - وهي الموجودة في الأكثر - ليس ينفعها الترياق في حفظ صحتها، بل يمرضها ولا ينفعها في أمراضها إذا كانت أمراضها أمراضاً معتادة، تتولد عن أخلاط غير سُمِّية، هذا هو الذي أعتقده في هذه المسألة.

١٥ ـ وقد تكلمت مع أصحابنا المشاهير في الطب، رحمة الله عليهم، من المتولِّين علاجَ أبناء الخليفة، ألّا يشيروا عليهم باستعمال الترياق في حفظ صحتهم، وأخْذِه على الدوام، فلم يفعلوا، فأضر ذلك كثيراً بمن داوم استعماله منهم. فالترياق ليس مما يجب أن يستعمل في حفظ صحة الأبدان، التي مزاجها موجودٌ[٢] على الأكثر، فضلاً عن المزاج المعتدل. فإن المعتدل الذي يصفه الأطباء، هو نادر الوجود.

---

(١) المطبوع «وسط».

(٢) المطبوع «موجدة» بالميم المفتوحة والواو الساكنة وجيم مكسورة، والموجدة في اللغة: الغضب.. ولا معنى لها هنا. وانظر المقدمة ص ٢١٥ .

وإنما ذكره الأطباء ليكون سباراً[١] للخارج عنه، كما أن المزاج الذي تتولد فيه الأمراض الشبيهة بالسموم، هو أقلّ في الوجود.

١٦ ـ وإذا كان هذا كله كما وصفنا، فالترياق[٢] لا ينبغي أن يستعمل في حفظ الصحة لإنسان صحته موجودة على الغالب من أنواع الصحة، أعني الصحة التي توجد في أكثر الناس، وبخاصة من كان من هؤلاء شابا، فإن هذه الصحة هي التي ينبغي أن يقال: إنها طبيعية، إذ الطبيعية هي الأكثرية.

وأما الصحة التي هي في غاية التمام، فهي أيضاً قليلة الوجود، كما أن الصحة التي في غاية الرداءة قليلة الوجود، وكأنهما طرفان متقابلان، وما بينهما هو المتوسط الموجود[٣] في الأكثر.

١٧ ـ وإذا كان هذا هكذا، فهذا الجنس من الصحة إنما يُستعمل في حفظه جنس الأدوية المبطلة للاستعدادات المرضية الأكثرية، ويُستعمل عند مرضه الأدوية المُبْرِئة للأمراض التي هي موجودة على الأكثر، فإن الذي يستعمل في شفاء هذه الأمراض، هو جنس من الأدوية غير الذي يستعمل في شفاء السموم، إذْ كانت الأدوية التي تستعمل في السموم وسطا بين الأدوية والسموم، والأصل هو ألّا يُستعمل في شفاء الأمراض ما يستعمل في شفاء السموم. والجنسان من الأدوية مختلفان في الماهية والاسم.

---

(١) المطبوع «ستارا» ولا معنى لها. والسِّبار (بالباء) والمسبار: ما يُسَبَرَ به الجرح، أي يقاس عمقه. فالأطباء قد وصفوا مزاجا معتدلا ليجعلوه قياساً للأمزجة الأخرى الخارجة عنه. وانظر المقدمة ص (٢١٦).

(٢) المطبوع «وإذا كان هذا كله كما وصفنا بالترياق، لا ينبغي...».

(٣) المطبوع «المتوسط الوجود».

ولكن للموافقة التي بين الأمراض الخارجة عن الطبع جدا وبين السموم، ومضارعةِ الأشياء الشافية للسموم في أفعالها لأفعال الأدوية الشافية للأمراض، ولكون الترياق مركبا من الجنسين - تولد منهما للترياق مزاج وسط بين الأدوية وبين الأدوية الشافية للسموم التي هي وسط بين الأدوية والسموم، وأمكن أن يَشْفِي من الأمراض التي هي دون الأمراض المشابهة[1] للسموم.

١٨ ـ وأما الذي فيه نظر من أمر الترياق، فهو: هل كان يكون أنفع في الغرض الأول الذي قصد به، وهو الشفاء من السموم، لو ركب من الأدوية الشافية للسموم دون الأدوية القوية الشافية للأمراض، أو هو أنفع في شفاء السموم إذا خلط الجنسان جميعا، كما فعل في الترياق؟

فالأظهر أن الأدوية الشافية من الأمراض الخلطية، مُعِينَةٌ للأدوية الشافية من السموم في شفاء السموم. وليس ينعكس هذا، أعني أن تكون الأدوية الشافية من السموم معينة للأدوية الشافية من جميع الأمراض، إلا أن تكون الأمراض عن أخلاط تضارع السموم، أو ما كان دونها قليلًا.

والأصل - كما قلنا - أن تستعمل الأدوية الشافية من الأمراض في الأمراض فقط، والشافية من السموم في السموم. لكن لما ركب الترياق من الجنسين، جاء من ذلك دواء مشترك للأمراض والسموم، لكن ليس لجميع الأمراض بإطلاق، بل للجنس الذي قلنا، أو ما قَرُب منه.

---

(١) المطبوع «المتشابهة».

لكنْ لما كان الفرق بين هذين الجنسين من الأمراض يعسر على الطبيب تمييزها[١] في بعض المواضع، فقد ينبغي أن يحتاط كثيراً في استعمال الترياق في شفاء الأمراض، وإنما يتحفظ بتقدير الشربة من الترياق في الأمراض أكثر مما يتحفظ من غيره من الأدوية الشافية من السموم. فإن استعمل في الأمراض، فمع تحفظ كثير. ولذلك كانت الشربة منه في الأمراض أقلَّ كميةً منها في السموم، وتفاضلت في شفاء السموم بحسب قوة السموم وضعفها، وكذلك عرض في كمية مايستعمل من ذلك في الأمراض بحسب قوتها.

١٩ ـ ووجه التشابه بين الأدوية الشافية من الأمراض والشافية من السموم التي أشرنا إليها قبل هذا، هو أن جميع أنواع الأفعال التي بها تفعل الأدوية في الأمراض، هي بعينها الأنواع التي تفعل الأدوية المختصة بالسموم الشفاء منها. وذلك أنه كما أن من الأدوية التي تشفي من الأخلاط ما تشفيها بكيفياتها الأُوَل، التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وهي الأمراض التي تكون من قِبَل هذه الكيفيات، أعني أن شفاء الضد يكون بالضد، أي البارد بالحار، والحار بالبارد ـ كذلك[٢] من الأدوية الشافية من السموم ما يشفي منها بكيفياتها الأُوَل، وهي السموم التي تفعل – أيضا – بالكيفيات الأُوَل.

وكما أن من الأدوية ما يشفي بالقوى الثواني والثوالث، أعني مثل التحليل والتقطيع والتليين، وجميع ما يؤدي إلى تنقية الأعضاء من

---

(١) «تمييزها» . . أعاد ابن رشد الضمير للأمراض، وهو جائز، والأوضح أن يعود للفرق «تمييزه».

(٢) قول ابن رشد «كذلك من الأدوية الشافية . . . إلخ» هو تمام قوله قبل أربعة أسطر «وذلك أنه كما أن من الأدوية . . .» أي أن كلًا من النوعين يشفي بالكيفيات الأُوَل.

الأخلاط وإخراجها من البدن، أعني أعضاء الغذاء، وأعضاء الحس والحركة، وأعضاء القوة الحيوانية والقوة المدبرة من قوى النفس - كذلك أيضاً من الأدوية الشافية من السموم ما يشفي بالقوى الثواني والثوالث.

وكما أن من الأدوية الشافية، أدويةً تشفي من الأمراض بصورتها المزاجية المتولدة في المركب عن امتزاج الكيفيات الأربع، وهي التي تسمى خاصة، ويسميها جالينوس الفعل بجملة الجوهر، كذلك من الأدوية الشافية للسموم مايشفي - بجملة جوهره - من السموم الفاعلة بجملة جوهرها، وهي أخبث السموم، كما أن الأمراض التي هي مضرة بالأفعال بجملة جوهرها،أخبث الأمراض وأقتلها، حتى أنه لا شفاء لها إلا إن اتفق دواء يشفي من ذلك المرض بجملة جوهره.

٢٠ ـ وإذا كان هذا كله كما وصفنا، فالمركب للترياق، لما جمع الجنسين جميعاً من هذه الأدوية، يأتي له من هذه الجهة الشفاءُ من السموم شفاء تاماً، والشفاءُ أيضاً من الأمراض المضاهية للسموم. وأما الأمراض التي ليست مضاهية للسموم، فالترياق لا شك يضر الأبدان التي بهذه الصفة أكثرَ مما ينفع الأمراض، كما تضر الأدوية التي في غاية من القوة إذا استعملت للأمراض الصغار، كما تضر أيضاً إذا استعملت في حفظ الصحة.

٢١ ـ ولا تؤثر الأدوية المستعملة في حفظ الصحة في المرض إلا أثرا يسيراً، إلا أن هذه هي الأغذية الدوائية. وقد كان القدماء من الأطباء لا يعالجون إلا بالأغذية الدوائية، وذلك أن الناس كانوا في ذلك الوقت بالشريعة الموضوعة لهم يُمنعون عن الأغذية الرديئة والتدبير الرديء، ويؤمرون أيضاً باستعمال الرياضة مع المعلمين للرياضة النافعة في حق مزاج مزاج من أمزاج الناس، ولذلك يظن أن الترياق في

زمانهم كان غير محتاج إليه إلا في السموم، وإن احتيج إليه في مرض ففي الندرة، لأن جالينوس وغيره من القدماء يقول: إن أكثر الأمراض التي توجد اليوم في زماننا محدثة، مثل ذات الجنب وأورام الأعضاء الرئيسية[١]، وغير ذلك من الأمراض الخارجة عن الطبع جداً، والقاتلة قسراً.

٢٢ ـ وإذا كان هذا كله هكذا، فالمستعمِل في هذا الوقت للترياق، والآمر به[٢]، يحتاج أن يكون في غاية العلم بهذه الأشياء كلها، وبخاصة إذا أراد أن يستعمله في شفاء الأمراض، أو في حفظ صحة ما، وهي الصحة التي صاحبها مستعد لقبول الأمراض الصعبة، المضاهية الأخلاط الفاعلة لها للسموم. هذا إن سلمنا أن جنس الأدوية التي تشفي من شيء ما، هو بعينه يحفظ الأجسام من الوقوع في تلك الأمراض.

والأوْلى أن يظن أنها وإن كانت من جنسها، فيجب أن تكون أضعف منها، وأن تكون عند الطبيب مرتَّبة في القوة والضعف بحسب مراتب الاستعدادات التي في تلك الأبدان لقبول الأمراض. كما وجب أن تكون الأدوية الشافية من الأمراض مرتبة عنده في القوة والضعف بحسب مراتب الأمراض في القوة والضعف.

٢٣ ـ وإذا فهم الإنسان هذا كله: من أمر أجناس الأدوية، وأفعال كل جنس منها، وأجناس الأمراض الكائنة عن الأخلاط وعن السموم، وكون الترياق مركباً من الجنسين، وما قصد بتركيبه على القصد الأول،

---

(١) كذا في المطبوع، وظنى أنها «الرئيسة».
(٢) المطبوع «والأمر».

وما قصد فيه على[١] القصد الثاني - أمكن أن يعرف حيث يستعمله من الأمراض، وحيث لا يستعمله.

٢٤ ـ ولكنْ، على حال[٢]، أنا أذكر المواضع التي يجب استعماله فيها من التي لا يجب، على ما وقع الأمر به، وأذكر من ذلك ما ذكره الناس وامتحنوه بما تقرر في هذا القول من طبيعة الترياق وأفعاله في أبدان الناس، فأقول: إن عادة الأطباء قد جرت أن يقسموا الأمراض إلى بسيطة ومركبة، وأن يقسموا البسيطة إلى سوء مزاج مادي وغير مادي.

فأما غير المادي فلا يستعمل الترياق فيه، لا في الحار ولا في اليابس، ولا فيما جمع الأمرين.

وإن كان المزاج في غاية الشدة، مثل حمى الدق والذبول، فإنه لايستعمل فيها أصلًا، سواء كان هذا المزاج في جميع البدن، أو في عضو من أعضاء البدن.

وأما سوء المزاج المادي، فيستعمل فيه فيما يكون من الخلط السوداوي أو البلغمي، إذا كان في غاية الرداءة، ولايستعمل أصلًا فيما يكون من الصفراء والدم، إلا إذا كانت الصفراء في غاية الخروج عن الطبع ففيه نظر.

وأما إذا كانت مقترنة بحُمَّى، فلا يستعمل أصلًا، وأما إذا كانت بغير حمى، مثل الصفراء الزنجارية والكراثية، التي يتولد عنها قيء سريع، وإسهال ذريع - ففيه نظر. وذلك أنه من حيث هي حارة، فلا

---

(١) المطبوع: عن

(٢) كذا في المطبوع، ونقترح «ولكن على [كل] حال».

يجب استعماله، ومن حيث إن هذا النوع من الصفراء لا يقبل النضج من الأدوية المضادة له، ولا الإحالة، فقد يظهر أن الترياق يُقوّي على إفناء جوهر هذا الخلط وإخراجه من البدن.

والقانون الطبي في هذا الوقت، هو أن ينظر الطبيب إلى أقوى الضررين فينظر في دفعه، وأقوى الضررين هو الذي يخاف منه الهلاك على العليل على الفور.

وأما ما كان من الإسهال المزمن، وكان عن الأخلاط الباردة أو الرطبة أو من الأعضاء أنفسها - فقد يظهر أن الترياق يشفي منه. وقد قال الأطباء: إن الترياق يشفي من الإسهال المزمن المجهول السبب. وأظنهم قالوا ذلك لما في الترياق من شفاء جميع الأمراض المضاهية للسموم، كما فيه الشفاء من السموم المجهولة الأسباب. لكن قد رأيت من الإسهالات المزمنة ما يكون من الصفراء والسوداء المحترقة، أمر الأطباء أصحابه باستعمال الترياق، فهلكوا.

فلذلك الأَوْلى عندي، ألا يستعمل في الإسهالات المزمنة، إلا إذا كانت من أخلاط باردة أو أعضاء باردة. وأما إن كان من أخلاط محرقة، فلا ينبغي أن يستعمل، إلا أن يكون انحراقها مضاهياً للسموم جداً، فإنه متى كان انحراقها يسيراً، زادت بالترياق انحراقاً. وإنما يستعمل منها في الإسهال والقيء الذي يخاف أن يقتل سريعاً كالهيضة العظيمة. ولذلك حضّ الأطباء عليه في الهيضة، وحضّوا[1] عليه في

(١) في المطبوع: «حكى الأطباء عليه في الهيضة، وحكوا عليه...» وهو تصحيف، انظر المقدمة ص (٢١٦).

الإسهال المزمن، ولم يفصلوا كونه من خلط بارد أو حار، وهو أمر يجب ألا يهمل.

٢٥ ـ وأما شفاؤه من الدم الذي يسيل في الرعاف ومن المقعدة والرحم إذا أفرط، فإنه يستعمل في ذلك.

وذلك أنه قد يغلظ الدم بما فيه من الأفيون، ويقوّي القوة الماسكة للدم في العروق بما فيه من الأدوية المقوية، فإنه قد تبين أن الدم محتبس في العروق بالطبع. وجالينوس يسقيه في الدم المنبعث من الرئة إذا وقع لها تفرق اتصال إما من نزلة وإما من صدمة، ومنافعه في هذا الغرض منافع شتى، وذلك أنه يُسكِّن سعال صاحب هذه القرحة بما فيه من الأفيون، ويجفف القرحة بما فيه من الأدوية المنشفة للرطوبات العرضية، ويجلب النوم بما فيه من الإخدار وبخاصة إذا كان طرياً، والفلونيا عندي أحدّ[1] في انبعاث الدم من الرئة وغيرها، وذلك أنها أقوى في تجميد الدم، . وفي جلب النوم، وفي تسكين السعال. ومن الدليل أن الترياق يقطع سيلان الدم من أي المواضع كان، ما قالوا: إنه ينفع من سم الحية التي توجب نهشتها سيلان الدم، وهو أيضاً في ذات الرئة نافع لالتحام القرحة بدمها. وهذا هو معنى قول القدماء: إن الترياق نافع في ابتداء السل، فهو ينفع قرحة الرئة في الابتداء والانتهاء.

وينفع أيضاً في أمراض العصب كلها، وذلك أن أمراض العصب هي عن أخلاط باردة، فيسقى في السكتة وفي الفالج وفي الصرع وفي الخدر والرعشة والتشنج المادي، ما لم يوجد من هذه ما يكون عن

---

(١) كذا، ويمكن قراءتها «أجْدَى».

سبب حار. فإنه قد ذكر بعض الأطباء أنه قد يكون من الخدر ما يكون عن سبب حار، فهو ضار له. والأشبه إن كان ذلك ألا يكون بالذات، بل بالعرَض، أعني حدوث أمراض العصب عن الحرارة.

وقالوا: إنه ينفع من السحوج[١] المزمنة. ويشبه إن كان ذلك، أن يكون بقطعه الخلط الفاعل له إذا كان في غاية الرداءة والخروج من الطبع، ولأنه يجفف القروح التي تحدث أثر السحج[٢]، وينبغي أن يشترط في هذه القروح ألا تكون صفراوية، وأن تكون مزمنة، فإنها إذا أزمنت احتاجت في التنقية إلى أدوية قوية، حتى أنه يستعمل فيها أقراص الزرانيخ[٣]. وأيضاً، فإن هذه القروح تميل إلى التآكل، لكونها في أعضاء يسرع إليها قبول العفونة، لأنها حارة رطبة، وهي مع ذلك مَغِيضٌ للفضول.

وأما استعماله في ابتداء الجذام، فبيِّن. وكذلك في البرص والبهَقَ. وبالجملة في أمراض البَشَرة القبيحة كالقوباء، وما أشبه ذلك.

٢٦ ـ وقالوا: إنه يستعمل في أنواع الاستسقاء، وهو حار على القياس، ما لم يكن مقترنا بحمى، ولا كان الاستسقاء حادثاً عن سبب حار. فإنهم قالوا: إنه قد يكون عن الحرارة، إلا أنهم قالوا: إنه يشرب في الاستسقاء مع الخل. وهذه مداواة عرضية، لأن الخل يضر الكبد. وإنما أرادوا به، - فيما[٤] أحسب - شدة التجفيف والتقطيع.

---

(١) المطبوع: السجوح (بتقديم الجيم على الحاء) وهو خطأ.
(٢) المطبوع: السجح، وهو خطأ، وانظر المقدمة ص (٢١٦، ٢١٧).
(٣) كذا، ويمكن قراءتها: الرازيانج.
(٤) المطبوع «فيها».

والأَوْلى أن يكون هذا لِمَا كان من الاستسقاء سببه الطحال، ولعلهم سقوا الخل لصلابة الكبد التي تعرض في أكثر الأمر في الاستسقاء، وذلك بعد استعمال التليين، أو بمشاركة الأدوية المليِّنة التي في الترياق، وفي تحليل الصلابة. فإن علاج الأورام الصلبة يلتئم من الملين والمحلل. والخل في ذلك فاضل جداً إذا ركب مع الأدوية الملينة، فيمكن أن يصح هذا بالتجربة، لأن القياس لايعانده من كل وجه، ولكن الأحوط فيما عانده القياس ألا يستعمل إلا بعد تصحيحه بالتجربة.

فهذه، هي جل الأمور الخلطية، التي ينفع فيها الترياق، أعني التي تكون عن السوداء والبلغم ، أو ما تركب منهما[١].

٢٧ ـ وأما استعماله في الأوجاع، فيجب أن يستعمل في الأوجاع التي أسبابها رياح غليظة خارجة عن الطبع، مثل أرياح القولنج، ويتحفظ ألا يسقى من الترياق في القولنج الدموي ولا الصفراوي ولا الورمي، ولا بالجملة في الأوجاع الحادثة عن الأورام، فإن الأورام التي تحدث الأوجاع هي من جنس الأورام الحارة.

ويستعمل أيضاً في أوجاع المعدة وأوجاع الكُلَى والمثانة، ما لم يكن هنالك ورم أن يتقى[٢] حدوثه. وقالوا: إنه يسقى في أوجاع الجنب، وذلك إنما يكون إذا كان الوجع مزمنا عن خلط غليظ، أو ريح[٣] غليظة، ولم يكن هنالك حمى.

---

(١) المطبوع»: «منها».

(٢) النسخة الأخرى: يتوقى.

(٣) المطبوع: «رمح».

ويسقى منه لعسر الطلق فيما ذكروا، وفيه نظر، لأنه في الغالب يقتل الجنين، وإذا مات الجنين عسرت الولادة، ولعله إنما ينفع إذا كان عسر الولادة من ضعف القوة الدافعة، أو عند موت الجنين، ولأنه أيضاً يُدِرّ الطمث، وكل مُدِرّ للطمث معين في إخراج الأجنَّة.

٢٨ ـ وأما الأمراض المركبة التي أشهر أجناسها جنسان، كالحميات والأورام، فإن جالينوس يقول: إنه ينفع في حميات الرِّبع[١] إذا ظهر النضج. وأما قبل النضج فإنه تتضاعف به الحمى. والسبب في ذلك أنه بعد النضج يحيل الأخلاط إحالة طبيعية، لأنه الوقت الذي تحيل الطبيعة فيه الأخلاط الفاسدة، وإذا سُقي في وقت الابتداء، أحالها إحالة قسرية، ففسدت الأخلاط، وانتشرت في البدن، وتضاعفت الحمى. والسبب في ذلك أن النضج الطبيعي إنما يتم في زمان محدود. وحكى جالينوس أن هذا عرض بعينه لأوديموس الفيلسوف، لما أجمع أطباء رومة على سقيه الترياق في أول حمى سوداوية أصابته، فتضاعفت حماه.

وحكوا أنه ينفع من الحميات المزمنة الشديدة البرد في أول نوايبها، والنافض القوي، وعلى قياس قول جالينوس في اعتبار النضج، سيضر، لأن شدة النافض وشدة البرد لا يكونان في الأكثر إلا قبل النضج، إلا أن يقول: إن النضج إنما اعتبر في حميات السوداء، لأن هذا الخلط لا ينضج إلا في زمان طويل، ولذلك طالت نوايب هذه الحمى.

وأما حميات البلغم، فهي بالطبع أقصر مدة من حميات السوداء،

---

(١) في المطبوع «الدبخ»، وانظر المقدمة ص (٢١٧).

فهي أكثر قبولاً للنضج، فيكون الترياق على هذا ينضجها قبل أن تشرع الطبيعة في النضج. لكن ليس ينبغي أن يسقى الترياق في مثل هذه المواضع، إلا إذا خيف على العليل الهلاك من شدة هذه الأعراض، لأن الأخلاط الفاعلة لها تشبه السموم.

وأما الأورام، فإنه لا يسقى منه صاحبها في الأورام الحارة شيئا[١]، وبخاصة إذا تبعتها الحميات. وأما الأورام الصلبة الخامية[٢]، فينفع فيها سقيه، وإن كانت في الأعضاء الرئيسية[٣]، وكذلك حاله في السوداء العارضة من الأخلاط الغليظة.

إلا أن الأطباء يرون أن يسقى في كل علة من علل الأعضاء بما يناسب تلك العلة، مثل أن يسقوه في وجع الكبد بماء الأسارون، وفي وجع الكلى بماء الكَرَفْس. وكذلك ينبغي أن يجتنب سقيه في السنة الحارة، فإنه كثيراً[٤] ما تحدث في هذه الحال الأورام.

٢٩ ـ فأما كيف يشفي الترياق من هذه الأدواء، وبالجملة كيف تشفي الأدوية، فلم يقل الأطباء في ذلك قولاً كافيا. والذي تقتضيه الأصول الطبيعية، أن كل ما ينسب إلى الأدوية من الشفاء بالأفعال الأُوَل والثواني والثوالث، وبالفعل الذي يسمى الفعل بجملة الجوهر، فإن الفاعل له بإذن الله سبحانه، هي الحرارة الغريزية، بما ركب الله تعالى من القوة الشافية فيها، الفاعلة في الأخلاط الأفعال التي تنسب إلى الأدوية.

---

(١) المطبوع: «شيء»، وانظر المقدمة ص (٢٢٠).

(٢) المطبوع: «الجامية» ونقترح قراءة أخرى «الجاسية» وانظر المقدمة ص(٢١٧).

(٣) لعلها: الرئيسة.

(٤) المطبوع: «كثير».

وإنما تنسب هذه الأفعال إلى الأدوية، لأن الأدوية إذا استحالت إلى الحرارة الغريزية، كما يستحيل الحطب إلى النار - استفادت الحرارة الغريزية من تلك الاستحالة القوة المنسوبة إلى ذلك الدواء. وتلك القوة لو لم تكن في الأصل بالطبع، أعني في الحرارة الغريزية، لما وُجدت فيها من قِبَل الدواء أصلا، بل الدواء كأنه مفيد لتلك القوة، كما نجد أنواعا من الوقود تُعِين النار في أفعال خاصة، وذلك بيِّن في المهن التي لا تستعمل إلا نوعاً من الوقود مخصوصا.

ومن هنا غلط ابن سينا حين قال: إن الترياق يعين الحرارة الغريزية في جميع القوى التي بها تحفظ صحة الأبدان، ويعين[1] أيضاً القوى التي فيها على شفاء الأمراض، كما يعين[1] القوى التي فيها على مقاومة السموم.

وليس الأمر كذلك، فإن القوى [التي] تحفظ بها الحرارة الغريزية على الأبدان صحتها، إنما المعين لها في هذه القوى الأغذية الفاضلة، والمشروبات الغذائية، والتي تعينها على شفاء الأمراض المعتادة هي الأدوية، والتي تعينها بما فيها من القوى الشافية للسموم هي الأدوية الشافية لها، أعني الأدوية التي تسمى مقاومة للسموم. والترياق - كما قلنا - لما كان معينا للحرارة الغريزية الفاعلة في السموم، كان معينا لها في القوى التي تفعل الشفاء من الأمراض المضاهية للسموم.

وبهذا الوجه أيضا تحفظ الصحة المستعدة لحدوث الأمراض الصعبة فيها. فالترياق من هذه الجهة شبيه بالحرارة الغريزية، من جهة أنه واحد بالموضوع كثير بالقوى. كما أن الحرارة الغريزية واحدة

---

(١) المطبوع: «تعين» أعاد الضمير إلى الحرارة الغريزية، والحديث إنما هو عن الترياق.

بالموضوع كثيرة بالقوى. فهو لا شك دواء في غاية الفضيلة في الشفاء، ولكن في أحوال محدودة، وأوقات معلومة.

٣٠ ـ وإذ قد صرنا[١] إلى هذا الموضع، فلم يبق علينا - مما قصدنا للتكلم فيما لم يتكلم فيه أحد قبلنا ممن علمناه، وإن كان كلامنا فيه مبنيا على أصول من تقدمنا، ولذلك كان الفضل لهم على كل من أتى بعدهم - إلا الكلام في مقادير الشربات[٢].

وهذه المقادير إنما استنبطت أولا بالقياس، ثم صححت أخيراً بالتجربة، كما عرض ذلك في تركيب هذا الدواء وغيره من الأدوية الشريفة، أعني أنه ركب أولاً بالقياس، وصحح أخيراً بالتجربة. ولذلك كل دواء مركب بالقياس يستعمل قبل التجربة، ففيه نقص.

ولذلك ما[٣] ينبغي، إذا ركب دواء بالقياس إلى من يهتم بأمره، أن يصحح أولاً بالتجربة في غيره[٤]، ثم يستعمل فيه إذا حُمِد بالتجربة، وصح منه الغرض الذي قصد اتخاذه منه بالقياس، أعني المنفعة المقصودة.

فالقياس، كما قلنا، الذي حرك القدماء إلى تقدير كمية ما يسقى من الترياق، هو بعينه القياس الذي حركهم إلى تقدير مقادير الأدوية في الكمية والكيفية. فقالوا: دواء كذا في درجة كذا، ويسقى منه مقدار

---

(١) في النسخة الأخرى «سرنا».

(٢) سياقة الكلام هكذا: «فلم يبق علينا إلا الكلام في مقادير الشربات».

(٣) «ما» هذه، زائدة للتوكيد.

(٤) في المطبوع «يصحح أولا ما يستعمل بالتجربة في غيره» كما ورد في نسخة، وفي النسخة الأخرى حذفت «ما يستعمل» وهو ما أثبتناه. فإن كان ما في النسخة الأولى، التي رجحها المحققان ليس سبق بصر، فصوابها «يصحح أولا ما يستعمل [منه]» بإضافة منه.

كذا. وهو أنهم علموا أن قوة الدواء يجب أن تكون غالبة لقوة الداء، من غير أن تؤثر في البدن أثرا شبيها بها، أعني خارجا عن الطبع، فتكون مع إزالتها المرض تحدث مرضاً آخر.

فوجب تقدير الأدوية في مرض مرض، بحسب قوة المرض والمريض، وبحسب المزاج والسن والبلد والعضو الذي فيه المرض، إن كان المرض مخصوصا بعضو ما، وكلما كان الدواء أقوى كانت المضادة فيه لبدن الإنسان أكثر، إذ كل دواء فهو مضاد لبدن الإنسان، وإنما هو نافع لبدن الإنسان بما هو دواء، إذا كان في بدن الإنسان مرض مضاد له.

ولذلك لا ينبغي أن تتجاوز قوةُ الدواء قوةَ المرض، ولا أن تَفْضُلَ عليه، لأن الفاضل منه يكون ممرضا للبدن. ولكون الدواء لا يكون نافعاً بالذات إلا في وقت المرض، وجب ألا تحفظ الصحة التامة بالأدوية[١]، وإنما تحفظ بها الصحة المستعدة للأمراض، وتختلف الأدوية المستعملة في ذلك بحسب مقادير الاستعدادات التي في الأبدان للأمراض، وبحسب أنواع الأمراض.

ومن هذا يظهر ما قلنا من [أن] [٢] الترياق، إنما ينبغي أن يستعمل في حفظ صحّةِ مَنْ صحتُه مستعدة لأمراض كبار، وأمراضٍ تدور عليهم في وقت وترتفع في وقت. وهذه الحال هي حال الشيوخ الزَّمْنى[٣].

ولذلك كان أوفق الأسنان لاستعمال الترياق هو مدة الشيخوخة، فإن هذا السن قلّما يخلو من زمانة، ومِنْ بَعْدِ هؤلاء سنّ الكهولة.

---

(١) المطبوع: «الأدوية».

(٢) زيادة يقتضيها السياق. ولا نعلم هل هي ساقطة من المخطوطتين أم من المطبوع.

(٣) المطبوع: «الزمناء» قاسها المحقق على شريف وشرفاء.. والصحيح جمعه على «زمنى» مثل جريح وجرحى، راجع المقدمة ص (٢٢٠).

وأما الشباب فهم أغنى الناس عنه، إلا أن تحدث بهم الأمراض التي ذكرناها.

٣١ ـ وإذا كان الدواء - بما هو دواء - مضاداً[١] لبدن الإنسان، وجب أن يحافَظ على الكمية التي تستعمل منه. وكلما كان أقوى، كانت المحافظة على كميته أكثر.

ولما كان الترياق في الغاية من القوة المضادة لبدن الإنسان، لكون المرض المستعمل منه أقل [رأوا أن يكون المستعمل منه أقل][٢] كمية من غيره، وأن يحافظ على تلك الكمية. فلما أوجب القياس عندهم هذا المعنى في الترياق - أعني تحديد الكمية والمحافظة عليها، كما وجب في الأدوية المسهلة - حدسوا أيضاً بالقياس على الكمية التي تستعمل منه في مرض مرض، ثم صححوها بالتجربة، وأثبتوها في كتبهم، وربما اختلفوا في بعضها اختلافا يسيرا.

٣٢ ـ فنذكر في ذلك ما قاله جالينوس عن الأوائل. والأوْلى أن نذكر ألفاظ ما حكاه جالينوس في ذلك عن ديموقراطيس: واسق منه من يخاف عليه أن يقع في طعامه دواء قتّال، واسق من وقع في طعامه بعد أن يتقيأ كل ما تناوله من الطعام، واسقهم ذلك مرتين أو ثلاثا، إذا كانت الدلائل التي تدل على شرب الأدوية الرديئة ثابتة.

---

(١) المطبوع: «مضاد»، ظنا أنه صفة دواء، وهو خبر كان، راجع المقدمة ص (٢٢١).

(٢) المطبوع: «ولما كان الترياق في الغاية من القوة المضادة لبدن الإنسان، لكون المرض المستعمل منه أقل كمية من غيره وأن يحافظ عليه». وهذا كلام غير مترابط، وخطر لنا أن يكون تكرار «المستعمل منه أقل» تسبب في إسقاط العبارة من المخطوطتين أو المحققين. نرجو أن يكون اجتهادنا صوابا حتى نطلع على المخطوطتين، وانظر المقدمة ص (٢١٨).

واسق منه كل من لسبه[١] شيء من الهوام، ومن نهشته الأفاعي، أو بعض الحيات التي تأوي الماء، والحيات المعطشة، والكلاب الكلِبة؛ فإنّ نهشَ هذه نهشٌ ردىء، وجميع الحيوان البحري ذوي السموم، والدواب الصغار، مثل النحل والزنابير والعقارب، والدواب التي تسمى الرُّتَيْلاءات[٢] القتالة.

ويكون ما تسقيهم من هذا المعجون، أرجح من درخمي، بمقدار أزيد قليلاً من مقدار البندقة، مع خمسة عشر[٣] أوقية من خمر ممزوج مزاجا قريبا من الصِّرف. وليس يكفى[٤] مَنْ نُهِشَ نهشا رديئا مرة واحدة، ولكن ينبغي من أردت أن يذهب عنهم الخوف والجزع أن تسقيهم مرارا كثيرة.

واسق منه أيضا متى أردت مقاومة شيء من العلل والأمراض التي لا يؤمن معها أن تُحْدِثَ على طول الزمان فسادَ سخنة البدن.

وللحميات [الخالصة] التي تنوب غبا، والنافض، وخاصة المرض الذي يكون مع ألم[٥].

---

(١) المطبوع «لقيه». وفي تاج العروس: لسبته الحية وغيرها، مثل العقرب والزنبور: لدغته، وأكثر ما يستخدم في العقرب.

(٢) المطبوع «المرتيلات»، والصواب: الرتيلاءات أو الرتيلاوات، وانظر المقدمة ص (٢١٨).

(٣) كذا، والأولى: خمس عشرة أوقية.

(٤) المطبوع: «يكتفى».

(٥) المطبوع: «وللحميات التي تدور غبا، والنافض، وخاصة المرض الذي يكون مع آخر». والتصويب من كلام ابن رشد نفسه، حيث يقول بعد قليل في تعليقه على كلام جالينوس: «.. مثال ذلك أن قوله: للحميات الخالصة التي تنوب غبا، لكن الغب غير الخالصة المزمنة. وقوله: وخاصة المرض الذي يكون مع ألم..».

ومتى خفت أن يحدث في بعض الأعضاء الرئيسية[١] ورم، أو ورم الرحم.

وانتفاخ المِعَى المسمى قولون.

ولكل من يتأذى بأوجاع دائمة في مثانته أو في كُلاه، وإن كان ذلك بسبب قرحة أو بسبب حجارة.

واسق أيضاً من به ورم في كبده.

ومن ينبعث الدم من صدره مرارا كثيرة، ومن ينفث الدم من أي المواضع كان ذلك، إن كان أيضاً من الرئة.

واسق أيضاً من ذكر أن في بعض أحشائه هتكا أو انخراقا، فإنه قد يذهب بشربه الحزق والوجع.

وقد ينبغي أن يسقى منه من كان لا يستمرىء طعامه، وإن قل أكله، وحمض في معدته بسرعة.

ولمن يضطر الأمر في بعض الأسفار إلى شرب شيء من المياه الرديئة.

ويكون ما يُسْقَىٰ[٢] هؤلاء مقدار وزن ثلاثة قراريط مع ثلاثة قواثو[٣] أو أربعة ماء حارا، قبل تناول الطعام. وللذين في مثانتهم ألم بخمر حلو ممزوج، ولمن ينفث الدم، ولمن في معدته قرحة، ولمن ينحدر إلى صدره شيء من المواد. ويكون ما تسقيهم من ذلك بماء قد

---

(١) كذا، ولعلها الرئيسة.

(٢) المطبوع: يشفي.

(٣) المطبوع «قواثوا»، وانظرالتعريف بالمصطلحات.

طبخ فيه حزمة من الجَعْدة. وأجود هذا النبت ما يجلب من قريطش، أو من أفضل ما يجلب من بلاد الصقالبة، والتي تجلب من بنطش، فإنما قد تمنع[١] بسرعة ما يتحلب من انصباب المواد إلى الأعضاء. ويكون ما تسقيهم من ذلك مع ثلاثة قواثو ماء، كما قلنا آنفا.

ومن الناس من يعالج به وجع الأذن الصعب، بعد أن يخلط بشيء من الخمر الحلو الذي يجلب من قريطش، بأن تعمد إلى شيء من الصوف فتنقعه في ذلك، وتدخله في ثقب الأذن.

فهذا جملة ما قاله جالينوس حكايةً عن ديمقراطيس فيما يسقى له هذا الدواء، ومقدار كمية ما يسقى منه، وبماذا يسقى منه، وهو قول جار على غير تحديد.

وإنما كان القدماء يتسامحون في إثباتهم هذه الأقوال مهملة، لأنهم كانوا يكتبونها لمن حَذَقَ في صناعة الطب القياسية. ومن وقف على ما ذكرناه من معرفة طبيعة الترياق ومعرفة أفعاله، وكيف يفعل، وفيما يفعل، يقدر أن يحدد هذه الأقاويل. مثال ذلك أن قوله: للحميات الخالصة التي تنوب غِباً، لكن الغب غير الخالصة المزمنة. وقوله: وخاصة المرض الذي يكون مع ألم؛ ينبغي أن يفهم منه الوجع الشديد، وسائر الأعراض الصعبة الشبيهة بأعراض السموم. وقوله: وكذلك متى خفت أن يحدث في بعض الأعضاء الرئيسية ورم أو ورم الرحم، ليس ينبغي منه الأورام الحارة.

فهذا جملة ما حكاه جالينوس عن ديمقراطيس، في المواضع التي يسقى فيها، وقدر ما يسقى منه[٢]. وظاهر هذا القول أنه أمر أن يسقى

---

(١) كذا، ولم أستطع إقامة الكلام.

(٢) هذا الكلام بعينه – تقريبا – هو الذي صدرت به الفقرة قبل السابقة. وتكراره مقصود، يمهد به لمناقشة وشرح فكرة جديدة.

للسموم منه وزن الدرخم، بمقدار أزيد من زيادة البندقة على الدرخم؛ إلا أنه بالجملة قول غير محدود. ورأيت بعض القدماء ممن شرح الترياق وتكلم فيه، جعل أكثر الشربة منه البندقة، وأصغرها فولة مصرية.

٣٣ ـ وأما صاحب الكتاب المعروف بالملكي[١]، فإنه فصّل الأمر في ذلك تفصيلا أكثر، بسقي مقدار البندقة لمن نهشته الأفعى بأربع أواقي من مطبوخ ريحاني، ولصاحب الشهوة الكَلْبيَّه[٢] بأربع أواقي من الشراب، ولأصحاب الاستسقاء بخل ممزوج ثلاثة أيام، وللحصى التي في الكلى بماء الكرفس، وللورم الصلب في الكبد والطحال بالسكنجبين العنصلي أو الساذج ثلاثة أيام، وللقولنج. فجعل البندقة المرتبة العالية.

وجعل المرتبة الثانية مثقالا، فأمر أن يسقى في عضة الكلب الكلِب مع درهم من رماد السراطين، وأن يسقى فيمن سُقي الفربيون والأفيون والبنج وما أشبه ذلك من هذه الأدوية القتالة.

وجعل المرتبة الثالثة من دانقين إلى نصف درهم، وأمر أن يسقى لمن لدغته العقرب مع شراب، ولمن به النفخة في المعدة والأمعاء، ولمن به نافض في غير حمى. وأمر أن يسقى مقدار ترمسة لإخراج المشيمة بماء قد طبخ فيه شراب ومشكطرامشير، ولأصحاب اليرقان، ولعسر النفَس مع أوقية من سكنجبين العنصلي. وأمر أن يسقى وزن

---

(١) هو علي بن العباس المجوسي، وعنوان الكتاب «كامل الصناعة الطبية الضرورية» وهو مطبوع.

(٢) المطبوع: «الكلية» بياء مثناة تحتية. ويمكن قراءتها «الكلِبة»، حيث نصت المعاجم على أن «الكلَب» بفتح اللام: الأكل الكثير بلا شبع (راجع تاج العروس)، ولكنا آثرنا إثبات اللفظ كما يستخدم في كتب الطب. راجع كشاف التعريف بالمصطلحات.

دانقين لمن به الهيضة بشراب التفاح، واشترط أن يكون من البلغم، ولمن به صداع قديم قدر ترمسة بماء الشاهترج، ولأصحاب الفالج واللقوة بماء الأصول، ولأصحاب الجذام بماء الجبن، ولأصحاب البرص بماء الأصول أو ماء العسل.

وجوز أن يسقى منه في السموم الكبار عند ظهور شدة أعراضها مثقالين[١]، وهو كثير، والأحوط أن يسقى دون ذلك مرارا كثيرة.

فهذا ما قاله هذا الرجل في مقدار الشربات، وهو أيضاً قول فيه اعتراض، مثل جعله للكلب الكَلِب مثقالا، ولورم الطحال والكبد والشهوة الكلبية[٢] البندقة.

٣٤ - وأما ابن سينا، فإنه جعل أعلى الشربة منه مثقالا من اليرقان القوي، وسقى منه في أكثر العلل مقدار ترمسة بالأدوية المناسبة للعلة، وسقى منه مقدار باقلاّء في انقطاع الصوت.

وهذه الأسماء أكثرها مختلف فيه. وهذا الحصر لا معنى له إلا في الطرفين اللذين في الغاية، وهما الدانقان، مثلا، إلى مثقال ونصف كيلا، وما بينهما فينبغي أن يخلّى تدبيره للطبيب.

وذلك أن الترياق تختلف كمية ما يسقى منه بحسب قوة العليل وضعفه، وقوة السم وضعفه، وبحسب قوة الترياق في عمره وضعفه، وبحسب مزاج المريض وسنه وبلده، والوقت من أوقات السنة، والهواء الذي من خارج، أعني الهواء الفاسد وهو الذي يعرف بالوباء، إما من

---

(١) كذا والصواب مثقالان.

(٢) انظر الصفحة السابقة، تعليق ٢ .

قِبَل جوهره، وإما من قبل كيفياته. فإن الترياق نافع لهذا الهواء خاصة، فكيف إذا اقترن ما يوجب شربه من الأدوية أو السموم الواردة؟

وموضع النهشة أيضاً من البدن يوجب اختلاف كمية ما يسقى منه.

وهذه الأشياء قد تبينت في الأقاويل الكلية من علم حيلة البرء.

لكن الأفضل في هذه الصناعة، أن تعرف الكليات من الجزئيات ما أمكن.

٣٥ - وأولى من استعمل الترياق في حفظ الصحة الشيوخ الزَّمْنىٰ ثم الكهول. وأما الشباب، فلا ينبغي أن يقربوه إلا في الضرورة. وكلُّ ما أمروا أن يسقى بالشراب، فيعوض منه بالمطبوخ الذي ذهب ثلثه، فهو أفضل وأورع[١]، لأنه لا يختلف في تحريم قليل الخمر وكثيرها، ويختلف في تحريم قليل المطبوخ.

٣٦ - وقد رأيت بعض الأطباء يرى أن المطبوخ أشبه بالخمور العتيقة التي كان يستعملها القدماء من الخمور التي توجد في هذه البلاد، لأنه زعم أنها عديمة للشروط التي اشترطها القدماء في الخمور المستعملة في الترياق. وإن كانت الخمور المستعملة في عجن[٢] الترياق يذهب غبها وينتقل اسمها وحَدُّها، مثل انتقالها للخل، فاستعمالها لمكان هذا أخف من سقيها مع الشربة.

وفي هذه الحال يرجع الطبيب إلى الفقيه من جهة، والفقيه إلى الطبيب من جهة. أما رجوع الفقيه إلى الطبيب، فمن جهة أن الفقيه يأخذ من الطبيب مقدار الاضطرار، فيحلل أو يحرم، لقوله تعالى: **﴿وقد فَصَّلَ لكم ما حَرَّمَ عليكم، إلا ما اضطُرِرْتم إليه﴾** [الأنعام ١١٩].

---

(١) المطبوع: وأروع.

(٢) المطبوع عجز. وأنا في شك من كلمة «غبها» فليحرر.

والطبيب يأخذ من الفقيه مقدار الحرمية، فيأمر بالدواء أو يتجنبه إلى غيره.

٣٧ ـ وأما سن الترياق، فله سن لا يستعمل في أقل منه، وهي أربع سنين فيما قالوا. ومعنى ذلك أنه قبل هذا السن لا يعمل عمل الترياق التام، ويعمل عمل سائر الأدوية القوية. ويكفي عندي في ذلك عام، لأنه يمر عليه فيه الفصول الأربعة والستة شهور، إن اضطر الأمر إلى ذلك.

وله شباب إلى العشرين سنة، ووقوف إلى الأربعين سنة، وانحطاط إلى الستين، وخروج عن فعل الترياق واسمِه بعد الستين.

وقد يختلف هذا باختلاف أدوية الترياق في الجودة والرداءة، واختلاف طبيعته، وما به يعجن، واختلاف الظروف التي يوضع فيها، واختلاف البلاد، واختلاف المواضع التي يوضع فيها من البلد الواحد بعينه.

٣٨ ـ وقد رأينا أن ما ذكرناه من الغرض الذي فيه سئلنا كاف، بحسب انحفاز الوقت. فإن كان فيما ذكرناه من هذه الأشياء شرح لأقاويل القدماء، وتتميم لأغراضهم، بحسب ما تعطيه أصولهم - فالمشكور عليه والمأجور، هو المحرِّك إليه والمنبِّه عليه.

بلغهم الله أكلأ [1] العمر، وقضى لهم بالسعادة [في] الأولى والآخرة، وحاطهم من جميع النوائب، إنه منعم كريم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

تمت مقالة الترياق للفقيه القاضي

الإمام الأوحد أبي الوليد

محمد بن محمد بن رشد

رضي الله عنه

---

(١) يقال: بلَّغ الله بك أكلأ العمر، أي: أقصاه وآخره وأبعده. وكان الأصمعي لا يهمزه. (اللسان والتاج).

تعريف بأهم المصطلحات

* **الأخلاط : Humars**

* **الأسطقسّات : The elements**

وترجمها القدماء أيضاً: أركان، والشائع اليوم ترجمتها: عناصر. والأسطقسات الأربعة هي النار والهواء والماء والتراب. ويمكن تعريفها بأنها الحار والبارد والرطب والجاف (اليابس).

(راجع كتاب الطب الإسلامي) تأليف مانفريد أولمان، ترجمة الركن يوسف الكيلاني.

* **أسارون : Asarun europaeum**

من فصيلة الزراونديات Aristolochiaceae وله بالانجليزية ثلاثة أسماء : Asarabacca - Cabaret - Wild nard

من جنس اللبلاب، له أصول معقدة تدب تحت الأرض في كل ناحية. وفي المفردات لابن البيطار: له أصل أصغر من الخنصر، متشعب منه شعب دقائق طول أنملة. طيب الريح والطعم قال عنه ابن رشد في الكليات (ط مصر ١٩٨٩) ص٢٦٢ «الذي ينتفع به من هذه الحشيشة إنما هو أصلها..».

*** أفيون:** **Name: Papaver somniferum**

Family: Papaveraceae.

هو المادة المستخلصة (Latex) من الثمار غير الناضجة وذلك بواسطة جرح الثمار بالسكين وتجميع Latex ثم تجفيفه بطريقة طبيعية في مكان ظليل به تهوية جيدة.

المحتوي: قلويدات (٢٥ قلويد)، تقسم إلى مجموعات حسب التركيبة. أهمها المورفين - الكودين - البابا فرين.

الاستعمال:

١ - مخفف للآلام ومهدىء.

٢ - منوم شديد.

٣ - لعلاج الكحة.

التحذير: يسبب الإدمان.

*** أوقيّة:**

في أقرباذين القلنسي أن الأوقية بالدراهم عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم، وأنها بالمثاقيل: سبعة مثاقيل ونصف.

باقِلّاء:

تطلق على وزن الباقلاءة الواحدة، وهناك الباقلاءة اليونانية وهي ستة قراريط، والباقلاءة المصرية اثنا عشر قيراطا، والباقلاءة الاسكندرانية تسعة قراريط. (أقرباذين القلنسي).

* بلغم: Phlegm

* بلغم صفراوي: Bilious Phlegm

* بلغمية المزاج: Phlegminess of temperament

* البَنْج (١): Name: Cannabis sativa
Family: Urticaceae.

يتكون العَقَّار من الأطراف المزهرة والمثمرة من النبات الأنثى، التي تحتوي على المواد الراتنجية.

ويمكن التعرف عليه تحت المجهر عن طريق الشعيرات التي لها رأس مكون من ٨ خلايا، والعنق متعدد الخلايا والصفوف. وكذلك الشعيرات العادية شكلها مخروطي، ولها قاعدة بها كربونات كالسيوم، ويوجد في باقي الأنسجة أوكسلات كالسيوم وخاصة في القنابات.

ويحتوي على مواد مخدرة توجد في المادة الراتنجية، وهي: كنابتول ومشتقاته - قلويدكانبستفين - زيت طيار.

ويكاد لا يستعمل نظراً لأنه يؤدي إلى الإدمان.

* البَنْج (٢) Name: Hyoscyamus albus
or Hyoscyamus niger
Family: Solanaceae.

عشب معمّر في المناطق الصحراوية، أوراقه شحمية عليها شعيرات، تحتوي ثماره على عدد كثير من البذور، والبذور رمادية على شكل الكُلية، وسطها مخطط بشكل شبكي. الزهور وردية اللون أو صفراء.

الأجزاء المستعملة:

١ - البذور ٢ - الأطراف المزهرة ٣ - الثمار

المحتوى: قلويدات تصل إلى ١,٣٪، أهمها هيوسيامين - هيوسين

الاستعمال:

١ - مسكن للآلام ٢ - مسكن للسعال

التحذير: يمكن أن يسبب لوثة للعقل قد تؤدي للجنون.

*** البنج (٣)** **Name: Datura fastusa L.**
Family: Solanaceae.

نبات عشبي معمّر، من الفصيلة الباذنجانية، يشبه كثيراً الداتورة المعروفة، يصل طوله إلى ٦٠ سم. ساقه وأوراقه ملساء، له أزهار بيضاء قمعية الشكل. وشكل البذور كلوي، وسطحها شبكي التخطيط.

المحتوى:

١ - ٢٥٪ زيوت دهنية (البذور).

٢ - قلويدات - أتروبين - هيوسيامين - هيوسين.

الاستعمال: (العشب المزهر أو الأوراق أو البذور):

١ - توسيع حدقة العين ٢ - منوم

٣ - مهدىء شديد للجهاز العصبي المركزي

*** بندقة**

في أقرباذين القلنسي أن البندقة درهم واحد، وعند البعض مثقال، ويكنى عنها بالجوزة النبطية (مثقال).

* البيش Name: Aconitum napellus
Family: Ranunculaceae.

نبات من فصيلة القلقاسيات - جذوره تشبه جذور اللفت الصغيرة، طولها ٤-١٠ سم وقطرها ١-٣ سم.

لونها بني داكن وتحمل جزءاً من الأجزاء العليا من النبات.

النبات كله سام وقاتل بأقل كمية.

يجب الحيطة الشديدة عند التعامل معه خاصة مع وجود جروح باليد.

الجزء المستعمل: الجذور.

المحتوى: قلويد أكونتين.

الاستعمال: ينصح بعدم استعماله لشدة سميته. ربما يستخدم في جرعات من ٥-٢٥ ميكروجرام لعلاج الآلام وتسكينها.

تحذير: أقل كمية من النبات تسبب تسمماً شديداً وسريعاً حتى عند ملامسته لجسم المجروح.

* ترمسة

في أقرباذين القلنسي أنها قيراطان.

* الجعدة Name: Teucrium polium L.
Family: Laibatae.

نبات عشبي معمّر، ينمو في المناطق الصخرية، له رائحة عطرية، أوراقه صغيرة، طولها بين ١ و ٢ سم، وعرضها نصف سم، مغطاة بشعيرات كثيفة.

يقطع النبات من فوق سطح الأرض، ويجفف في مكان ظليل به تهوية جيدة.

يحتوي على زيوت طيارة.

قال عنه ابن رشد في الكليات (ط مصر ١٩٨٩) ص ٢٦٢ «هذه أصناف، كلها حارة يابسة. تدر البول والطمث، وزعموا أنها تنفع من لذع العقارب إذا شرب منها وزن مثقال بالنبيذ».

- طارد للديدان. - يعالج به الاضطرابات المعدية والمعوية، والحميات، والبول السكري.

*** حارّ** **Hot**

*** حب السلاطين** **Name: Croton tiglium L.**
Family: Euphorbiaceae.

شجيرة، أزهارها وحيدة الجنس، تكون المذكرة أعلى الساق وتحتها المؤنثة، تحتوي كل ثمرة على ٣ بذور. وبذورها شبيهة ببذور الخروع في الحجم والشكل، ولكن اللون بني خفيف.

الجزء المستعمل: البذور أو زيتها.

المحتوى: ٥٠٪ زيت، ومادة بروتينية سامة Crotin

الاستعمال: ينصح بعدم استعماله، لأنه يسبب إسهالاً شديداً، فأقل جرعة من الأيت 0.06 ml تسبب إسهالاً قاتلا.

وفي جنوب شرق آسيا يستعمل في تسميم الأسماك.

* حمّى الدق (حمى السل) Hectic Fever

* حمى الرِّبْع (راجع المقدمة ص٢١٧)

* درخمي

في أقرباذين القلنسي أنه مثقال واحد، وعند البعض درهم. وقد أورد الأستاذ أبو الفرج بن هندو في كتاب «مفتاح الطب» أن الدرهم يشبه أن يكون معرّباً عن الدرخمي، وقد أورد فيه أيضا أن ما يحمله ثلاث أصابع فهو درخميان، وأن ما يحمله الكف ستة درخميات.

* رُتَيلاء Galeodes araneoides

ويقصر، والجمع رتيلاوات، وراجع المقدمة ص ٢١٨.

* رطوبة Humour

* رطوبة بلغمية Phlegmatic humour

* رعاف Epistaxis

* ريحان Ocimum basilicum - Labiatae

نبتة عشبية من الفصيلة الشفوية، ترتفع إلى ٤٥ سم، أوراقها مسنَّنة، تزهو ما بين يونيو وسبتمبر. وللريحان رائحة عطرية لطيفة.

يقطع من فوق الأرض، ويجفف في مكان ظليل جيد التهوية.

الاستعمال:

- لعلاج سوء الهضم. - طارد للبلغم. - يوقف القيء.

* ذات الجنب Pleuritis

* ساذج Simple

* سراطين

ذكر ابن رشد «رماد السراطين»، وهي جمع السرطان المعروف، منه نهري، وبحري. جاء في تاج العروس: «قال الأطباء: ثلاثة مثاقيل من رماده النهري مُحَرّقا في قِدْر نحاس أحمر بماء أو شراب . . عظيم النفع من نهشة الكلب الكلِب. . وأما البحري منه فحيوان مستحجر، يدخل محرقه في الأكحال لقلع البياض، وفي السنونات فتشدّ اللثة». وفي الكليات (ط مصر ١٩٨٩) ص ٢٩٥ قال ابن رشد «السراطين المحرقة: تشفى من عضة الكلْب الكلِب بخاصة فيها».

وراجع مفردات ابن البيطار.

* السِكَنْجبين:

هو الشراب المركب من الخل والعسل.

* السكنجبين العنصلي: (Oxymel Scilla)

النافع من جساوة الطحال والكبد، يفتح السدد ويقطع الأخلاط الغليظة وينفع من ضيق النفس والسعال العارض من الرطوبة. يؤخذ بصل العنصل رطل ونصف ويقطع بسكين خشب أو زجاج قطعا صغارا، ويطرح عليه من خل الخمر العتيق الصافي خمسة عشر رطلا ويطبخ بنار لينة حتى ينهري البصل ثم يصفّى، ويطرح على كل رطل منه رطل ونصف سكر طبرزد ويطبخ بنار معتدلة، تنزع رغوته أولا فأولا ثم ينزل عن النار ويرفع في إناء ويستعمل (القلانسي ص١٦٠).

* سكنجبين ساذج لمحمد بن زكريا الرازي: خل الخمر جزءاً، ماء عذب جزءا، سكر طبرزد ثلاثة أجزاء. يطبخ ويتقوم وقد ينقع في ذلك الخل أصل الهندباء وبزره فيكون أكثر تبريدا للسدد (القلانسي ص١٦١).

* سوداوي **Melanotic or Atrability**

* شاهْتَرَج **Name: Fumaria officinalis, L.**
Family: Papaveraceae (Fumaraceae)

نبتة عشبية من الفصيلة الشاهترجية، وهي تشبه إلى حد كبير الفصيلة الخشخاشية.

النبات حَوْليّ، ارتفاعه حوالي نصف متر، وأوراقه مركبة، يزهر ما بين شهري مايو وأكتوبر.

تقطع النبتة من فوق سطح الأرض أثناء ازدهارها وتجفف في مكان ظليل به تهوية جيدة.

الاستعمال:

١ - مدر البول ٢ - ينقى الدم ٣ - علاج للبواسير

قال عنه ابن رشد في الكليات ص ٢٦٦ إنه يفعل «التلطيف وإدرار البول وغير ذلك. وقد رأى بعضهم أن فيه قوة مسهلة. وهو مع هذا دواء جيد للمعدة لمكان القبض فيه وغاسل لها بحرارته..».

تحذير: النبات يؤدي فائدته بالجرعة التي يحددها الطبيب لمدة ٨ أيام، وإذا استعمل لمدة أطول فإن تأثيره يكون مهدئا قويا ومنوما.

* الشهوة الكلبيّة: **Canine aritide or Bulimia**
Bulimus

* شَوْكَران: **Name: Conium Maculatum L.**
Family: Umbelifarae

نبتة صغيرة حولية من الفصيلة الخيمية، ارتفاعها يصل إلى ١٢٠ سم، سطحها مبرقش، أوراقها مركبة تشبه البقدونس، أزهارها صغيرة، وهي تزهر في يونيو ويوليو، تستعمل الثمار عند نضجها. تجفف في

مكان ظليل جيد التهوية. قال عنه ابن رشد في الكليات (ط مصر ١٩٨٩) ص ٢٧٨ «هو دواء بين من أمره أنه يبرد تبريداً شديداً».

الاستعمال: إذا استعمل النبات يستعمل بكميات قليلة جدا لعلاج:

١ - الأمراض النفسية والعصبية.

٢ - آلام البروستاتا. ٣ - علاج الربو.

المحتوى: قلويدات: ٢,٥٪ كونين ومثيل كونين

تحذير: النبات شديد السمية وقاتل حتى بالملمس إذا جرح الجسم.

* صفراء زنجارى **Verdigris green bile**

* صفراء كراثى **Leek green bile**

* صفراوى **Biliary**

* الفُرْبيون **Euphorbia resinifera (Berg.)**

Euphorbia marginata (Pursh.)

Fam Euphorbiaceae

يؤخذ من كلام ابن البيطار في المفردات أن الفربيون شبيهة الشكل بالقِنّا، ذات عساليج (قضبان، أغصان) عراض كالألواح، مثل عساليج الخسّ، بيض، لها شُعَب، وهي مملوءة لبنا. ويطلق الفربيون أحياناً على هذا اللبن أو على صمغ هذه الشجرة.

والنبات بصفة عامة سام، وخاصة الأجزاء الهوائية والمواد اللبنية الموجودة في السيقان والأوراق.

* **فلونيا:**

معجون نسب إلى فيوليون الطرسوسي، (القلنسي، وانظر الكليات

لابن رشد ٤٧٥ طبعة الهند) والقانون لابن سينا، المقالة الأولى من الكتاب الخامس ص ٣٣١، ٣٣٢).

* **فولة مصرية**: راجع باقلاء

* **قواثو**:

رسم في المطبوع «قواثوا» وهذه الألف الأخيرة زائدة (كما نرجح). وفي أقرباذين القلنسي كتبها «قوناتو» وأفاد المحقق في الهامش أن الكلمة غير واضحة في جميع النسخ، وأنها في القانون قواثوس. وأفاد القلنسي أنها أوقية ونصف.

* **قيراط**

في أقرباذين القلنسي أنه ٤ شعيرات.

* **الكَرَفْس Apium graveolens L. - Umbelifarae**

النبات من الفصيلة الخيميّة، طوله من ٣٠-١٠٠ سم. ساقه منتصبة اسطوانية جوفاء، أوراقه داكنة خضراء خماسية التفصيص، أزهارها بيضاء على شكل خيمات. الثمار رمادية اللون تميل إلى الأخضر الداكن.

الجزء المستخدم: الثمار - الجذور - الأوراق.

المحتوى: زيت دهني - زيت طيار، مواد مرّة (كومارين)

الاستعمال: طارد للرياح، خافض للحمّى، مقوّ ومُشَهّ، مدرّ للصفراء.

* **مثرو ذيطوس**

ترياق عمله متروذيطول. الملك، وسماه باسم نفسه.

*** مزاج Temperament**

يقول منفرد أولمان في كتاب الطب الإسلامي: كل ما يوجد في دنيا النموّ والانحلال (أي الكون والفساد) نشأ في الأصل من الأركان - أو الاسطقسات - الأربعة عندما امتزج بعضها بالآخر بمقادير مختلفة ونسب متفاوتة.

وتسمى علاقة اختلاط الأركان في الأجسام العضوية بعضها بعضا«بالمزاج - Krasis». فالجسم الذي تكون الأركان موجودة فيه بالتساوي يسمى جسما متزنا أو (معتدلا). أما إذا كانت أركانه موجودة بنسب غير متساوية فيقال انه جسم غير متزن (خارج عن الاعتدال). فإذا كان ركن النار غالبا فيه فإن المزاج يسمى حارا. أما إذا كان ركن الماء غالبا عليه فإن المزاج يسمى باردا. وإذا كان ركن الماء غالبا مع ركن النار فإن المزاج يدعى «رطبا حارا» وهكذا دواليك. وعلى هذا توجد تسعة أمزجة، واحد منها «معتدل» وثمانية أمزجة «خارجة عن الاعتدال»، ومن الأخيرة أربعة مفردة وأربعة أخرى مركبة.

*** مَشْكَطَرا مْشِير**

(ويرسم أيضا براء مفتوحة فقط ليست ممدودة بالألف).

قال عنه ابن رشد في الكليات ص ٢٦٧ «قوى هذا الدواء هي بعينها قوى الفوذنج البري إلا أنه ألطف منه..».

وقال ابن البيطار: هو الفودنج البستاني، وكان شجارو الأندلس أعرف بهذا الدواء من غيرهم.

وقال في مادة «فودنج»: «.. وأما دِقْطَمْنُن (diktamnon) وهو الذي يسميه بعض الناس غليخن أغريا، وهو المشكطرامشير - فإنه ينبت بالجزيرة التي يقال لها اقريطي.

حرّيف جدا. شبيه بغليخن إلا أن ورقه أبيض.

الحقيقي منه ما تسميه أطباء الأندلس وشجاروها باللطينية - وهي عجمية الأندلس -: بُلايُهْ جَرْبونُه أي غبيرة الأيّل، وهو مشهور عندهم بما ذكرته.

ومنه نوع آخر يعرف بالكاذب أو المزوّر (فسودو دقطمنن)، ورأيت منه نوعاً ثالثاً يسمى بالنرجيل.

* المقعدة **Anus**

* الهيْضة العظيمة **Cholera**

* يابس **Solid (Hard)**

الفهارس

(١) الآيات القرآنية

سورة الأنعام، الآية ١١٩

وقد فصل لكم ما حرَّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه.. ص٢٤٣، ٢٧٦

(٢) فهرس الأعلام

(لا يعتد بلفظ ابن ولا بأل التي للتعريف)

أبناء الخليفة: ٢٥٤

إبراهيم مدكور: ٢١٣

أوديموس: ٢٦٥

جالينوس: ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥١-٢٥٣، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧٣

جورج شحاتة قنواتي: ٢١٣

حنين بن إسحاق: ٢٣٥

ديموقراطيس: ٢٤١، ٢٧٠، ٢٧٣

ابن زهر: ٢٢٥

زينب الخضيري: ٢١٤

ابن سرافيون: ٢٢٩

سعيد زايد: ٢١٣، ٢١٤

السمرقندي (محمد بن علي بن عمر، نجيب الدين): ٢٢٨

ابن سينا: ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٦٧، ٢٧٥

علي بن العباس المجوسي: ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٧٤

(٣) فهرس الأدوية والنباتات الطبية

شاهترج: ٢٧٥

شحم الحنظل: ٢٣٤

شراب التفاح: ٢٧٥

شوكران: ٢٣٥

فربيون: ٢٤٩، ٢٧٤

فلونيا: ٢٦٢

كرفس: ٢٦٦، ٢٧٤

ماء الأسارون = أسارون

ماء الأصول = أصول

ماء الشاهترج = شاهترج

ماء الكرفس = كرفس

مثروديطوس: ٢٥٣

مشكطرامشير: ٢٧٤

أسارون: ٢٦٦

أصول: ٢٧٥

أفيون: ٢٣٥، ٢٤٩، ٢٦٢، ٢٧٤

بنج: ٢٢٩، ٢٧٤

بيش: ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٥٠

جعدة: ٢٧٣

الخشخاش الأسود: ٢٢٩

دواء المِسك: ٢٣٥

رماد السراطين = سراطين

زرانيخ: ٢٦٣

سراطين: ٢٧٤

سقمونيا: ٢٣٤

سكنجبين ساذج: ٢٧٤

سكنجبين عنصلي: ٢٧٤

(٤) فهرس المصطلحات الطبية والأمراض

احتمال (tolerance) : ٢٤٠

اختناق الرحم: ٢٥٠

الاسطقسات: ٢٤٩

الاستسقاء: ٢٦٣، ٢٧٤

الأغذية الدوائية: ٢٥٨

انقطاع الصوت: ٢٧٥

البَرص: ٢٦٣

البلغم: ٢٥١، ٢٦٤

البهق: ٢٦٣

التشنج: ٢٦٢

الجذام: ٢٥٠، ٢٦٣

حمى الدق: ٢٦٠

حميات البلغم: ٢٦٥

حميات السوداء: ٢٦٥

الخدَر: ٢٦٢

الخلط البلغمي: ٢٦٠

الخلط السوداوي: ٢٦٠

الرعشة: ٢٦٢

ذات الجنب: ٢٥٩

ذات الرئة: ٢٦٢

السحج: ٢٦٣

السكتة: ٢٥٠، ٢٦٢

السوداء: ٢٥١، ٢٦٤

السوداء المحترقة: ٢٦١

الصرع: ٢٥٠، ٢٦٢

الصفراء: ٢٥٠، ٢٥١، ٢٦٠

الصفراء الزنجارية: ٢٦٠

الصفراء الكراثية: ٢٦٠

صلابة الكبد: ٢٦٤

عسر الولادة: ٢٦٥

الفالج: ٢٥٠، ٢٦٢

الفعل بجملة الجوهر: ٢٥٨

القوباء: ٢٦٣

الكيفيات الأربع: ٢٥٨

اللقوة: ٢٧٥

النافض: ٢٧١

الهيضة: ٢٦١، ٢٧٤

اليرقان: ٢٧٥

(٥) فهرس المكاييل والموازين

أوقية: ٢٧١، ٢٧٤

باقلّاء: ٢٧٥

بندقة: ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٥

ترمسة: ٢٧٤، ٢٧٥

دانق: ٢٧٤، ٢٧٥

درخمى، درخم، درهم: ٢٧١، ٢٧٤

فولة مصرية: ٢٧٤

قواثو: ٢٧٢

قيراط: ٢٧٢

مثقال: ٢٧٤، ٢٧٥

(٦) فهرس الأمكنة والبلدان

الإسكريال: ٢١٣

بلاد الصقالبة: ٢٧٣

بنطش: ٢٧٣

رومة: ٢٦٥

قريطش: ٢٧٣

مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٢١٣

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: ٢١٤

الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٢١٣

(٧) أسماء الكتب

أقرباذين القلنسي للسمرقندي: ٢٢٨

أقرباذين الكفاية: ٢٢٩

الأدوية المفردة لجالينوس: ٢٣٣، ٢٥٢

بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد: ٢٤٣

الترياق لجالينوس: ٢٣٣، ٢٥٢

التيسير لابن زهر: ٢٢٥

القانون لابن سينا: ٢١٨، ٢٢٧

كامل الصناعة لعلي بن العباس المجوسي: ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٤٢، ٢٧٤

الكليات لابن رشد: ٢١٧

كناش ابن سرافيون: ٢٢٩

الملكي = كامل الصناعة

فهرس المحتويات

الموضـــــوع الصفحة

مقدمة [٥-١٧]

الطبعة السابقة للترياق ٢١٣

نماذج من تصحيفاتها ٢١٤

نقص وسقط ٢١٨

من أخطائها النحوية واللغوية ٢١٩

من أخطائها في تقسيم الفقرات ٢٢١

مميزات هذه الطبعة الجديدة ٢٢٢

كتاب الترياق في ضوء العلم الحديث [١٩-٤٢] .

الحاجة لتأليف الكتاب ٢٢٥

تعريف الترياق ٢٢٦

فعالية الترياق وكفاءته ٢٢٦

علي بن العباس واستيعابه لموضوع الترياق ٢٢٨

منهج ابن رشد في «الترياق» ٢٣٠

ترياق ابن رشد والعلم الحديث ٢٣٦

نصّ كتاب الترياق* [٤٥-٨١]

١، ٢: طلب إلى ابن رشد أن يثبت بالبرهان الطبي مواطن
استخدام الترياق، وآثاره على ما قرره الأطباء ٢٤٧
٣: ركب الأطباء الترياق ليشفي جميع السموم، خاصة الحيوانية . ٢٤٧
٤: للترياق منفعتان مجمع عليهما ٢٤٨
٥-٨: أثر الترياق كمركب شامل، ومقارنته بالعلاج المفرد
لعلاج نوع من السموم ٢٤٨
٩-١٧: منفعة الترياق في علاج الأمراض، وفي حفظ الصحة
ضد الأمراض ٢٥٠
مناقشة جالينوس وابن سينا ٢٥٢
إبطال الفكرة القائلة بأن من داوم على أخذ الترياق
لا ينفع فيه سم ٢٥٣
١٨، ١٩: أيهما أجدى في معالجة الترياق للسموم: أن يتركب
فقط من الأدوية الشافية للسموم؟ أو يتركب منها
ومن الأدوية الشافية للأمراض؟ ٢٥٦
٢٠: الترياق يشفي من السموم، ومن الأمراض المضاهية للسموم ٢٥٨
٢١: لكل عصر أمراضه الجديدة، وطرقه العلاجية ٢٥٨
٢٢، ٢٣: مؤهلات وشروط لازمة لكل من الطبيب
والمريض لاستخدام الترياق ٢٥٩

٢٤: مواضع استخدام الترياق كما ثبت بالتجربة ٢٦٠
استخدامه في أحوال سوء المزاج المادي وغير المادي ٢٦٠
القانون الطبّي في عصر ابن رشد ٢٦١
استخدام الترياق في الإسهال المزمن ٢٦١
٢٥: شفاء الترياق من أنواع النزيف ٢٦٢
نفعه في أمراض العصب ٢٦٢
نفعه في السحوج المزمنة ٢٦٣
نفعه في الجذام والأمراض الجلدية القبيحة ٢٦٣
٢٦: نفعه في أنواع الاستسقاء ٢٦٣
٢٧: استعماله في الأوجاع ٢٦٤
٢٨: استعماله في الحميات ٢٦٥
استعماله في الأورام ٢٦٦
٢٩: كيف يشفي الترياق وغيره من الأدوية؟ ٢٦٦
٣٠: مقادير شربات (جرعات) الأدوية بحسب الأمراض ٢٦٨
وجوب الاعتماد على التجريب في الأدوية ٢٦٨
أوفق الأسنان (الأعمار) لاستخدام الترياق ٢٦٩

* الأرقام الأولى هي ارقام الفقرات.

٣١: ضرورة الحذر الشديد في تحديد كمية جرعة الدواء،
وخاصة الأدوية المضادة لبدن الإنسان ٢٧٠
٣٢: كمية الترياق في كل مرض كما ذكرها جالينوس ٢٧٠
٣٣: الكميات كما حدّدها علي بن العباس ٢٧٤
٣٤: الكميات كما حدّدها ابن سينا ٢٧٥
٣٥: تحذير من استخدام الشباب الترياق ٢٧٦
٣٦: العلاقة بين الطب والفقه في بعض المسائل ٢٧٦
٣٧: سنّ الترياق ٢٧٧
٣٨: ختام ودعاء ٢٧٧

تعريف بأهم المصطلحات ٢٧٩
الفهارس ٢٩٣

أ. د. **أبو شادي الروبي**: أنا شاكر جداً للأستاذين والزميلين د. أحمد الجندي، والأستاذ عبدالحميد بسيوني لحسن العرض شكلا ومضمونا. والتعليقات والنقاش مفتوح للسادة الزملاء.

المناقشات

د. محمد بن شريفة:

شكرا سيدي الرئيس، أحب أن أقول قبل أن أبدأ كلمتي إنني إذا كنت حريصا على الإسهام في الكلام فليس لإظهار رأي، ولكن من قبيل الاستئناس والاستفادة من التدقيق الذي قام به الأخ الأستاذ المحقق عبدالحميد البسيوني، والذي يشير إلى أمر مهم، وهو أن إخراج النصوص، في غير النصوص الأدبية واللغوية، كإخراج النصوص العلمية، سواء إن كان في مجال الطب أو في مجالات أخرى محتاج بالضرورة إلى معرفة تامة باللغة العربية وأساليبها؛ لأن المتخصصين اليوم عمومهم لم يعودوا بالمستوى المطلوب، ولذلك فإن تحقيق هذه النصوص لا يمكن أن يتم إلا بالتحقيق المزدوج أو المشترك بين واحد في العلم الذي ينشر فيه النص وواحد من المفكرين في اللغة العربية والعارفين بأساليبها، ولهذا كانت هذه التجربة تجربة نموذجية رائدة. وأعتقد أن هذه الرسالة في الترياق موجهة إلى بعض الموحدين، يمكن أن يكون الأمير الذي كان صاحب قرطبة والذي كان مع ابن رشد، ويمكن أن يكون غيره، كُتِبَتْ جوابا على طلب من هذا الأمير أو السيد كما كان ينعته الموحدون، يسمون الأمير باسم السيد، هذه الرسالة نشرت في القاهرة ونشرت في أسبانيا في وقت واحد، النشرة الأسبانية قامت عليها عميدة في كلية في سرامنكا في أسبانيا، وجاءت هذه النشرة مليئة بالأخطاء، طبعا هذا شيء متوقع لأن الناشرة - فضلا عما ذكرناه من قضية ضرورة ازدواج التحقيق في هذا المجال - مستعربة متوسطة الحال، ليست من هؤلاء المستشرقين الأكفاء، بعض المستشرقين القدماء كان منهم محققون فعلا، لذلك جاءت هذه الرسالة في مخطوط في طبعة سرامنكا مليئة بالأخطاء، لدرجة أن ابننا الروحي الأستاذ جمال

الدين العلوي، في عمله البيبلوجرافي الذي أسماه المنشق الرشدي، نعتها بكونها ليست تحقيقا، إنما هو تلاعب وعبث بالنصوص العربية. وفي هذا الوقت كانت الافتتاحية تبدأ بأما بعد حمد الله، وليس حمدا لله، والعطف عليها والصلاة والسلام على رسول الله. أريد بعد هذا أن أنوه حقيقة تنويها خاصا بالمجهود الذي بذله، والذي رأيناه من خلال الشاشة، والذي يقوم به الدكتور أحمد رجائي الجندي في تحديث الطب القديم، وأود أن أضيف: الأعمال التي قامت بها المنظمة ككل هي أعمال جليلة وينبغي أن تنشر وتوزع على أكبر قدر في كليات الطب، لا سيما في العالم العربي الشرقي، لأن مسألة العجز في الأداء والتعبير عن الطب اليوم ظاهرة غريبة، ونشهد الأطباء عندما يتكلمون في شرح مسائل بسيطة حول بعض الأمراض في التلفزيون أو في الإذاعة كيف يعجزون عن شرح هذه الأمراض للأسماع، وهذه قضية ما أظن أنها تنتهي إلا بإعطاء الأمثلة الناجحة كالمثال الذي رأيناه، وشكرا سيدي الرئيس.

رئيس الجلسة: شكرا للدكتور محمد بن شريفة.. والسؤال للدكتور محمود مكي فليتفضل:

الدكتور محمود مكي:

أولا أود أن أهنىء الأستاذين الكريمين والعالمين الفاضلين على هذا العمل الذي تعاونا فيه، وكما أشار الدكتور محمد بن شريفة الآن أنه ضروري أن يكون تحقيق مثل هذه النصوص قائما على عمل مشترك بين لغوي ضليع في معرفة اللغة ومعرفة التراث وفي معرفة التحقيق مثل الأستاذ عبدالحميد البسيوني وعالم متخصص في دقائق العلم نفسه،

وفي هذه الحالة العلم متعلق بالصيدلة والكيمياء والطب عامة مثل د. أحمد الجندي.

هناك مسألة أخرى أود أن أبدي فيها رأيا ولا أصر عليه، إنما هو عرض خطر لي فيما يتعلق بما ذكره الأستاذ عبدالحميد بسيوني حول تصحيحه لبعض ما ورد في النص الذي قدمه من قبل الأب جورج قنواتي والدكتور سعيد زايد، وهو فيما يتعلق بلفظ الرتيلات التي كتبت في هذا النص المورتيلات، الذي يقول فيه مصل النحل والزنابير والعقارب التي تسمى الرتيلات القتالة وهي الرتيلاوات كما اقترح، يخطر على بالي أن كلمة المورتيلات قد تكون صحيحة، ويظهر فيها أن هذه الكلمة ربما كانت الكلمة الرومانسية اللاتينية الدارجة التي كان يستخدمها كثيرا الأندلسيون والتي نراها بكثرة في كتب العقاقير وكتب الطب القديمة وفي هذه الحالة تكون كلمة المرتيلات هي كلمة مأخوذة من مرتال أضيفت إليها الألف والتاء الدالة على الجمع المؤنث، وكلمة مرتال وهي مستخدمة حتى الآن بالذات في اللغات الأوروبية بمعناها القتالة، فهي مشتقة من كلمة مرتيل يعني الموت، وأما قلب مرتال إلى مرتيل فهي ظاهرة لغوية أيضاً شائعة في اللغة الأندلسية، وطبعا هذه الظاهرة يعرفها الدكتور محمد بن شريفة، نجدها في أسماء الأعلام، وهي أن تتحول الكسرة إلى ياء، ومن هنا ربما كانت المرتيلات مقابلة تماما لكلمة القتالات، وهذا رأي كما قلت، وربما الأستاذان المحققان الجليلان على حق في تصويبهما، لأنه وردت كلمة الرتيلاوات في نص سابق، ولهذا أيضا قد تكون تحريفا لهذه الكلمة، ولذلك أنا أطرح هذا الرأي لا على سبيل الإصرار عليه ولكن كشيء أقترحه وأقدمه، وربما يكون فيه بعض الصواب، عمل التحقيق في الحقيقة صعب يحتاج إلى أدوات كثيرة، ولهذا فنحن نحيي هذا العمل الذي قام به الأستاذان ونرجو أن يتبعه كثير من هذه الأعمال وأن يقوما بنشره، ليس فقط في

العالم العربي كما قال الدكتور بن شريفة، وإنما أيضا أن يترجم إلى اللغات الأوروبية، حتى يستفاد منه في النطاق العالمي، وبالفعل من هنا يرجعون إلى طب الأعشاب وطب العقاقير والأدوية المفردة التي كان ابن رشد من أول من نبه عليها، كان يقول إن العلاج ينبغي أن يعتمد على مواد طبيعية ما دام ذلك ممكنا، وفي هذه الحالة أيضا يلجأ دائما إلى الأدوية المفردة قبل أن يلجأ إلى الأدوية المركبة وهكذا، وهذا مبدأ سليم من الناحية العلمية، والطب كله يرجع إلى هذه المبادىء التي وضعها أسلافنا من هؤلاء الأطباء العرب، وشكرا سيدي الرئيس.

الدكتور أبو شادي الروبي:

شكرا كثيرا للمعلقين على المحاضرتين فقد زادانا إثراء وعلما. أنا أذكر بالمناسبة كلمة مشهورة للرازي: لا تعالج بدواء ما قدرت أن تعالج بغذاء، ولا تعالج بدواء مركب ما قدرت أن تعالج بدواء مفرد. والأطباء الكبار العرب كانوا دائما مقلين في استعمال الأدوية، وكانوا حذرين في استعمال الأدوية.

د. محمد حجي:

بسم الله الرحمن الرحيم. أشكر الأخوين محرري الكلمتين على عملهما الجليل وأقدم إضافة تاريخية بسيطة وبعدها أقدم سؤالا. ابن رشد على مايظهر كتب هذه الرسالة في مراكش، لأنه كان طبيبا للموحدين بعد شيخه ابن طفيل، فلذلك نجد الترياق متمكنا في مدينة مراكش إلى الآن، ومن الناحية التاريخية نجد في العصر السعدي، وبخاصة في عصر حمد بن منصور الذهبي، يعني في بداية القرن الحادي عشر الهجري، نجده يستعمل الترياق بكثرة، وكان له أطباء مختصون بعمل الترياق، وكانوا يستعملونه كدواء ووقاء ضد الوباء، إنه كان هناك في ذلك الوقت وباء عظيم استمر سنوات، إلا أنهم كانوا يستعملون الترياق. خرج المنصور

من مراكش إلى فاس آخر الصحراء وكتب إلى ولده الخليفة في مراكش رسالة يقول فيها: كل رسالة وردت عليك من أي ناحية لا تفتحها ولا تقرأها حتى تدخل هذا الترياق. إن الترياق استمر في مراكش ثلاثة قرون، واليوم ما زلنا نجدهم في مراكش يستعملون الترياق. أما السؤال فهو: هل ما زال الترياق معروفا طبيا ومعمولا به في جهة ما؟ وشكرا.

الدكتور أحمد الجندي:

بالنسبة للترياق لا يوجد بهذه الصورة على الإطلاق من الناحية الصيدلانية، لكن ظهرت مستحضرات صيدلانية تستخدم لأجل علاج السموم، أعني أنه لا يوجد الترياق بهذا المفهوم الموجود في كتب جالينوس أو غيره أو ابن رشد بهذه الصورة على الإطلاق، لأنه نوع من التخمر يمكث حوالي ٢٠ سنة، أقل شيء عندهم كان ٥ سنين، ويُبدأ بعد ذلك في استخدامه إلى عشرين، وبعد العشرين يبقى إلى الأربعين، وبعدها يفقد صفته كترياق وهكذا، لكن لا يستخدم في حفظ الصحة.

د. محمد حجي:

لو سمحت، أحب أن أضيف أن بين الأطباء الذين كانوا في بلاط ابن منصور عبدالوهاب الوزير الغساني، وله كتاب مهم في الأعشاب، وقد نشره أخيرا، حديقة الأزهار فيما أدى من طب الأعشاب للترياق.

د. أحمد الجندي:

الترياق على الأقل فيه ٩٠ نباتا، والنباتات كثيرة جدا، موجودة، وهذه النباتات جزء منها الذي يدخل في الترياق، نحن حاليا نستخدمها في مركز الطب الإسلامي لعلاج بعض الأمراض وليس بالأسلوب الذي كانوا هم يستخدمونه، ولكن أقول هذه النباتات ذكرت في مواضع

مختلفة تحت أمراض مختلفة أيضا، ونحن حاليا نستخدمها في علاج بعض الأمراض، وشكرا.

د. حسن الشافعي:

هذه نقطة بسيطة، وأنا واحد من الذين استمتعوا هذه الليلة بهذا العرض الرائع لكتاب الترياق، وكذلك التعديلات العلمية المفيدة التي تفضل بها الأستاذان المغربيان والأستاذ المتغرب، ولكن هناك أمران: الأول: كلمة د.محمد بن شريفة، وهي كلمة «بعد حمد الله» ليست فقط للمقارنة في افتتاحيات كتب ابن رشد الأخرى التي تتفق كلها، وإنما أيضا الفاء لا بد أن تعقد بعد «أما بعد»، فهناك أكثر من دليل على أن صحة العبارة: بعد حمد الله وليس حمدا لله. ولكن آخر كلمة في الكتاب أود أن أطرح رأيا على طريقة د.محمود مكي وليس تصحيحا، وهي الحرمية أنا أظنها الحرمة فلم تذكر الحرمية. (يرد الدكتور مكي): [الحرمية موجودة، والحرمية بكسر الحاء]، وهناك شفاه الدواء أظنها شفاء الداء، وشكرا.

د. عمار الطالبي:

أشكر الأستاذين الكبيرين على هذا النموذج من التعاون العلمي وهو قليل، وأشير إلى مسألة شكلية فقط، في الحقيقة ابن رشد لم يسم أي مؤلف من مؤلفاته رسالة، إما مقالة أو تلخيص أو شرح أو كتاب مستقل، ولكن أحسنتم عندما أعدتم النظر في مقالة واحدة وهي مقالة الترياق، ولكن كما أشار الدكتور محمود مكي للتأكد من إصلاح اللفظ يستحسن أن يستأنس بالمخطوطة الأصلية ربما كانت هذه القراءة قراءة صحيحة وجيدة بناء على الأصل، لا بناء على قراءة الأصل، وهي ما نشر، فهل يمكنكم الحصول مثلا على مخطوط الترياق؟ وهذا أحسن

للتأكد، ربما كانت كلمة مستعملة عن هذه الطريقة في الأندلس، ونحن نؤكد معا اللغة المستعملة نفسها، بأن هناك لغة عربية لم تكتب في القواميس، ولكن يجوز في الملحق لا نجد كلمات كثيرة في القواميس خاصة الكلمات الاصطلاحية، وأنتم أحسنتم عندما قارنتم بين اللغة العلمية القديمة والألفاظ الحديثة بالفهرس في هذا التحقيق للنص، وشكرا.

الأستاذ عبدالحميد بسيوني:

لو كنت أعلم أن هذه الرسالة سيكون لها بداية هذا الأثر بأن يشترك العلماء الأجلاء في إثرائها لأكثرت من خطئي. وقد عرضت نموذجا واحدا من أخطاء الطبعة السابقة، لأني أكره الاستعراض المتكثر، وقلت من البداية هذه قراءة وليست تحقيقا. النماذج الأخرى التي عرضتها المقدمة لأخطاء القراءة نماذج قليلة بجانب العمل الداخلي، لأنّ تتبع الأخطاء الآن أصبح مزعجا وعسيرا، الأمر هنا سهل، كتاب طبي ممكن نصلحه، فكيف إذا حدثتكم عن دلائل النبوة للبيهقي، وهو كتاب أعيد طبعه سبع مرات في سبع مجلدات، لو كان يستجاز في العلم أن يجلد الدخلاء عليه لاقترحنا ذلك، لما نال هذا الكتاب من تحريفات لا نظير لها فيما قرأنا. الاقتراح الذي اقترحه الدكتور محمود في المرتيلات كنت أتمنى أن يكون صحيحا لولا أنني وجدت أن هذا هو المصطلح الطبي، إن كلمة مرتال فعلا اقتراح جميل من ناحية إنها لغة أندلسية، لكن هذا مصطلح موجود عند ابن سينا وموجود بنفس الشكل في الكتب المغربية، من أجل هذا أنا قلت الرتيلاوات، وأنا لست أيضا متمسكا بها مثلكم. وشكرا لكم.

رئيس الجلسة: أ.د. أبو شادي الروبي:

المحاضرة التالية عن النبات الطبي خاصة عند ابن رشد وابن سينا، والمتكلم هو أ.د.إبراهيم بن مراد، كلمات قليلة للتعريف بالأستاذ، فقد تخرج من كلية الآداب بتونس، وهو أستاذ بجامعة تونس الأولى، ورئيس جمعية المعجمية العربية بتونس، وعضو بمجمع اللغة العربية بدمشق والمجمع العلمي العراقي، وهو مؤلف لجملة من الكتب في اللغة وتاريخ العلوم، تفضل يا أخي.

د. إبراهيم بن مراد: شكرا سيدي الرئيس... ثم ألقى بحثه.

النبات الطبي بين ابن سينا وابن رشد
أو
علم الأدوية المفردة في كتابي القانون والكليات

الدكتور/ إبراهيم بن مراد

النبات الطبي بين ابن سينا وابن رشد
أو
علم الأدوية المفردة في
كتابي القانون والكليات

دكتور ابراهيم بن مراد
تونس

١ - تقديم:

يُعَدُّ النبات أهم المواليد الثلاثة: النبات والحيوان والمعادن، في صناعة الأدوية. ولتلك الأهمية أسباب منها: كثرته وتنوعه ويسر تناوله، لقرب مأخذه من الإنسان، وسهولة استنباته، وسرعة نفعه. ولذلك كثر اهتمام الأطباء والصيادلة العرب به فحفلت كتبهم بالحديث عنه وخاصة في باب من التأليف قد برعوا فيه سموه الأدوية المفردة. فإن للنباتات في مؤلفاتهم في الأدوية المفردة المنزلة الكبرى حتى صارت تلك المؤلفات في النبات أساسا وصار العالم منهم إذا كَبُر شأنه في علم الأدوية المفردة نُعِت بالنباتي[١] أو العشّاب[٢]. فالصلة بين «النبات الطبي» وعلم الأدوية المفردة في التراث العلمي العربي إذن هي صلة الفرع بالأصل.

وعلم الأدوية المفردة علم مستحدث في الثقافة العربية. فهو من العلوم الدخيلة التي انتقلت إلى العرب بالترجمة، وقد انتقل إليهم من

الثقافة اليونانية وخاصة بترجمة كتابين كان لهما أعمق الأثر في نشأة هذا العلم وفي التأليف فيه عند العرب، هما كتاب «المقالات الخمس» ليدانيوس ديوسقريديس العين زربي (من القرن الأول الميلادي)، وكتاب «الأدوية المفردة» لجالينوس البرغامي (من القرن الثاني الميلادي).

وقد أشاد العلماء العرب المؤلفون في الأدوية المفردة بفضل هذين العالمين اليونانيين، فقال فيهما ابن الجزار القيرواني (ت ٣٦٩هـ/ ٩٧٩-٩٨٠م): «إن هذين الرجلين لا نهاية وراءهما ولا غاية بعدهما فيما عانياه من هذا الفن»[٣]، وقال فيهما ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م): «إنهما مدد هذا العلم لكل من انتحله وقدوة لمن علمه وحجة على من جهله»[٤]. على أن للعرب إضافات كثيرة إلى ما وجدوه في كتابي ديوسقريديس وجالينوس، سواء في عدد الأدوية النباتية إذ اكتشفوا نباتات جديدة وأنواعا جديدة من نباتات قديمة فأضافوها إلى ما انتهى إليهم من علم السابقين، أو في التوسع في تبيان خصائص الأدوية النباتية ومنافعها[٥].

وقد اتّبع العالمان اليونانيان منهجين مختلفين في التأليف في الأدوية المفردة وفي الحديث عن النباتات الطبية. فإن منهج ديوسقريديس قد قام على خاصيتين: نسمي أولاهما: «تخصيص التأليف» لأن كتابه كلّه مخصص للقول في أعيان الأدوية وأشخاصها، ونسمي ثانيتهما «شمولية القول». ذلك أن ديوسقريديس قد بنى حديثه عن النباتات الطبية على ثلاثة أركان تكاد تكون قارّة في كتابه كله، الأول: هو التعريف اللغوي الموجز بالدواء فيذكر مختلف التسميات التي يعرف بها الدواء في أماكن مختلفة من بلاد اليونان، والركن الثاني: هو الوصف العلمي الدقيق لبنية النبات، وقد يضيف إلى هذا الوصف معلومات عن المحيط الطبيعي الذي يؤثر في النبات، وثالث

الأركان: هو الحديث الموسّع عن خصائص الدواء ومنافعه العلاجية[٦].

وقد خالف جالينوس ديوسقريديس فبنى منهجه على خاصيتين أخريين: الأولى هي «تعميم التأليف»؛ فإن كتابه في الأدوية المفردة في إحدى عشرة مقالة، قد اشتملت المقالات الخمس الأولى على مسائل عامة في طبائع الأدوية المفردة وأفعالها، واشتملت المقالات الست الباقية على قوى أعيان الأدوية ومنافعها العلاجية؛ والخاصية الثانية هي «تخصيص القول» في أشخاص الأدوية النباتية، فقد أسقط جالينوس الركنين الأول والثاني المعتمديْن في تعريفات ديوسقريديس، أي الركن اللغوي وركن الوصف العلمي واحتفظ بالركن الثالث، أي ذكر المنافع العلاجية.

والفرق بين العالمين في منهج التأليف ناتج عن اختلاف بين مذهبيهما في العلم. فإن ديوسقريديس كان يجمع بين الطب والعلم الطبيعي، وكانت معرفته بالأدوية النباتية قائمة على الملاحظة العلمية والتجريب. فمن المعلوم عنه أنه قد طاف في أصقاع كثيرة وأنه كان ينصرف في الأماكن التي يحل بها إلى التعشيب، وكان يدوّن في النبات ملاحظاته ويرسم أعيانه تصويراً[٧]. ولذلك فإن حديثه عن الأدوية المفردة هو حديث العليم بتسمياتها في الأماكن التي تنبت فيها، وبصفاتها وخصائصها العلمية. أما جالينوس فقد كان يجمع بين الطب والفلسفة، بل إنه كان يخضع الطب للفلسفة وكان يرى «أن الطبيب الفاضل فيلسوف»[٨]. وقد ألّف في الطب وفي الفلسفة[٩] وحاول التوفيق بين الرأي والقياس - وهما من أعمال الفلسفة - والتجربة، وهي من توابع الطب، ولذلك فإنه تحدث في الطب من حيث هو باب من أبواب الحكمة، وتنازع بحثه فيه القياس والاستدلال البرهاني، والتجربة. ولذلك فإن علم الأدوية المفردة عنده لم يكن علماً مستقلاً

مثلما كان عند ديوسقريديس، بل كان مبحثاً من مباحث الطب الذي كان يعد فرعا من فروع الفلسفة.

وقد أثر المنهجان: الديوسقريديسي والجالينوسي في اتجاهات التأليف في الأدوية المفردة عند العرب منذ النصف الأول من القرن الثالث الهجري، فظهرت عندهم ثلاثة اتجاهات مرتبطة بالمنهجين المذكورين: الاتجاه الأول ديوسقريديسي محض، قد خصّ أصحابهُ الأدويةَ المفردة بكتب مستقلة وتوسعوا في الحديث عنها واعتمدوا الأركان التي اعتمدها ديوسقريديس في تعريفاته، لكنهم قد أضافوا إليها وطوروها. فهم إذن قد جمعوا بين «تخصيص التأليف» و«شمولية القول». والاتجاه الثاني جالينوسي محض، لم يخص أصحابهُ الأدويةَ المفردة بكتاب مستقل بل خصوها بباب ضمن تأليف عام في الطب، ولم يتوسعوا في الحديث عنها بل اقتصروا على ذكر قواها ومنافعها العلاجية، وهم إذن قد جمعوا بين «تبعية التأليف» و«تخصيص القول». والاتجاه الثالث توفيقي: قد جمع أصحابهُ بين تبعية التأليف - إذْ تحدثوا عن الأدوية المفردة في باب ملحق بتأليف عامّ في الطب - وشمولية القول لأنهم توسعوا في الحديث عنها - وخاصّة من حيث الصفات والخصائص - ولم يقتصروا على ذكر منافعها.

ونريد بعد هذا أن نحلل مَنْهَجَيْ أبي علي بن سينا (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م) وأبي الوليد بن رشد (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) في التأليف في الأدوية المفردة وفي الحديث عن النباتات الطبية، اعتماداً على كتابيْهما «القانون في الطب» و«الكليات في الطب».

٢ - في تبعية التأليف وتخصيصه:

أول ما يلاحظ عند النظر في أبواب كتاب القانون وأبواب كتاب الكليات هو اتفاق مؤلفيهما فيما سميناه «تبعية التأليف» في الأدوية

المفردة؛ فقد قسم ابن سينا كتابه إلى خمسة «كتب» خص الأدوية المفردة بثانيها[١٠]، وقسم ابن رشد كتابه إلى سبعة «كتب» جعل خامسها «في الأدوية والأغذية»[١١] على أن هذا «الكتاب» ليس خالصاً للأدوية المفردة لأن ابن رشد ألحق بها «القول في قوانين التركيب»[١٢] أي كيفية تركيب الأدوية، أما ابن سينا فقد خص الأدوية المركبة بالكتاب الخامس من القانون[١٣].

فالأدوية المفردة إذن عند عالمينا مبحث ملحق بالطب متمم له وليس أصلاً من أصوله أو علماً يُبْحَث فيه لذاته ويفرد بالتأليف. وهما - إذن - بهذا المنحى متفقان في الانتماء إلى المنهج الجالينوسي القائم على اعتبار الطب جزءاً من الحكمة - فهو باب من الفلسفة - واعتبار الجزئيات في الطب - مثل الأدوية المفردة والأدوية المركبة - مندرجة في كليات أعم منها. وهذا المنزع ظاهر في كتاب القانون. فإن ابن سينا قد رامَ فيه الجمع بين النظري والعملي من مباحث الطب، والنظري عنده يشمل الكليات، والعملي يشمل الجزئيات، لكن العملي نفسه لا يخرج عن دائرة العلم النظري، وقد نبه إلى ذلك في مقدمة الكتاب بقوله: «إذا قيل إن من الطب ما هو نظري ومنه ما هو عملي فلا يجب أن يظن أن مُرادَهم فيه هو أن أحد قسمي الطب هو تعلم العلم والقسم الآخر هو المباشرة للعمل كما يذهب إليه وَهْمُ كثيرٍ من الباحثين عن هذا الموْضع، بل يحق عليك أن تعلم أن المراد من ذلك شيء آخر وهو أنه ليس واحدٌ من قِسْمَيْ الطب إلا عِلماً، لكنْ أحدُهما علم أصول الطب والآخر كيفية مباشرته، ثم يخص الأول منهما باسم العلم أو باسم النظر ويخص الآخر باسم العمل، فنعني بالنظر منه ما يكون التعليم فيه مفيد الاعتقاد فقط من غير أن يتعرض لبيان كيفية عمل (...) ونعني بالعمل منه لا العمل والفعل ولا مزاولة الحركات البدنية بل القسم من علم الطب الذي يفيد التعليم فيه رأيا، ذلك الرأي متعلق

ببيان كيفية عمل(. . .). فإذا علمت هذيْن القسميْن فقد حصل لك علم علميّ وعلم عَمَليّ، وإن لم تعمل قط»[١٤]. ويلاحظ في هذا التصنيف القائم على النظري والعملي - الذي يعد بدوره جزءاً من النظري - أثر أرسطو في تبويبه للعلوم المكونة للفلسفة.

على أن مذهب ابن رشد أقرب إلى مذهب أرسطو. فهو ينطلق من ربط الطب - بمختلف مباحثه - بغيره من «الصنائع الفكرية»[١٥] - فينزله بذلك تنزيلا عاما ويفقده الخصوصيّة - ويقسّم النظر فيه إلى مثل ما تقسّم إليه تلك الصنائع من الأقسام، وهي ثلاثة: **الأول** هو معرفة الموضوعات والمبادىء، **والثاني** هو معرفة الغايات المطلوب تحصيلها بالموضوعات، **والثالث** هو معرفة الآلات التي تحصل بها الغايات[١٦]. وتوافق القسم الأول في الطب معرفة الأعضاء التي يتركب منها بدن الإنسان، أي علم التشريح، ويوافق القسم الثاني حفظ الصحة وإزالة المرَض، ويوافق القسم الثالث الآلات التي تُحْفَظُ بها الصحة ويزال المرض، أي علم الأدوية. وأثر هذا التقسيم بارز في تبويب «كتب الكليات». فإن الكتاب الأول - «تشريح الأعضاء» - يوافق القسم الأول، والكتاب الخامس - «الأدوية والأغذية» - يوافق القسم الثالث، وأما بقية «الكتب» - وهي (٢) «الصحة»، و(٣) «المرض»، و(٤) «العلامات»، و(٦) «حفظ الصحة»، و(٧) «شفاء الأمراض» - فتوافق القسم الثاني. ويلاحظ أن هذا التبويب موجود بحذافيره عند الفارابي في رسالته «في الرد على جالينوس فيما ناقض فيه أرسطوطاليس لأعضاء الإنسان»[١٧]. وفي ذلك دلالة واضحة على صلة التصور الرشدي للعلاقات بين أجزاء الطب وبينها وبين «العلوم الفلسفية» بمذهب المعلم الأول، أرسطوطاليس.

ثم إن ابن رشد قد نزّل الأقسام والأصناف المذكورة تنزيلًا آخر غير بعيد عما نجده عند ابن سينا، هو تنزيل بحسب تقسيم العلم إلى

نظري وعملي. وقد ظهر في هذا التقسيم أيضا ربطه الطب بالفلسفة. فإن القسم النظري في الطب يشمل عنده «العلم الطبيعي»، وهذا العلم «نتسلم منه كثيراً من أسباب الصحة والمرض ولا سيما الأسباب القصوى كالاستقصات وغيرها»[١٨]، وهو علم مشترك بين الطبيب وصاحب العلم الطبيعي «إذْ كان بدن الإنسان أحد أجزاء موضوعات صاحب علم الطباع»[١٩]. فالقسم النظري من الطب إذن جزء من أجزاء الفلسفة. وأما القسم العملي فمنه «صناعة الطب التجريبية» و«صناعة التشريح»، وتندرج في الأولى «معرفة قوى أكثر الأدوية»[٢٠]. وفي هذه العلاقة بين «معرفة قوى الأدوية» و«صناعة الطب التجريبية» إقرار بأن علم الأدوية المفردة قائم على التجريب. وقد أكد ابن رشد ذلك في قوله: «إن الذي يدرك منها [الأدوية] بالقياس نَزْر بالإضافة إلى ما يحتاج من ذلك»[٢١]. لكنَّ الوقوفَ على اليقين في جميع أجزاء الأدوية بالتجربة صَعْب لأن الصناعة طويلة والعمر قصير. لذلك وجب على صاحب «صناعة الطب التجريبية» أن يأخذ مبادىء صناعته «من حيث هي مشهورة» وأن يستغل الجزء القياسي منها: «ولما كان صاحب الصناعة ليس يمكن (...) أن يعلم المبادىء المتسلّمة في تلك الصناعة بل إن كان فمن حيث هو صاحب صناعة أخرى، وجب أن يأخذ تلك المبادىء في صناعته من حيث هي مشهورة وبخاصة في التي لا يتفق له فيها الوقوف على اليقين في جميع أجزائها كتجربة الأدوية فإنه بالإضافة إلى الوقوف على هذا الجزء من الصناعة استقصر ابقراط العمر الإنساني في قوله: العمر قصير. وأما في الجزء القياسي منها فليس هنالك قصر»[٢٢]. وفي قبول تعويض التجربة في معرفة مبادىء علم الأدوية بالمشهور من هذه المبادىء وبالقياس، رَبْطٌ ظاهرٌ أيضاً للطب بالفلسفة. وإذن فإن الأدوية المفردة - وقد أصبحت عند ابن رشد «أدوية وأغذية» على التعميم - ينظر إليها من حيث صلتها بما هو أعلى منها في أنظمة «الصناعات» والعلوم المكونة

للعلم الكلي، وهو الفلسفة. وهذا - كما ذكرنا - مذهب جالينوسي، آخذ مبادئه العامة من فلسفة المعلم الأول: أرسطوطاليس.

٣ - في شمولية القول في الأدوية وتخصيصه:

ونعني بـ «الْقوْل» في العنوان التعريف بالدواء من حيث هو شيء، أي عنصر مفرد من المواليد له خصائص تمييزية، ومن حيث هو دواء له منافع علاجية. والحق أن «القول» في الأدوية المفردة هو صنف من «التعريف» بالمفهوم اللغوي المعْجمي، فإن التأليف في الأدوية المفردة على ما سَنّه ديوسقريديس في كتاب «المقالات الخمس» هو تأليف معجمي بالمفهوم الدقيق. ذلك أنّ «المقالات الخمس» معجم علمي مختص قد توفّر فيه الركنان الأساسيّان اللّذان يقوم عليهما التأليف المعجمي، وهما «الترتيب» و«التعريف»[٢٣] وهو - من حيث الترتيب - من صنف المعاجم المرتبة بحسب المواضيع، فإن ديوسقريديس لم يشأ أن يتبع الترتيب الهجائي في وضع «مداخل» كتابه - وقد نبّه إلى ذلك في المقدمة[٢٤] - بل فضّل الترتيب بحسب أجناس الأدوية وقواها حتى لا يفرّق بين المتفقة في الأجناس والقوى منها. وأما من حيث التعريف فقد نبّهنا من قبل إلى أن منهج ديوسقريديس قائم على شمولية القول في الأدوية، وهذه الشمولية هي من خصائص التعريف المسمى «تعريفاً منطقياً» أو «تعريفاً مَوْسوعياً»، وهو غير «التعريف اللغوي» لأن خاصيّة هذا الاقتصار على تبيان خصوصية اللفظ اللغوي وعلاماته المميزة والمتميزة، وأما خاصّيّة الموسوعي فارتباطه بالأشياء وإخباره عن خصائص الشيء المعرّف من نواحٍ عدة كالجنس أو النوع والشكل والأبعاد والحجم والمقدار والوظيفة والزمان أو المكان اللذيْن يوجد فيهما... الخ. وقد أشرنا من قبل إلى الخاصية الموسوعية في تعريف ديوسقريديس بأدويته باشتمال التعريف عنده على ثلاثة أركان تكاد تكون

قارة في كتاب «المقالات الخمس» هي التعريف اللغوي بتسميات الدواء، والوصف العلمي الدقيق لبنيته، والحديث الموسع عن خصائص الدواء ومنافعه العلاجية.

وإذا نظرنا في «الكتاب الثاني» من القانون - كتاب الأدوية المفردة - و«الكتاب» الخامس من الكليات - كتاب الأدوية والأغذية - وجدنا فرقا كبيرا بين ابن سينا وابن رشد، سواء في ترتيب الأدوية أو في تعريفها.

فلقد اتبع ابن سينا المنهج الجالينوسي فيما سميناه «تبعية التأليف» إذْ جعل الأدوية المفردة مبحثاً جزئياً تابعاً لعلم كلي أعلى مرتبة. فكان «الكتاب الثاني» لذلك جزءاً ضمْن مُدوّنة عامّة في الطب، لكنه في تناول الأدوية بالقول قد اتبع منهج ديوسقريديس وخالف المنهج الجالينوسي، فكان لذلك موفّقا بين المنهجيْن، إذ أخذ من جالينوس خاصية «تبعيّة التأليف» وسنرى أنه أخذ من ديوسقريديس خاصية «شموليّة القول».

فقد جعل «الكتاب الثاني» مُعجماً مختصاً في الأدوية المفردة، ذا بنية عامة متماسكة الأركان، رغم انتمائه إلى هرمية أعلى منه، وكوْنِه جزءا من «علم» أعمَّ منه. فقسَّمه إلى «جملتين»: الأولى «في القوانين الطبيعية التي يجب أن تعرف من أمر الأدوية المستعملة في علم الطب»[٢٥]، وقد اشتملت على ست مقالات هي بمثابة المقدمات العامة للمعجم، في القوانين التي نبه إليها، والجملة الثانية في «معرفة قوى الأدوية الجزئية»[٢٦]، وقد اشتملت على «بيان الأدوية المفردة على ترتيب أبجد». وفي هذه الجملة الثانية مدوّنة ذات ستة وثمانيمائة دواء (٨٠٦)، منها خمسة وثلاثون وخمسمائة (٥٣٥) دواء - أي الثلثان -

من النبات، والثلث - واحد وسبعون ومائتا (٢٧١) دواءٍ - من الحيوان والمعادن.

وقد رتّب ابن سينا أدويته ترتيباً أبجدياً، أي على حروف أبجد وليس على حروف الهجاء العادية، واعتبر فيها - من حيث هي مداخل معجمية - أبنيتها الاسمية التامة. لكنه لم يعتبر في تتابع الأسماء كل حروفها بل اكتفى بأوائلها، فالدواء لا يوضع في مكانه من الترتيب في الفصل الواحد بحسب ما يسبقه وما يليه من أسماء الأدوية بل بحسب حرفه الأول فقط، ونمثّل لذلك بالمداخل العشرة الأولى، وهي إكليل الملك - أنيسون - أفسنتين - آس - أقاقيا - إشقيل - إذخر - أسارون - أنزروت - أبهل. فإن الحروف الثواني في هذه المداخل العشرة هي الكاف والنون والفاء والهمزة والقاف والشين والذال والسين والنون والباء، وليس هذا بالترتيب المنهجي الدقيق.

وقد نحا في التعريف منحى ديوسقريديس فحاول استيعاب القول في الأدوية المفردة وقسم القول إلى ستة عشر «لوحاً». والألواح الستة عشر هي: (١) أسماء الأدوية وتعريف ماهياتها، (٢) اختيار الجيد منها، (٣) كيفياتها وطبائعها، (٤) خواص أحوالها وأفعالها الكلية، (٥) أفعالها التي تتعلق بالزينة، (٦) أفعالها في الأورام والبثور، (٧) أفعالها في القروح والجراحات والكسور، (٨) أفعالها في أمراض المفاصل والأعصاب، (٩) في أمراض أعضاء الرأس، (١٠) في أمراض أعضاء العين، (١١) في أمراض أعضاء النفس والصدر، (١٢) في أمراض أعضاء الغذاء، (١٣) في أمراض أعضاء النفض، (١٤) في الحميات وما يتعلق بها، (١٥) نسبة الأدوية إلى السموم، (١٦) أبدالها إذا لم يوجد ما هو المقصود من الأدوية[٢٧].

ويلاحظ في هذه «الألواح» قيامها على الأركان الثلاثة التي يقوم

عليها التعريف في «مقالات» ديوسقريديس، أي الركن اللغوي، وركن الوصف العلمي، وركن الخصائص. والمنافع العلاجية. وقد جمع ابن سينا الركنين الأول والثاني في اللوح الأول. وقد غلب عليه في هذا اللوح الاختصار. فإن التعريف اللغوي لا يتجاوز عنده في الغالب ذكر المرادف، مثل قوله عن «أبهل»: «هو شجرة العرعر»[٢٨]، وعن «انبرباريس»: «هو الزرشك»[٢٩]، وعن «ايرسّا»: هو «أصل السوسن الأسمانجوني»[٣٠]. وأما في الوصف العلمي فقد ينقل عن ديوسقريديس باختصار - وقد يصرح بالنقل عنه[٣١] وقد يُهمل التصريح[٣٢] - الأساسي من صفات النبات العلمية، وقد يهمل الوصف فيكتفي بالقول عن النبات إنه «معروف»[٣٣]. وأما الركن الثالث فقد جزّأه على الألواح الأربعة عشر الباقية، أي حتى اللوح الخامس عشر، وفي تجزئته تدقيق وضبط ومحاولة استيعاب لا نجدها عند ديوسقريديس، على أن هذا الاستيعاب لم يعم جميع المداخل لأن منها ما لا يشتمل إلا على بعض الألواح[٣٤]. وقد نبّه ابن سينا إلى هذا النقص في مقدمة معجمه بقوله: «وربما اجتمع في دواء واحد جميع الألواح وربما لم يوجد في بعضها إلا بعض الألواح»[٣٥]. وقد أضاف ابن سينا ركناً لم يُعنَ به ديوسقريديس، هو الوارد في اللوح السادس عشر، أي الأبدال، وهي الأدوية التي تقوم مقام الدواء المعرّف في حال انعدامه. فهذا ركن جديد يُضاف إلى الأركان الثلاثة السابقة.

ويلاحظ إذن أن ابن سينا في حديثه عن الأدوية المفردة كان على مذهب ديوسقريديس، وهذا يعني أن منهجه العام منهج توفيقي بين منهج جالينوس الذي أخذ منه ما سميناه «تبعية التأليف» إذ وصل القول في الأدوية المفردة بأبواب عامة في الطب، ومنهج ديوسقريديس الذي أخذ منه ما سميناه «شمولية القول» إذ عامَلَ أدويته باعتبارها مواليد طبيعية، فهي عنده عناصر طبيعية ذوات أشخاص لها ماهياتها التي

تميزها، وليس باعتبارها مجرد وسائل أو آلات لتحقيق الغاية من الطب، أي حفظ الصحة وإزالة المرض.

وهذا المنهج التوفيقي لا نجده عند ابن رشد. فقد رأيناه يتبع منهج جالينوس في ما سميناه «تبعية التأليف». وقد اتبعه في «القول» في الأدوية المفردة أيضاً. فقد اشتمل الكتاب الخامس - كتاب الأدوية والأغذية - من الكليات على ستة وتسعين ومائتي (٢٩٦) دواء[٣٦] - منها ستة وثلاثون ومائتا (٢٣٦) دواء من النبات، أي أكثر من ثلاثة أرباعها أدوية نباتية - لم يتبع في ترتيبها حروف المعجم كما فعل ابن سينا بل صنفها تصنيفا آخر فقسمها إلى قسمين: الأول فيه الأدوية المشهورة التي ذكرها جالينوس، والثاني فيه الأدوية المشهورة التي لم يذكرها جالينوس. وقد أشار إلى هذا الاعتماد على جالينوس في موضعين: الأول قبل البدء في «القول في أشخاص الأغذية» في قوله: «ونحن إنما نذكر هاهنا من الأدوية أشهرها. ومن الأشهر ما شهد به جالينوس، فإنه الرجل الموثوق والمجرب في هذه الصناعة، وغيره إنما مثله معهم كما يقول هو كمن ينادي على الشيء بصفاته فإذا أبصره لم يعرفه»[٣٧]، والموضع الثاني بعد الانتهاء من القسم الأول، فقد ختمه بقوله: «فهذه عيون الأدوية التي شهد لها جالينوس وجرّبها»[٣٨]. وقد جعل أدوية القسم الأول ثلاثة أصناف متتابعة: الأول في «الأغذية المحضة»[٣٩]، والثاني في «الأغذية الدوائية»[٤٠]، والثالث - وهو أطولها - في «الأدوية»[٤١]، وجُلها نباتي، وبعضها معدني وحيواني. ولم يخلط ابن رشد هذه الأنواع ببعضها بل بدأ بالأدوية النباتية[٤٢]، ثم ذكر الأدوية المعدنية[٤٣] فالأدوية الحيوانية[٤٤]. وقد اتبع في تصنيف هذه الأبواب - وهو تصنيف بحسب أجناس الأدوية - جالينوس الذي بوّب الأدوية في المقالات الست الأخيرة من كتابه «الأدوية المفردة» بحسب انتمائها إلى أصناف المواليد: النبات فالمعادن فالحيوان. ولم

يذهب ابن رشد في ذكر أدوية القسم الثاني - الأدوية المشهورة التي لم يشهد لها جالينوس - هذا المذهب في التبويب، فقد ساقها مختلطة دون تبويب. على أن أدوية القسمين - في مختلف الأصناف والأنواع - قد ذكرت دون أي ترتيب داخلي.

ويُلاحظ إذن مما قدمنا أن مصدر ابن رشد الأساسي في جمع مادته وفي تبويبها وتصنيفها هو جالينوس، ولم يكن جالينوس مصدره في الجمع والتبويب فقط بل كان مصدره الأساسي في «التعريف» بأدويته أيضاً. فإن التعريف عنده قائم على ركن واحد من الأركان الواردة عند ديوسقريديس، هو ركن الخصائص والمنافع العلاجية. وقد أهمل إهمالاً كلياً ركن الوصف العلمي الذي سماه ابن سينا «الماهية»، لكنه لم يهمل تماما الركن اللغوي لأنه قد يذكر - مع أدوية قليلة - أسماءها العامية الأندلسية، ومثال ذلك قوله عن «الفْنَجنكُشت»، «هو المسمى عندنا شجرة إبراهيم»[٤٥] وعن «الشنجار» «هو المسمى عندنا برجل الحمامة»[٤٦] وعن «اللّوف المسمى أرون»، «هو المسمى عندنا بالصّاره»[٤٧]. وهذه التسميات العامية وظيفية في الكتاب لأن غاية المؤلف أن يُعرّف أبناء بلده القريبين منه بأعيان النباتات التي يعرفونها بأسماءٍ غير الأسماء التي تُعْرَفُ بها في كتب الأطباء، وهذا منزع إلى «المحلية» غير خفيّ في الكتاب الخامس من الكليات، فإن لبلاد الأندلس فيه حضوراً[٤٨].

والركن الأساسي المتبقّي إذن هو التعريف بخصائص الدواء وبمنافعه، أو بأفعاله عامة. وجلّ مواد الكتاب تبدأ بذكر درجة الدواء من حيث البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة، ويتلو ذلك ذكر منافعه لكن دون توسع أو استيفاء مثلما نجد عند ابن سينا، والمعتمد في ذكر تلك المنافع هو جالينوس، وقد صرّح ابن رشد بالنقل عنه في مواضِعَ من الكتاب غير قليلة. وهذه الثقة بجالينوس ناشئة عن كونه طبيبا

فيلسوفا وليس عن كونه مؤلفا في الأدوية المفردة، إذ لو اعتمد ابن رشد هذا المقياس الثاني لكان ديوسقريديس أحق بالثقة من جالينوس لأن جالينوس نفسه كان عالة عليه في كثيرٍ مما قال عن أدويته.

٤ - من آثار التقليد:

مصدر هذا العلم الأساسي هو ديوسقريديس، فهو الذي وضع للتأليف فيه قواعد وحدد ماهيات الأدوية التي عرفها وخصائصها العامة وأفعالها في البدن، وقد كان جالينوس من المعتمدين عليه، لكنه أعاد النظر في عمل ديوسقريديس باعتماد التجربة والقياس، واستطاع أن يضيف الكثير إلى العلم الذي تركه ديوسقريديس، وخاصة في ذكر خصائص الأدوية كالكيفيات والطبائع والقوى، وفي تجريب أفعالها. لكن جالينوس كان طبيبا فيلسوفا قبل أن يكون عالما في الأدوية المفردة، بينما ديوسقريديس كان عالماً طبيعياً متخصصاً في الأدوية المفردة، ولم يكن فيلسوفاً. وقد استطاع العلماء العرب الذين اقتفوا آثار ديوسقريديس أن يضيفوا إلى علم الأدوية المفردة الكثير وخاصة من حيث هو علم قائم على المواليد، فقد اكتشفوا نباتات طبية كثيرة لم يعرفها ديوسقريديس ولا اليونانيون من بعده، وقد دققوا البحث في خصائصها وعمقوا النظر في أفعالها بالاختبار. وقد ظهرت في العربية مؤلفات قيمة في الأدوية المفردة كانت شاهدة بفضل مؤلفيها في هذا الاختصاص من العلم.

أما ابن سينا وابن رشد فلم يكونا من ذوي الاختصاص في الأدوية المفردة، فإن ابن سينا كان جالينوسي المنزع لجمعه بين الطب والفلسفة وتأليفه فيهما وربطه الطب بالفلسفة، وابن رشد كان فيلسوفاً من شيعة أرسطوطاليس ولم تكن له بالطب صلة وثيقة، وتأليفه في الطب - عامة - لم يكن تأليف صاحب الاختصاص - مثل ابن سينا -

بل كان تأليف الناقل المقلّد. وقد نتج عن نزوع ابن سينا إلى ربط الطب بالفلسفة أن قيد التأليف في الأدوية المفردة بجعلها فرعاً من جزئيات الطب. وقد حاول التوفيق بين منهجي ديوسقريديس وجالينوس وتنظيم المعارف التي انتهت إليه من سابقيه. لكن نظرته إلى علم الأدوية المفردة الذي يقوم على التجربة نظرةَ الطبيب الفيلسوف الذي ينزّل القياس في الطب منزلة رفيعة قد ألحقت بعمله مظاهر من الضعف غيرَ قليلة. وقد انتبه إليها المؤلفون في الأدوية المفردة فانتقدوها. وقد كان انتقاد أبي جعفر أحمد الغافقي له عنيفاً إذ اتهمه بالكذب لأنه ينسب إلى ديوسقريديس وجالينوس ما لم يقولاه[٤٩]. وقد وجد له ابن البيطار مآخذ فنبّه إليها في كتبه وصححها. منها خطؤه في الحديث عن النبات المسمى «إذخر»، فقد عرّفه بقوله: «منه أعرابيّ طيّب الرائحة ومنه آجاميّ ومنه دقيق وهو أصلب ومنه غليظ وهو أرْخى ولا رائحة له»[٥٠]. وقد خلط ابن سينا في هذا التعريف بين نباتيْن مختلفيْن هما «الإذخر» ونبات آخر اسمه العربيّ «الأسل»، والآجاميّ والدقيق والغليظ إنما هي أنواع من الأسل وليست من الإذخر، وسبب هذا الخلط هو اشتراك النباتين في الاسم في اللغة اليونانية، فإن اسم «الإذخر» Skhoinos واسم «الأسل» Skhoinos heleia، وقد ذكرهما ديوسقريديس في المقالات الخمس في موضعين متباعدين إذ تحدث عن الأول في المقالة الأولى[٥١] وعن الثاني في المقالة الرابعة[٥٢]. وقد ذكرهما جالينوس متتابعين في المقالة الثامنة من كتابه في الأدوية المفردة وسمى الأول «سخونوس البحري» وسمى الثاني - الأسل - «سخونوس الآجاميّ» ونوّعه نوعين هما الأسل الدقيق والأسل الغليظ. وقد أوقع هذا «الاشتراك في الاسمية» والتتابع في مقالات جالينوس ابن سينا - وقبله أبا بكر الرازي وبعدهما ابن جزلة البغدادي في كتاب المنهاج - في الخطإ فنسب إلى الإذخر ما ليس من ماهيته وليس من قوته[٥٣].

ومن هذا الصنف من الأخطاء عنده أيضاً خلْطه بين نباتين مختلفين في الماهية والقوة هما النبات المسمى باليونانية Horminon ولم يُذْكَر له مقابل عربي - والنبات المسمى Erusimon - ويسمى بالعربية «التوذري» و«الصَّوْب» - إذ قال في ماهية «تودري»: «قال ديسقوريديس عشبة شبيهة الورق بورق الفراسيون مربّع الجذر وجذره قدر نصف ذراع له أقماع فيها بزر مستطيل أسود وهذا هو المستعمل من التودري، وأما البري فبزره مُدَحْرج»(٥٤). وهذه الماهية في مقالات ديوسقريديس(٥٥) هي ماهية النبات المسمى «ارمينن» وهو غير «التودري» الذي يقابل في اليونانية مصطلح «اوريسيمن»(٥٦). وفي الكتاب أخطاء أخرى من هذا الصنف(٥٧) ومن غيره(٥٨). وهذه الأخطاء لا تنقص - بدون شك - من قيمة ابن سينا الطبيب، لكنها دالة على أن علمه في الأدوية المفردة لم يكن في مستوى علمه في مسائل الطب العامة، فقد كان - في الحديث عنها - الناقل المعتمد على ما قاله فيها - وخاصة في النبات - العلماء السابقون، وخاصة ديوسقريديس وجالينوس.

وقد كان ابن رشد أكثر احتياطا من ابن سينا. فهو قد عني بالطب من حيث هو جزء من العلم الطبيعي، وقد عني بالأدوية المفردة من حيث هي آلات لتحقيق الغاية الأساسية من الطب وهي حفظ الصحة وإزالة المرض. وكان هو أيضاً - مثل ابن سينا - في حديثه عن الأدوية المفردة يطرق باباً من التأليف في علم ليس من اختصاصه. وذلك ما أوجب احتياطه فأكثر الاعتماد على مصدر واحد هو جالينوس، فجمع منه مادته العلمية واتبع طريقته في التبويب ومنهجه في القول وآراءه في خصائص الأدوية وأفعالها، وقد بلغ به الاحتياط والحذر مبلغاً كبيراً فاكتفى من أدوية جالينوس بالمشهور ولم يجازف بذكر المجهول أو المغمور أو المثير للإشكال مما يكون مَظِنةً للوقوع في الخطأ، وأوجز القول فيها إيجازاً كبيراً. وقد وسّع على نفسه بما

تقيد به من اعتماد على جالينوس وذكرٍ للمشهور من أدويته واقتصارٍ في القول فيها على خصائصها وأفعالها. وقد وجد بذلك مجالاً لإبداء رأيه بل لمخالفة جالينوس أيضاً.

ومن باب إبداء الرأي ما يبديه من ملاحظات في درجات الأدوية عندما يهمل جالينوس ذكرها، وما يُعقّب به على بعض الآراء في منافع الأدوية العلاجية. ومن ملاحظاته في درجات الأدوية قولهُ عن «الشنجار»: «ولم يدرّجه جالينوس، والذي أحدس عليه من مزاجه أنه بارد في الأولى، يابس في الثانية. والعلة في ذلك أن هذا الدواءَ الغالبُ على أجزائه جوهرٌ أرضي بارد، مع أرضية محترقة»(٥٩)، وقوله عن «الغاريقون»: «هذا الدواء لم يدرّجه جالينوس، والذي يُحْدَسُ عليه من مزاجه أنه حار في الأولى، يابس في آخر الثانية..»(٦٠)، ومما عقب به قولهُ عن «اللوز المر»: «وأنا أرى أن أكثر أفعالِه هذه الأفعالَ ليس بحرارة مفرطة فيه، بل بإنضاج يفعل في هذه المواد لمكان تعديلها بالرطوبة الدهنية التي فيه، ولذلك صار أوفقَ شيء لتفتيح السُّدد التي في الرئة والصدر إذ كانت هذه الأعضاء تَسْتَضِرُّ بالخشونة(٦١)، وقولُه عن «عروق السوس»: «وهذا مما يدل عندي على أن أصله أحر من عصارته، والمزاج الموصوف قبلُ له إنما هو مزاجُ عصارته. والأصول من هذا النبات إذا عَتَقَتْ وُجِدَ فيها مرارةٌ يسيرة كالحال فيما يجلب إلينا. ولذلك لسنا نرى أن الحديثة منها بمنزلة القديمة»(٦٢).

وأما مخالفته لجالينوس فقليلة. وقد وجدناه يخالفه في موضعين: الأول في مادة «بلسان». فقد ورد فيها قول المؤلف: «وأما دهنه فهو ألطف شيء، وليس كما قال جالينوس: له من الإسخان ما يظنه به قوم غلطا منهم بسبب لطافته ونفوذه»(٦٣)، وثاني الموضعين مادة «راوند»

فقد قال فيها: «وكذلك فعله في المعدة. وجالينوس وغيره من الأطباء يصف الراوند بأنه حابس للبطن، ونحن نجده اليوم مُسْهِلاً، وهو من أغرب الأدوية المسهلةِ، حجابُه فيه. فإن جميع الأدوية المسهلِة إنما هي سموم ما، إلّا هذا الدواءَ خاصة. فإنه مع أنه مُسْهل هو مقوّ للأعضاء كُلها، ولذلك قد يمكن أن يُحْجَبَ به الدواء المسهل فيعاضِدَهُ في فعْله ويحجبَ مضرَّتَه»[٦٤].

على أن ابن رشد - رغم الاحتياط الذي أخذ به نفسه - لم يسلم من الخطأ. والحق أن أخطاءه قليلة. ومن خطئه تسميته نبات القرْصَعْنَة بـ «الحالبي» في قوله: «وأما خاصته المشهورة فهي تحليل الأورام الحالبية. حتى إن اسمه باللسان اليوناني كان مشتقاً من اسم الحالب»[٦٥]. وما ادّعاه هنا خطأ لأن اسم القرْصَعْنَة باليونانية هو Erungê ولا صلة لهذا المصطلح بالحالبي. وإنما اسم الحالب باليونانية Bûbôn. ومنه مصطلح Bûbônion وهو اسم النبات المسمى باليونانية «اسطيراطيقوس» (Astêr attikos)، و«بوبونيون» منسوب إلى «بوبون»، ومعنى «بوبونيون» الحالبي. وقد ذكر جالينوس في الحديث عن «اسطيراطيقوس»: أنّ «هذا النبات يسمى باليونانية «بونيون» وهو اسم مشتق من اسم الحالب لأنه دواء وثق الناس منه أنه يَشْفِي الورمَ الحادثَ في الحالب إذا وضع عليه كالضماد»[٦٦]. فقد خلط ابن رشد إذن بين نباتين مختلفين هما القرصعنة والأسطيراطيقوس. ويبدو أن الخطأ قد طرأ عليه من ابن وافد، فإنه حسب الغافقي[٦٧] وابن البيطار[٦٨] قد ذهب إلى أن «اسطيراطيقوس» هو القرصعنة. فقد ورد عند ابن البيطار: «اسطيراطيقوس: زعم ابن وافد أنه القرصعنة، وهو غلط». على أن مثل هذا الخطأ في كتاب الكليات قليل. وهو لا يقلل من قيمة إسهام ابن رشد في التأليف في الطب، كما لم تقلل الأخطاء التي طرأت على ابن سينا من قيمة علمه في الطب.

٥ - خاتمة:

يستنتج مما قدمنا أن التأليف في الأدوية المفردة عند ابن سينا وابن رشد لم يخلص من تأثير الفلسفة رغم اعتبارهما الأدوية عامة من «العلم العملي» أو «الصناعات التجريبية» في الطب، وقد عَنَتهما الأدوية من حيث هي وسائل لتحقيق الغاية الأساسية من الطب، أي حفظ الصحة وإزالة المرض. ولذلك فقد عنت ابنَ سينا أفعالُها في البدن أكثرَ مما عنَتْه أسماؤها وماهياتها. أما ابن رشد فلم تَعْنِه الماهيات البتة وكاد يقتصر على العناية بأفعالها. ولم تظهر في حديثهما عن أفعال الأدوية تجاربهما الشخصية وخاصة عند ابن رشد الذي غلب عليه النقل من جالينوس دون سواه، أما ابن سينا فقد جمع مادته من كبار المؤلفين في الأدوية قبله، بداية بديوسقريديس، وانتهاء بعلماء القرن الرابع الهجري. على أن لجالينوس عنده هو أيضاً منزلة متميزة، وقد كان لعالمَيْنا الفيلسوفَيْن فضل التبويب والتصنيف والتحليل والتدقيق والتيسير لمعارفَ في الأدوية قد شاعت بين الأجيال قبل أن يتناولها الطب الإسلامي بالترجمة ثم بالإضافة والإثراء. وقد كانت الإضافة من صنف الأطباء الذين كانوا يرون أنفسهم أطباء وصيادلة في الوقت نفسه، فكانوا جامعين بين علم الطب وعلم الصيدلة إذْ كانوا يتولَّوْن هم بأنفسهم عمل الأدوية وتركيبها، وما كان ذلك ليتأتى لهم لو كانوا مقلدين يكتفون بما يقدمه لهم لقّاطو الأعشاب وبائعوها من غير أهل الاختصاص، من الحشائش والنباتات التي يحتاجون إليها. وما كانوا يستطيعون أن يتولَّوْا عمل الأدوية بأنفسهم لو كانوا لا يعرفون ماهيات النبات وأسماءَهُ التي يُعرف بها في الأماكن التي ينبت فيها. فإن معرفة ماهيات النبات وأسماءها هي المرحلة الأولى الأساسية في معرفة الأدوية وأفعالها حق المعرفة. وقد تحققت هذه المعرفة لعلماء كثيرين فكانوا أطباء وصيادلة،

نخص بالذكر منهم ممن عاصر ابن رشد في القرن السادس الهجري في بلاد المغرب والأندلس أبا جعفر أحمد الغافقي وأبا محمد عبدالله بن صالح الكتامي وأبا العباس أحمد ابن الرومية النباتي، ولا شك أن هؤلاء لم يكونوا في منزلة ابن سينا من الطب، ولكن ابن سينا أيضاً لم يكن في منزلتهم من معرفة الأدوية وأنواعها وأسمائها وماهياتها وأفعالها.

التعاليق:

(١) هي الصفة التي اشتهر بها - مثلاً - أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرّج ابن الرومية، فإنه غالبا ما يذكر باسم «أبو العباس النباتي».

(٢) هي الصفة التي اشتهر بها أبو محمد عبدالله بن أحمد بن البيطار، وقد يوصف بالنباتي أيضاً. ينظر كتابنا: «بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب» دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١، ص٢٨١.

(٣) ابن الجزار القيرواني: كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة، (تحقيق إبراهيم بن مراد، عن خمس مخطوطات)، ٢ظ.

(٤) ابن البيطار: كتاب الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام - مخطوطة الحرم المكي، رقم ٣٦(١) طب. وينظر أيضاً حول هذا الأثر اليوناني في نشأة هذا العلم: ابن مراد (ابراهيم): المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣، ص ص ٣٩-٤٠.

(٥) قد بيّن ابن الجزار بعض أوجه النقص عند ديوسقريديس وجالينوس فقال: «غير أنّا وجدنا ما عانيا من ذلك قد لحقه التقصير عن بلوغ نهاية المدح من ثلاثة أوجه: أحدها أن دياسقوريديس ذكر أكثر منافع الأدوية ومضارها ومنابتها والمختار منها ولم يذكر طبائعها ولا كميتها وقوة كل واحد منها في أي درجة هو من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. فأما جالينوس فإنه ذكر قوى أكثرها ولم يبالغ في ذكر منافعها ومضارها وخواصها المخصوصة بها. والوجه الثاني أن كثيراً من الأدوية التي ألقياها في كتبهما مجهول غير معروف في اللسان العربي، وكثير منها معدوم غير موجود. والوجه الثالث أنهما تركا ذكر كثير من الأدوية المفردة التي لا غناء لأحد من الأطباء عن علمها ومعرفتها لعموم منفعتها وكثرة الحاجة إليها، أعني إلى استعمالها» - كتاب الاعتماد، ٢ ظ.

(٦) تنظر تفاصيل أكثر حول منهج ديوسقريديس في كتابنا المعجم العلمي العربي المختص، ص ص ٣٢-٣٨.

(٧) قال فيه ابن النديم (كتاب الفهرست، ط. رضا تجدد، طهران ١٩٧١، ص٣٥١): «السائح في البلاد، المقتبس لعلوم الأدوية المفردة من البراري والجزائر والبحار، والمصور لها».

(٨) هو عنوان رسالة له ذكرها ابن النديم في الفهرست (ط. تجدد، ص٣٤٩)، وقد أشار إلى ذلك علي بن رضوان أيضاً في «الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب» (تحقيق كمال السامرائي، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٦، ص١٢٥): «فالأمر على ما قال جالينوس: إن الطبيب الفاضل فيلسوف كامل». إلا أن جالينوس لم يَرْقَ حسب القدماء إلى مرتبة الحكيم. فقد قال فيه أبو الحسن العامري فيما نقله عنه أبو سليمان السجستاني (منتخب صوان الحكمة، تحقيق د.م. دنلوب D.M.DUNLOP - Mouton Publishers. The Hague, 1979، ص٦، الفقرة السادسة) «وقد تعرّض في زمانه حين كثرت تصانيفه لأن يوصف بالحكمة، أعني أن ينقل عن لقب الطبيب إلى لقب الحكيم، فتهزؤوا به وقالوا: عليك بالمراهم وعلاج القروح والحسّيات».

(٩) مما ألّف في الفلسفة كتاب البرهان في خمس عشرة مقالة. وقد قال عنه أبو سليمان السجستاني (منتخب صوان الحكمة، ص٧، الفقرة السابعة): «لم يَرتضه أهل البراعة من المنطقيين»، وكتاب «ما يعتقده رأيا». وقد قال عنه السجستاني أيضا (ص٧): «ولما عمل في آخر عمره كتاباً فيما يعتقده رأيا، عدد فيه هذه الأمور [أي تحقيق مبادىء الصناعة، كالكلام في العنصر الأول والصورة والفاعل] واعترف بالجهل والحيْرة وأذعن للتقصير فيما أتعب الحكماء به أنفسهم، حتى قال الاسكندر الأفروديسي: إن جالينوس غرم من عمره ثمانين سنة حتى حصل على الإقرار بأنه لا يعلم».

(١٠) حددها في مقدمة الجزء الأول من «كتاب القانون في الطب» (ط. بولاق، ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، ٣ أجزاء، ١/٣)، وهي: (١) في الأمور الكلية في علم الطب، (٢) في الأدوية المفردة، (٣) في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان عضو عضو. (٤) في الأمراض الجزئية التي إذا وقعت لم تختص بعضو وفي الزينة، (٥) في تركيب الأدوية، وهو الأقراباذين.

(١١) حددها في مقدمة الكتاب (الكليات في الطب، تحقيق سعيد شيبان وعمار الطالبي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٨٩، ص٢٠، وهي: (١) أعضاء الإنسان، (٢) الصحة، أنواعها ولواحقها، (٣) المرض وأنواعه وأعراضه، (٤) العلامات الصحية والمرضية، (٥) الآلات وهي الأغذية والأدوية، (٦) الوجه في حفظ الصحة، (٧) الحيلة في إزالة المرض. فقد فرق ابن رشد إذن بين التشريح ووظائف الأعضاء، ووصف الأمراض وأسبابها، ومعرفة آلات العلاج وكيفية استعمالها حسب الحالات، أما ابن سينا فقد رأى في التصنيف انقسام الطب إلى كليات نظرية وجزئيات عملية.

(١٢) ابن رشد: الكليات، ص ص ٣٠١-٣١٤.
(١٣) ابن سينا: القانون، ٣/ ٣٠٩ - ٤٤٢.
(١٤) نفسه، ١/ ٣.
(١٥) ابن رشد: الكليات، ص٢٠.
(١٦) نفسه، ص ص ١٩ - ٢٠.
(١٧) بيّن ذلك المحققان في مقدمة تحقيقهما للكليات، ص ص ٧-٨.
(١٨) ابن رشد: الكليات، ص ٢٠.
(١٩) نفسه، ص٢١.
(٢٠) نفسه، ص ٢١.
(٢١) نفسه، ص ٢١.
(٢٢) نفسه، ص ٢١.
(٢٣) ينظر حول هذين الركنين كتابنا «المعجم العلمي العربي المختص»، ص ص ١٠٥ - ١٤٧.
(٢٤) ديوسقريديس: المقالات الخمس، ترجمة اسطفن بن بسيل وحنين بن إسحاق، تحقيق قيصر دبلار (C. DUBLER) وإلياس تراس (E.TERES)، تطوان ١٩٥٧، ص٩.
(٢٥) ابن سينا: القانون، ١/ ٢٢٢-٢٣٩.
(٢٦) نفسه، ١/ ٢٣٩-٤٧٠.
(٢٧) نفسه، ١/ ٢٤٢-٢٤٣.
(٢٨) نفسه، ١/ ٢٤٨.
(٢٩) نفسه، ١/ ٢٥٣.
(٣٠) نفسه، ١/ ٢٥٥.
(٣١) تنظر مثلا مواد «إكليل الملك» (١/ ٢٤٣)، و«إذخر» (١/ ٢٤٧)، و«أقحوان» (١/ ٢٥٠).. الخ.
(٣٢) تنظر مثلاً مواد «أسارون» (١/ ٢٤٨، والمقالات الخمس لديوسقريديس، ص١٨)، «باذاورد» (١/ ٢٦٥، والمقالات الخمس، ص٢٤٥)، «البنجَنْكُشت» (١/ ٢٧٥، والمقالات الخمس، ص٩٨).. الخ.
(٣٣) تنظر مثلا مواد «آس» (١/ ٢٤٥) و«اترجّ» (١/ ٢٥٧)، و«اجاص» (١/ ٢٥٨)، و«بصل» (١/ ٢٦٨)، و«بطيخ» (١/ ٢٧٠).. الخ.
(٣٤) من ذلك «اذريون» (١/ ٢٥١)، فقد اشتمل على خمسة ألواح هي (٣) الطبع و(٥) الزينة و(٨) آلات المفاصل و(١٢) أعضاء النفض و(١٥) السموم، ومادة «اشترغاز» (١/ ٢٥٣) التي اشتملت على أربعة ألواح هي (١) الماهية و(٣) الطبع و(١٢) أعضاء الغذاء و(١٤) الحميات. وينظر نماذج أخرى في ١/ ٢٦٢-٢٦٣ و١/ ٢٨٠ و١/ ٣٢١.. الخ.

(٣٥) نفسه، ١/ ٢٤٣.

(٣٦) العدد الجملي ٣٠٦. لكن عشرة منها مكررة هي «لحم» (الكليات، ص٢٤٩ و٢٩٥) و«لبن» (ص ٢٥٠ و٢٩٢) و«بيض» (ص٢٥٠-٢٥١ وص ٢٩٤)، و«تين» (ص٢٥١ و٢٨٧) و«زبيب» (ص٢٥١ و٢٦٥) و«عدس» (ص٢٥٢ و٢٨٨) و«ترمس» (ص٢٥٢ و٢٧٠) و«جوز» (ص٢٥٤ و٢٧٣) و«صنوبر» (ص٢٥٤ و٢٧٤) و«جزر» (ص٢٦٧ و٢٨٦).

(٣٧) ابن رشد: الكليات، ص٢٤٧.

(٣٨) نفسه، ص٢٩٦، وينظر فيه أيضا ص٢٨٩.

(٣٩) نفسه، ص ص ٢٤٧-٢٥٢. وقد ختم القول فيها بقوله: «فهذه هي الأغذية والأشربة الطبيعية للناس بما هم ناس».

(٤٠) نفسه، ص ص ٢٥٢-٢٥٥، وقد قدمها بقوله: «وينبغي أن نقول في الأغذية الدوائية، وهذه أيضاً منها نبات ومنها حيوان ومنها فضل الحيوان ومنها أشربة. والنبات منه حبوب ومنه فواكه ومنه بقول». وختم القول فيها بقوله: «فهذه هي أشهر الأغذية المستعملة عندنا وفيها دوائية ما».

(٤١) نفسه، ص ص ٢٥٦ - ٢٩٦.

(٤٢) نفسه، ص ص ٢٥٦ - ٢٨٩.

(٤٣) نفسه، ص ص ٢٨٩ - ٢٩٢.

(٤٤) نفسه، ص ص ٢٩٢ - ٢٩٦.

(٤٥) نفسه، ص ٢٥٦.

(٤٦) نفسه، ص ٢٥٦.

(٤٧) نفسه، ص ٢٦٢.

(٤٨) ينظر في المصدر نفسه مثلاً: ص٢٥٠ (سطر٢٠)، ٢٥١ (س٣)، ٢٥٢ (س٢-٧)، ٢٥٤ (س٢٣)، ٢٥٥ (س٤، ٢٣، ٢٧، ٣٠)، ٢٥٦ (س١٣)، ٢٦١ (س٢٩)، ٢٦٢ (س١٤، ١٧، ١٨)، ٢٦٣ (س١، ٢١، ٢٥)... الخ.

(٤٩) قال (الأدوية المفردة، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم ق١٥٥، ص ص ٢-٣): «ومنهم من يكذب كما فعل ابن سينا في مواضع كثيرة من أدويته حيث يحكي عن (ديوسقريديس) و(جالينوس) ما لم يقولاه».

(٥٠) ابن سينا: القانون، ١/ ٢٤٧.

(٥١) ديوسقريديس: المقالات الخمس، ص٢٦ (المقالة الأولى، المادة ١٤).

(٥٢) نفسه، ص٣٢٧ (٤-٤٤).

(٥٣) ينظر نقد ابن البيطار في كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، (ط. بولاق، ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، ٤ أجزاء)، ١/ ١٦، وينظر لابن البيطار أيضاً: الإبانة والإعلام، ٤ظ-٥ظ.

(٥٤) ابن سينا: القانون، ١/ ٤٤٣.

(٥٥) ديوسقريديس: المقالات الخمس، ص٢٩٦ (٣-١٢٣).

(٥٦) نفسه، ص٢١٤ (٢-١٥٨). وينظر نقد هذا الخطأ في كتابيْ الجامع (١/ ١٤٣) والإبانة والإعلام (٢٠و-٢٠ظ) لابن البيطار.

(٥٧) منها خلطه بين بخور مريم والعرطنيثا (القانون، ١/ ٤٣٦). فقد جعل بخور مريم ثلاثة أنواع بينما هو نوعان فقط، أما الثالث فهو الدواء المسمى باليونانية Leontopetalon وهو العرطنيثا بالعربية (ينظر: (ابن البيطار: الإبانة والإعلام، ٥٠و-٥٣و، ابن مراد: بحوث في تاريخ الطب والصيدلة، ص ص٥٣٠-٥٣٧)، وخلطه بين النبات المسمى «حندقوقي» والنبات المسمى «بشنين» (القانون، ١/ ٣١٩). فقد جعل الحندقوقَى ثلاثة أنواع: بريّا وبستانيا ومصريا. وهذا «المصري» ليس من الحندقوقَى في شيء بل هو النبات المعروف بالبشنين (ينظر في نقده ابن البيطار: الجامع، ٢/ ٤٠-٤١، والإبانة والإعلام، ٢٦ظ-٢٨ظ، وينظر كذلك ابن مراد: بحوث، ص ص٥١٢-٥١٨).

(٥٨) وخاصة في تحريف رسم المصطلحات. من ذلك وضعه النبات المسمى «نفل» - بالنون والفاء - في باب الهمزة إذ رسمه «أَلْنَغَل» معتبراً الألف واللام - وهما للتعريف - حرفين أصليين (القانون، ١/ ٢٦٢، وفيه «البعل»، وقد انتقد هذا الخطأ ابن البيطار: الإبانة والإعلام، ١٥ظ-١١و)، ورسمه النبات المسمى «أنخوسا» - من اليونانية Ankhusa وهو اسم الشنجار - «أبوحلسا» (القانون، ١/ ٢٦٠) ورسمه اسم «الزدوار» - وهو الجذْوَار» - «زرْدوار» (نفسه، ١/ ٣١١).. الخ.

(٥٩) ابن رشد: الكليات، ص٢٥٧.

(٦٠) نفسه، ص ٢٥٧.

(٦١) نفسه، ص ٢٦٠.

(٦٢) نفسه، ص ٢٦٦.

(٦٣) نفسه، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٦٤) نفسه، ص ٢٨٣.

(٦٥) نفسه، ص ٢٦٤.

(٦٦) ابن البيطار: الجامع، ١/ ٢٦.

(٦٧) الغافقي: الأدوية المفردة، ص٧٩.

(٦٨) ابن البيطار: الجامع، ١/ ٢٥.

الرئيس : الدكتور أبو شادي الروبي:

شكرا على هذه المحاضرة القيمة والدقيقة، وعلى كل حال فالمناقشات والمداخلات مفتوحة .. تفضل.

المناقشات

د. محمد بن شريفة:

شكرا سيدي الرئيس، إنني لا أريد أن يفوتني التنويه بأحد علمائنا الشباب المغاربة هو الأخ الأستاذ الدكتور إبراهيم بن مراد عن الجهود التي قدمها، والتي لا يزال يقدمها في هذا الميدان، سالكا في هذا سبيل أسلافنا في هذا المجال، حقيقة فإن علماءنا في الأندلس وفي المغرب كانوا نباتيين كبارا بصفة عامة. وعندي سؤال فقد وجدت أخي د.إبراهيم بن مراد يذكر عددا من هؤلاء النباتيين ولم يشر بكلمة إلى أحد النباتيين وهو حامد بن سمجون، ما أعرف ما الرأي فيه؟ وشكرا.

د. ابراهيم بن مراد: الذين ذكرتهم ليسوا إلا أفرادا قليلين جدا من عدد كبير، وحامد بن سمجون له كتاب في الجامع لا يزال مخطوطا.

د. بن شريفة: بل نشر.

د. ابراهيم بن مراد: إنه مصور، وهو لم يحقق، وهناك نسخة موجودة بين أيدي الناس، يمكن أن يقرؤوها، مع ذلك فإن الكتاب لم يحقق، ولو حقق لكان في تحقيقه الغنم الكبير، لأن فيه كثيرا من الفوائد اللغوية والنباتية، وقد نجد فيه كذلك الفوائد الطبية؛ لأن النصوص القديمة ما زالت في حاجة كبيرة إلى أن تغربل، للوصول إلى ما هو جدير فيها بالاعتناء، من حيث ما يمكن استخراجه من مستحضرات طبية، وأعتقد أن المنظمة تقوم بهذا، وهذا من أهم أعمال المنظمة.

د. محمد بن شريفة: مسألة أخرى وهي أن المصطلحات المحلية شاعت شيوعا كبيرا؛ سواء عند ابن البيطار أو عند المتأخرين أو عندنا في المغرب.

د. بن مراد: في الحقيقة هي مهمة جدا، وهذه النباتات في الحقيقة هي أدوية شافية، وهي تورد في كتب الأدوية المفردة بأسمائها

العلمية التي عرفت بها في أمهات الكتب. والعوام المتطببون الشعبيون الذين قد يلجأون لهذه الكتب لا يعرفون تلك المصطلحات العلمية الأساسية، فإذا ذكر المؤلف اسم الدواء بلهجته المحلية التي يعرفها أهل بلده أمكن للمتطبب أن يعرف النبات بسهولة، أو أن يوقع الاسم بالعامية التي عنده لاسم الدواء الأصلي كما هو معروف في الكتب العلمية. هناك ملاحظة أخرى؛ نجد كثيرا في هذه الكتب أو مؤلفي الكتب نجد أنهم يميلون كثيرا إلى ذكر الأدوية بالأسماء الأعجمية، وخاصة باللغة الفارسية واللغة البربرية وأعجمية الأندلس وغيرها من اللغات، وهذا يرجع إلى أن هذه اللغات لغات إسلامية، وهم لا يؤلفون للقارىء العربي فقط، بل يؤلفون للقارىء المسلم الذي يستعمل اللغة العربية؛ لأن هذا الدواء الذي يحمل الاسم بالعربية معروف، أو باليونانية يعرف في تركيا أو بلاد فارس أو في منطقة ما بين البربر أو بين الأسبانيين بالاسم الفلاني العامي الموجود عندهم، وهذا يسهل عليهم كذلك أمر الإفادة من الكتاب ومن المادة العلمية التي توجد فيه.

د. محمود مكي:

أهنئ الدكتور إبراهيم بن مراد الذي اختص بميدان قلما اشتغل فيه أحد الآن، وقد وفاه بكفاءة عظيمة، ولا بد أن نشهد له فيه بأنه سد فراغا كبيرا، وهو يستحق من أجل ذلك كل ثناء وتقدير، سؤالي حول المحلية والأعجمية؛ وذلك لأنني أذكر تجربة حضرتها وشاهدتها وهي تحقيق ديسكوريدس الذي نشره قيصر دوجلان المستشرق الاسباني وإلياس تريس، كنت أحضر تحقيقهما الذي نشر بعد ذلك، كنت ألاحظ أن المخطوطة الأصلية اشتملت على هوامش كثيرة، حتى أنها أصبحت أساسا للدراسة خاصة، ذلك أنها أمام كل اسم دواء من هذه الأدوية المفردة أو النباتات في الحقيقة، وهذا بلغة الأندلسية هو كذا، وكل

هذه الأسماء أسماء رومانية أي أنها لاتينية اللهجة، هي التي أصبحت اللغة الأسبانية الحالية، وقد جمع المحققان وخصوصا إلياس تريس الذي كان من أكفأ المستعربين من هذه الناحية، جمع منها ما مكنه من عمل دراسة خاصة حول هذا الموضوع.

سؤالي هو: إلى أي حد يصل ما ذكره من هذه الأسماء المحلية ابن رشد في كتابه؟ وهل تمت مقارنة بينها وبين ما ورد في حواشي ديسكوريدس؟ وهل استخدم هذه الألفاظ كما وردت أم لديه إضافات أخرى؟ لأن اللغة تتطور، وربما قد ترجمت من أيام عبدالرحمن الناصر في أواسط القرن الرابع الهجري وابن رشد بعد ذلك بأكثر من قرنين من الزمان، فهل تمت دراسة في هذه الألفاظ؟ شكرا.

د. بن مراد:

بالنسبة لديسكوريدس وما تحمله المخطوطة من هوامش هي بالضبط مخطوطة بمكتبة باريس الوطنية، وقد تحدثت عنها في صفحات في مقدمة تحقيق التفسير لكتاب ديسكوريدس، بينت أنها نسخة منقولة في القرن السابع الهجري، سنة ٦١٠، ٦٠٠ من الهجرة في حلب في سوريا، نقلها عن نسخة أصلية هي نسخة ابن عباس النباتي، وكان قد مر بالشام وأهدى نسخته إلى بعض الأمراء ونقلت بخطه، وكان رديئًا جدا، ويذكره ابن عبدالملك المراكشي، يبدو أنه كان خطا مغربيا أندلسيا إضافة إلى أنه كان لا يقرأ في هذا المشرق بسهولة فهو رديء، ولذلك نقل الكتاب بالخط المشرقي نقل بهوامشه ويبدو أن الهوامش كان كثير منها من وضع ابن العباس النباتي نفسه، ثم أضيفت هوامش أخرى فيما بعد، مثلها هناك هوامش من مخطوط طب ابن البيطار، وهذا يعني أنها قد وضعت بعد هذه الفترة، إذن وضعت بعد مخطوط ابن رشد لأن ابن العباس النباتي توفي سنة ٦٣٩ للهجرة. الملاحظة الثانية حول مصطلحات ابن رشد اللغوية

الدالة على المحلية كما قلت هي ليست كثيرة، وقد ذكرت منها أمثلة، وهنا يبدو لي أن مصدره الأساسي كان كتاب ابن وافد، وابن وافد هو الذي أوقعه في الخطأ الذي نبهت إليه لأنه غير اسم الحالبي مأخوذ من اليونانية، وقد نبه إلى الخطأ ابن البيطار في كتاب الجامع، وقد ذكرت أن ابن رشد كان يعتمد جالينوس أولا ثم يعتمد غير جالينوس، ابن وافد، إلى حد ما، يبدو لي شخصيا ليس بالعالم في الأدوية المفردة مثل ما هو فيلسوف أو طبيب، فهو العالم الذي يحطاط لنفسه، ولا يريد أن ينزلق ويقع في خطأ قد ينتقد عليه فيما بعد.

الدكتور أبو شادي الروبي:

لي تعليق قصير، وهو أن من المصادر للمادة الطبية قدماء المصريين، لهم أيضا برديات، وبعض هذه البرديات مليء بالمادة الطبية؛ نبات وحيوان ومعادن، الجميل في هذه المادة الطبية أنها مصنفة، ليس حسب المصادر أو النبات وإنما حسب الأمراض والدواعي، وهذا تصنيف قوبل بترحاب كبير، لأن التصنيف على الأساس العلمي أو العملي أو الأمراض هو الذي يلجأ إليه معظم الأطباء.

د. بن مراد: هذا أيضا في كتاب المغني لابن البيطار، فهو مرتب بحسب الأمراض، وكتاب أمية ابن أبي الصلت مرتب بحسب الأمراض. وشكرا.

الدكتور أبو شادي الروبي: نشكر كل المحاضرين والمعلقين على هذه الجلسة الثرية والحية، وشكرا لكم جميعا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

الجلسة الختامية

برئاسة

سعادة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي

رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

الرئيس : الدكتور عبدالرحمن العوضي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الجلسة الختامية نرجو إن شاء الله أن تكون قصيرة، ولن نطيل فيها لأني أعتقد أن البعض لديه ارتباطات بالسفر، نحاول أن نلخص بإذن الله ما دار أو قد اجتهد به الدكتور أحمد في هذه الاجتماعات الطيبة. وقبل أن نعطي الكلمة للأخ الدكتور أحمد لي طلب وهو إعطاء الكلمة للدكتور ابراهيم بن مراد لمدة خمس دقائق: تفضل.

الدكتور إبراهيم بن مراد: في نهاية هذه الندوة يطيب لي شخصياً باسم المشتركين وخاصة من بلاد المغرب، أو كما يطيب للبعض اليوم عندنا في بلاد المغرب أن يسميهم بالمغاربيين، أن أعبر عن خالص الشكر وجزيل الثناء للمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية ولمؤسسة الكويت للتقدم العلمي لما لقيناه من حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة، ثم لما وجدناه من إحكام في تنظيم الندوة. قد وجدت آثاره في نهايتها أن هذه الندوة، وهي إحدى الندوات الكثيرة التي اشتركت فيها تتميز بأمور كثيرة لعل أهمها: فتح آفاق كثيرة مهمة جداً حول شخصية العالم ابن رشد، ثم إنها ندوة قد وصلت بين عناصر متفرقة كثيرة، فإن ابن رشد أندلسي، والأندلس قد أصبحت أثراً من الآثار إنها لم تبق، ثم إنه أندلسي مغربي، ونلاحظ أن هذا الأندلسي المغربي يحتفل به في بلاد المشرق بل في هذا ربط بين أواصر وعناصر تعد في الحقيقة روابط مهمة جداً، ثم إن هذه الندوة قد أظهرت كثيراً من المخفى أو قد أبرزت كثيراً مما كان مجهولاً عن شخصية هذا العالم الفيلسوف، ذلك بأنها قد قدمت وأضافت إلى ما

كان معروفاً من قبل إضافة جديدة، ثم لعل من أهم نتائج هذه الندوة كذلك النتائج الإيجابية أنها قد جمعت بين مجموعة من علماء العرب والمسلمين لعل الكثير منهم كان يسمع ببعضهم البعض ولا يعرفه، فكان من أهم ما وفرته هذه الندوة أن جمعت بينهم وتلاحقت أفكارهم وعرف بعضهم البعض المعرفة الحقيقية، أعتقد أن ما قامت به المنظمة يعتبر عملاً رائداً، وهي الندوة التراثية الأولى كما أرى هنا، لاشك أن الندوات القادمة ستكون على هذا المستوى كما وجدناه وأعلام العلماء الذين يستحقون أن يحتفل بهم وأن يرفع عنهم الغبار كثيرون، لأن هناك حقيقة مرة ينبغي أن نصدع بها، وهي أن عالمنا الإسلامي وخاصة العربي لا يخلو من إنكار الجميل، فإن كثيرين لايزالون إلى اليوم منسيين في بطون الكتب، وقد كان لهم شأنهم العظيم في الماضي، لذلك فإن المنظمة بتنظيم هذه الندوة في الحقيقة قد قامت بعمل جليل تستحق عليه كل الثناء وكل الشكر وأجدد شكري من جديد لما وجدناه من كرم الضيافة وحسن الاستقبال وشكراً جزيلاً.

الدكتور عبدالرحمن العوضي: الكلمة الآن للدكتور حسن الشافعي أيضا لكي يعطينا فكرته النهائية عن الندوة.

الدكتور حسن الشافعي: بسم الله الرحمن الرحيم، أرجو ألّا أزيد أنا والدكتور بن مراد عن عشر دقائق. بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم فإنني بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن إخواني الأساتذة المصريين الذين شاركوا في هذه الندوة المتعلقة بابن رشد طبيباً وفقيهاً وفيلسوفاً، أتقدم في الحقيقة بعميق التهنئة لمنظميها والقائمين عليها لما حققته من نجاح وما تيسر لها من توفيق الله عز وجل، ونتقدم أيضا بوجه خاص إلى سعادة الدكتور عبدالرحمن العوضي رئيس المنظمة وجميع رجال هذه المنظمة وإلى الأستاذ الدكتور أحمد رجائي الجندي وفريق عمله المتميز شاكراً لهم حسن رعايتهم

وعظيم لطفهم ودائب جهودهم في إقامة الندوة التراثية الأولى بتنظيم وهمة مشكورين وفي خدمة المشاركين ورعايتهم وأنا منهم وتيسير مهمتهم بحيث ترك لدينا أجمل انطباع وأنبل المشاعر أن الندوة برغم أنها الأولى قد أتيح لها عدد من السمات تكلم عنها أخي الأستاذ ابن مراد، وأضيف إلى ما قال أنها استطاعت أن توفر مجموعة من البحوث أعدت سلفاً في دقة وتوثيق وأنها مطبوعة في إتقان وأناقة لا بأس بها، وأنها أتيحت لكل الحاضرين وليس فقط المشاركين، ونادراً ما يحدث هذا في الندوات. ثانياً أنها ضمت مجموعة من المتخصصين في الموضوع الذين قدموا من مداخلات وتعقيبات وإضافات بالغة الثراء في حوار علمي هادئ رزين ممثلين في ذلك لبلاد عديدة في دنيا العرب والمسلمين وأنها اتسمت بروح علمية في ثالث مميزاتها وبوعي حضاري جيد بما ينبغي عمله لإحياء تراثنا لا لمجرد الحفاوة به بل لإثراء الحاضر وخدمة الواقع الإنساني المعاصر، وإذا كنت أتحدث عن المصريين فنحن قوم وسط، ولذلك نحن نتوجه بالشكر الخاص لإخواننا المغاربيين أو المغاربة ولإخواننا المشارقة أيضا، ونحمد الله ونشكره على ما أفدناه من علومهم ومن تخصصهم، هنيئاً هنيئاً للكويت وللمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، وشكراً خالصاً منا للمشاركين ودعاء ضارعاً إلى الله تبارك وتعالى بمزيد من التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله.

الدكتور عبدالرحمن العوضي: شكراً للدكتور حسن الشافعي على هذه الكلمة الطيبة وقبل أن أعطي الكلمة للدكتور أحمد أطلب إلى الأخ الدكتور عبدالله الغنيم بصفته رئيس اللجنة الثقافية والذي كان وراء التفكير في هذه الندوة وقد تحققت أول ندواته أن يلقى كلمته، وأنا أعرف الدكتور عبدالله سوف يطالبنا بندوات تراثية كثيرة، فأعطيه كلمة لمدة خمس دقائق.

الدكتور عبدالله الغنيم: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أيها الحفل الكريم أساتذتي وأخواني أود في نهاية هذه الندوة أن أشكر كل من لبى دعوتنا في المساهمة في إحياء ذكرى ابن رشد، نشكركم أولاً على الاستجابة السريعة للمشاركة في هذه الندوة على الرغم من ضيق الوقت الذي أعطي إليكم، ونشكركم على العطاء القيم الذي استفدنا منه والذي استمتعنا به وبالمداخلات التي دارت خلال المناقشات، لقد كانت هذه الأيام أياما ثرية بالفكر وبالعلم الذي نفتقده في زماننا هذا، وأطمئن أخي الدكتور إبراهيم بن مراد أننا بالفعل قد بدأنا التفكير في ندوات تراثية قادمة تتعلق ببعض علمائنا أمثال الزهراوي وابن سينا وابن زهر وغيرهم من العلماء الذين ساهموا في ذلك النسيج الحضاري المتميز في العالم الإسلامي وندرس بجدية سواء من خلال لجنة التراث المنظمة أو من خلال مجلس الأمناء كما ناقشناه في جلستنا الأخيرة أن يكون ذلك على الأقل كل سنتين مرة. أحب أيضا في نهاية كلمتي الموجزة أن أشكر أخي الكبير الدكتور عبدالرحمن العوضي على الدعم الكبير الذي يقدمه لهذه المنظمة، ولا يبخل بوقت وبجهد أي ساعة من ساعات الليل والنهار في دعم أعمال هذه المنظمة، وهذه الندوة هي ثمرة من ثمرات ذلك الدعم الدائم من قبل الدكتور عبدالرحمن العوضي، كذلك أشيد بالجهد الكبير الذي بذله ويبذله أخي الدكتور أحمد رجائي الجندي، فهو الدينامو الحقيقي والمحرك الحقيقي لأعمال هذه الندوة، لولا جهده ومثابرته ومتابعته لما تم ما شهدناه من نجاح والحمد لله، أشكركم مرة أخرى على تكبدكم مشاق السفر وعلى العطاء المتميز الذي استفدنا منه ونرجو أن نلتقي في ملتقيات وندوات قادمة خافلة بالكثير من العلم والخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور عبدالرحمن العوضي: الآن أعطي الكلمة للدكتور أحمد، وكما ذكر لكم الدكتور عبدالله قد يكون لنا فكر وتصورات إنما هذا الرجل يستطيع أن يحول الفكر إلى واقع، هذا الرجل كما ذكر الدكتور يعمل ليل نهار من أجل إبراز نشاط المنظمة بالصورة المتميزة، فله منا كل شكر، نعطيه الكلمة لكي نرى كيف استطاع أن يلخص أو يعطي فكرة عمّا دار وعن التوصيات. تفضل دكتور أحمد.

الدكتور أحمد رجائي:

بسم الله الرحمن الرحيم

في الحقيقة قبل أن أبدأ حديثي أحب أولاً أن أتقدم إليكم جميعا بخالص الشكر وجزيل الامتنان على التلبية السريعة الفورية لإرسالكم جميع الأبحاث وبالسرعة وبالموضوعات التي تم اختيارها، والتي ما كان بدونها أن تعقد هذه الندوة، ثانيا: قبل أن أدخل لموجز أعمال هذه الندوة أحب أن أتقدم بخالص الشكر وجزيل الامتنان إلى زملائي في اللجنة الثقافية الدكتور عبدالله الغنيم، والأستاذ عبدالحميد بسيوني، وإلى زملائي الذين ساهموا مساهمة كبيرة وبصبر كامل معي في إعدادي لهذه الندوة والمشاق الكثيرة الذي تحملناها في هذا العمل، ولا يفوتني ذكر دعم اللجنة التنفيذية التي وافقت منذ اللحظة الأولى على البدء فوراً في الإعداد لهذه الندوة وتوفير المبالغ اللازمة وتسهيل كل الصعوبات، وأحب أن أذكر ما ذكره أخي الدكتور عبدالله الغنيم، أن مجلس الأمناء وافق فعلاً في جلسته الأخيرة، نظراً لما توسمناه من النجاح، على ضرورة عقد مثل هذه الندوات مرة كل عامين لاختيار أحد علماء المسلمين والإعداد له ودراسته من زوايا مختلفة أيضاً. في البداية كان موضوع الندوة في الحقيقة هو ابن رشد، ولكن كنا أمام مقترحات مختلفة، هل نعقد الندوة عن ابن رشد الفيلسوف كما عقدت جميع

الندوات أم الفقيه أم الطبيب بحكم تخصصه، ولكن وجدنا أن نجمع بين الثلاث ونحن على يقين كامل من أننا لا نوفي هذا الرجل وهذا العالم حقه في أي مجال من هذه المجالات لكن الفكرة الحقيقية في زاوية الفلسفة نرى الفلاسفة يختلفون فيه وفي الفقه أيضاً لكن وجدنا أن نجتمع على أنه فقيه وفيلسوف وطبيب ومتميز في هذه المسائل ونحن أمام عالم موسوعي إسلامي.

والحقيقة أود أن تكون هذه الندوة البسيطة منطلقاً جديداً للنظر إلى تراثنا بصورة أفضل وبأسلوب يستهدف التعرف على حقيقة أفكاره وأن ندقق النظر في تراثنا ككيان حي ونابض بالفكر والعلم بدلا من أن يكون جامدا يستهدف التحقيق والتمحيص كما أراده لنا الغربيون، وأن نعود إلى طريقنا بعد أن اغتربنا عن جذورنا فأصبحنا بعيدين عن هذا المنهل العظيم الذي تركه لنا من سبقونا من علمائنا الأفذاذ.

ولعلنا نستطيع الآن أن نتواصى بالأمور الآتية:

أولا: إن دراسة التراث أصبحت الآن ضرورة ملحة لربط الجذور بالفروع وتنوير شباب الأمة الإسلامية بأن الحضارة الإسلامية لم تكن وهما بل كانت حقيقة وأنها كانت المصباح المنير الذي أضاء لأوروبا طريقها إلى نهضتنا.

ثانيا: الاهتمام بإدراج مثل هذه الشخصيات الإسلامية في البرامج الدراسية في جميع مراحل التعليم وإعطاء الجرعات المناسبة حسب كل مرحلة لعلنا نحيي في ضمائر أبنائنا الغيرة على دينهم وحضارتهم وعودتهم إليها من باب حب الاستزادة من علوم هؤلاء العلماء الأفذاذ.

ثالثا: إن تراثنا به من المادة العلمية الكثير الذي يجب الاستفادة منه في الوسائل الإعلامية المرئية والسمعية والمقروءة ربطا لأبناء الأمة وحفاظا على هويتنا أمام الهجمة الشرسة من محاولات التغريب لنا جميعا بعد

دخول الحضارة الجديدة في فلك الثورة المعلوماتية الكبيرة التي جعلت من عالمنا قرية صغيرة غير قادرة حتى الآن على استيعاب ما أصابها من هذه الثورة العظيمة.

رابعا: إن دراسة التراث يجب ألا تقتصر على تخصص واحد بعينه وألا تكون الدراسة لمجرد إخراج نص من التراث إلى حيز الوجود فقط بل يجب أن تكون الدراسة مشتركة بين العاملين في مجال التراث والمتخصصين في العلوم الكونية وذلك بهدف الاستعانة ببعضهم البعض للتغلب على الصعوبات التي قد تواجه أيا منهم منفرداً إضافة إلى ذلك فإننا نريد أن نستفيد من مادة التراث العلمي في المجالات العملية.

خامسا: تسهيل وتبسيط تداول الأعمال التراثية لغة ومادة علمية لتشجيع الباحثين في العلوم الكونية للاطلاع عليها ودراستها والاستفادة منها.

سادسا: إن أفاق العلم رحبة وإن الاختلاف في وجهات النظر يجب ألا يفسد للود قضية، «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك».

سابعا: إن العقل البشري هو مناط التكليف في الإسلام، وأن الدعوة إلى ضرورة استخدامه وإعماله دعوة إسلامية، فإن وافق العقل ما جاء به الدين من أحكام شرعية فعلينا أن نأخذ بها، وإن خالفها فالشريعة الغراء لها اليد العليا.

ثامنا: تشجيع الباحثين والعلماء المفكرين والمبدعين من أبناء الأمة الإسلامية لتأليف كتيبات صغيرة مبسطة عن علماء الأمة الإسلامية في جميع المجالات زيادة في المعرفة ونشرا للثقافة وتحصينا لهم من التغريب.

على أن يكون ذلك كله وفق منهج منضبط وأسلوب علمي دقيق يشار فيه إلى كل ما قيل من آراء، فإن هذه الاجتهادات لعلمائنا كانت اجتهادات بشرية فيها الخطأ والصواب، فإن أصاب شكرنا الله له، وإن أخطأ استغفرنا له، ورسولنا يقول ﴿**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**﴾ فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر على اجتهاده، وقول الله تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾.

الأخوة والأخوات:

إذا أردنا أن نتحدث عن الحضارة الإسلامية وعلماء الأمة الإسلامية فلن تنتهي أعمالنا فالبحر عميق لا نهاية له، والعطاء وفير، لكن النموذج الذي تطرقنا إليه كان للتذكير بتلك المآثر والدعوة إلى الدخول إليها بالطرق التي سلكها علماؤنا في الإسلام، ولا يسعني في النهاية إلا أن أتقدم بخالص الشكر وجزيل الامتنان لحضرة صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولي العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء على تكرمهم بمقابلة الوفود المشاركة رغم مشاغلهم الكثيرة إلا أن حرصهم الكبير على تكريم العلم والعلماء والاجتماع إليهم يقدمونه على كل المشكلات والهموم، فتحية خالصة طيبة نبعثها باسمكم جميعا إليهما.

كما أود أن أشكركم خالص الشكر وجزيل الامتنان على تفضلكم وحضوركم وتكبدكم المشاق للحديث عن هذا العالم المتميز داعيا المولى جلت قدرته أن يوفقكم ويرعاكم في حلكم وترحالكم.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم باسمكم جميعا إلى الجنود العاملين وراء هذا العمل تنظيما وإدارة ليخرج لنا بهذه الصورة الرائعة فتحية خالصة طيبة إلى كل منهم صغيرا وكبيرا، والله أسأل أن يوفقنا جميعا إلى ما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدكتور عبدالرحمن العوضي: شكراً للدكتور أحمد على هذا الإنجاز الجيد، ويبقى لي شخصياً أن أشكركم جميعاً على حضوركم ومشاركتكم لنا في هذه الندوة القيمة التي عشتها شخصياً، وإن لم أستطع حضور جميع جلساتها، بوصفي هاوياً في تقصي الفكر الإسلامي لأنني طبيب بسيط ولست بفقيه أو فيلسوف، إنما أهوى هذا الفكر العظيم الذي حمل هذه الرسالة، والذي جعل فعلاً لهذه الرسالة مكانة حضارية كبيرة، والمؤسف حقاً أن نجد هذا الاغتراب الكبير عن هذا الفكر بالتعصب أو التشدد، أعتقد أننا أمام نظرة جديدة نرجو أن يمكننا الله أن نلقي الضوء على هذا الفكر بصورة جديدة، وقد يتعجب البعض أننا حاولنا في هذه الجلسات القصيرة أن نجمع هذا المفكر العظيم الجليل بفلسفته وفقهه وطبه، يمكن جزء بسيط من فقهه أو فلسفته تأخذ أياما عدة أشهر للدراسة، إنما أعتقد يجب أن تكون نظرتنا الآن لهؤلاء الفقهاء وهؤلاء العلماء نظرة جديدة تتمشى مع هذا العصر، لأننا نريد أن نربط الماضي بالحاضر، نحن نعيش عصر الترنزستور عصر الماكروشيبس التي أصبحت المكتبات الكبيرة في كبسولات صغيرة يجب أن نبدع في إظهار معالم هؤلاء المفكرين بصورة جديدة نبعدهم عن ما دار من خلافات حولهم إنما نعيش ما عاشوه من فكر متجدد وننظر كيف استطاعوا بذلك الوقت أن يتجرأوا على ذلك الفكر في العصر الذي كانت الظلمات فيه تخيم على العالم الغربي، وكيف أن هذا الفكر أضاء الطريق لهؤلاء العلماء أن يخرجوا لهذه النتائج الحضارية الكبيرة، إنما للأسف الشديد أن النتاج حاليا نتاج يبتعد عن الإيمان، نتاج قد زاد وتمادى في المادية، وأبعد الإنسان عن جوهره، والإسلام يتميز بالمحافظة على هذا رغم كل فكر، ورغم كل تصور، فلذلك نحن في المنظمة نحاول أن نجمع هذا الفكر بهذا الأسلوب، قد يكون الأسلوب صعباً إنما هو الأسلوب السهل الممتنع، فعلينا إن شاء

الله أن نوفق في عقد هذه الجلسات وأنا شخصياً قد سعدت كثيراً وأعتقد أنكم قد سعدتم بأن تعيشوا مع هذا العالم وكل ما أتمناه فعلاً أن روح هذا العالم قد عاشت معنا بنفس السعادة لأننا استذكرناه بالخير بالعمل الخيري والفكري المستنير المتقدم. ويبقى لي في نهاية هذه الكلمة البسيطة وقد سهل على الإخوان الذين سبقوني، أنْ أتوجه بالشكر لكم جميعاً على حضوركم إلى بلدنا الكويت ولهذه المنظمة البسيطة التي تسعى من أجل الفكر الإسلامي حتى تضيء إن شاء الله الطريق لمن يأتون بعدنا، نحن في فترة تحتاج إلى تكاتف وتعاون ونبذ كل خلاف، ونحن أمام هجمة كبيرة ضد هذا الدين كوجود، فيجب علينا ألّا نتأخر أبداً، ويجب أن نتعاون ونشد آزر بعضنا البعض حتى نقف أمام هذه الهجمة الآن التي تحاك ضد هذا الدين العظيم، لأننا فعلاً لدينا ما نعطيه لهذه الحضارة، الحضارة حاليا في حاجة إلى إيمان قوي مرتبط بالواقع، فلذلك أعتقد أن الإسلام لديه هذا الحل، إنما يبقى على العلماء والمفكرين أن يقدموا هذا الحل، نحن بعيدون مع الأسف الشديد عن صناعة الفكر في العالم ونحن لدينا الكثير لو استطعنا أن نستعمل هذه الوسائل الكبسولية الماكروشيبس وندخل هذه المفاهيم بالفكر العالمي نستطيع أن نغير هذا الفكر ونوجهه إن شاء الله التوجه الذي يرضي الله.

وما علي في الختام إلّا أن أشكر جميع العاملين الذين قاموا بهذه الندوة أساتذتنا الأفاضل لهم دور كبير وفضل كبير رغم كل المصاعب لكن استطاعوا أن يحضروا معنا، بطبيعة الحال هناك دائما قصور، فأعتذر لكم إن كان هناك قصور، إن كان في طباعة الأبحاث وإن كان في أي أمر من الأمور، قد لا يكون بالمستوى الذي توقعتموه، إنما كل إنسان يحاول أن يجتهد ونحن اجتهدنا ونرجو من الله ألّا نكون قد قصرنا في خدمتكم وفي إظهار هذه الندوة بالصورة التي يجب أن

تكون، وأيضا لابد في هذه المناسبة أن نشكر صاحب السمو أمير البلاد الذي دائما تحظى المنظمة عنده بحظوة خاصة، وهو رجل ترجم ونشر ووزع نتاج المنظمة وأعطاها لرؤساء الدول في مؤتمر القمة الإسلامي، لأنه يؤمن بأن هذه الأفكار التي تحاول أن تنظر بصورة جديدة للفكر الإسلامي وتربطه بالواقع في اللحظة الحالية هي الأفكار التي تستطيع أن تغير هذا العالم، ومن دون هذا الشيء سنكون بعيدين عن المشاركة ومعايشة الفكر الحاضر.

وختاما أشكر جميع المنظمين الجنود المجهولين المصورين وغيرهم من الذين يحاولون أن يجعلوا من هذه الندوات تثبيتاً للحظات التاريخ تسجل ما شاءوا، وأرجو أن نستكمل نشر محاضر هذا الاجتماع الطيب ونوزعه إن شاء الله عليكم، وأن نوفق إن شاء الله في أن نكون في خدمتكم دائما، وباسمه ابتدأنا، وعليه توكلنا، وبحمده توفقنا، وأستودعكم الله، وأتمنى لكم إن شاء الله أن توفقوا دائما إلى ما فيه الخير والسداد لخدمة هذه الأمة، ولبعث هذا الفكر من جديد، لأننا في زمن لا يعيش إلا من لديه الفكر المستنير ليستطيع أن يتعايش مع هذا الحال، وأشكركم مرة أخرى، وأستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

أسماء

المشاركين في الندوة

أسماء المشاركين في ندوة ابن رشد

م	الاسم	العنوان
١	د. إبراهيم جميل بدران	٢ ش دار الشفاء جاردن سيتى – القاهرة
٢	د. إبراهيم بن مراد	٤٧ ش عبدالعزيز الثعالبى ٢٠٩٢ المنار تونس
٣	د. احمد ابو الفضل	طبيب بمركز الطب الإسلامي – الكويت
٤	د. ابو شادى عبدالحفيظ الروبى	٣١ميدان التحرير القاهرة
٥	د. احمد القاضى	Institute of Islamic Medicine for Education and Research, 340 W. 23rd Street, Suite E., Panama City, Flofida 32404, USA.
٦	د. احمد الشطى	الجمعية الطبية الكويتية
٧	د. احمد رجائي الجندى	الامين العام المساعد للمنظمة ورئيس مركز الطب الإسلامي – الكويت
٨	الحكيم محمد سعيد	Hamdard Foundation, Hamdard Centre, Nazimabad, Kararachi - 74600, Pakistan
٩	د. جمال العشيرى	كلية طب الأسنان جامعة القاهرة
١٠	د. حامد جامع	وزارة الاوقاف – الكويت
١١	د. حسان حتحوت	101 N Grand Ave 2, Pasadena CA 91103 U.S.A.
١٢	د. حسن الشافعي	كلية دار العلوم جامعة القاهرة رئيس قسم الفلسفة
١٣	د. حمد العباد	نائب رئيس مركز الطب الإسلامي – الكويت

م	الاسم	العنوان
١٤	د. حسين الجزائري	الاسكندرية المدير الاقليمي لمنظمة الصحة العالمية وعضو مجلس امناء – المنظمة
١٥	د. خالد المذكور	عضو مجلس امناء المنظمة – الكويت
١٦	الاستاذ خالد المحيلان	مؤسسة الكويت للتقدم العلمي – الكويت
١٧	د. سالوناس حسن اسماعيل	101 N Grand Ave 2, Pasadena CA 91103, U.S.A.
١٨	د. صلاح العتيقى	عضو مجلس امناء المنظمة – الكويت.
١٩	د. عادل الفلاح	وكيل وزارة الأوقاف المساعد لشؤون الحج – الكويت
٢٠	المستشار عبدالله العيسى	عضو مجلس أمناء المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية – الكويت
٢١	د. عبدالله الغنيم	عضو مجلس امناء المنظمة – الكويت
٢٢	د. عبدالله المهنا	عميد كلية الآداب – جامعة الكويت
٢٣	الاستاذ عبدالحميد الطالبى	برزكراه رسالت مقابل ضلع شمالى مصلى مجتمع امام خمينى ره طهران t -ايران
٢٤	الاستاذ عبدالحميد البسيونى	الديوان الاميري – الكويت
٢٥	د. عبدالرزاق العدوانى	مستشفى ابن سينا – الكويت
٢٦	د. عبدالرحمن صالح المحيلان	وزير الصحة – الكويت
٢٧	د. عبدالرحمن العوضى	رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية–الكويت
٢٨	د. عبدالمنعم عبيد	مستشفى المواساة – الكويت
٢٩	د. عباس على خان	مؤسسة الكويت للتقدم العلمي – الكويت

م	الاسم	العنوان
٣٠	د. عجيل جاسم النشمى	عميد كلية الشريعة - الكويت
٣١	د. عصام الشربينى	مستشفى الصباح - الكويت
٣٢	د. على السيف	الامين العام للمنظمة - الكويت
٣٣	د. عمار الطالبى	جامعة قطر الدوحة كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ص ب ٢٧١٣
٣٤	د. فادية عبد المقصود	٨ ش مختار مصر الجديدة القاهرة
٣٥	السيدة نجلاء احمد خليل	٢ ش دار الشفاء جاردن سيتى القاهرة
٣٦	الشيخ محمد الواعظ الخراسانى	برزكراه رسالت مقابل ضلع شمالى مصلى مجتمع خمينى ره ايران طهران
٣٧	الشيخ محمد هلال	مقابل مسجد مركز الطب الإسلامي
٣٨	الدكتور محمد المأمون	جامعة الكويت
٣٩	د. محمد بن شريفة	مدير الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط المملكة المغربية
٤٠	د. محمد حجى	٥٣ شارع علال بن عبدالله - الرباط المملكة المغربية
٤١	الشيخ محمد حسين المظفرى	برزكراه رسالت مقابل ضلع شمالى مصلى مجتمع امام خمينى ره ايران طهران
٤٢	د. محمد رضا الجندى	٢٩ ش الامين شبين الكوم منوفية - مصر
٤٣	د. محمد عمارة	٢٦ ش الزيتون القاهرة
٤٤	د. محمود يوسف علي مكى	١٤ش مصطفى مختار النزهة مصر الجديدة القاهرة
٤٥	د. مصطفى محمد الفاخرى	ليبيا - جامعة العرب الطبية
٤٦	د. يعقوب الشراح	الأمين العام المساعد المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية - الكويت

طبـاعة مطـابع الخـط ـ الكـويت
تلفون : ٤٨٤٤٥٤٥ ـ ٤٨٤٤٩٤٩ ـ ٤٨١٧٠٤٨

Printed by Al-Khat - Kuwait
Tel. : 4844545 - 4844949 - 4817048